

4
التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة
العدد الرابع - شوال 1372 من وفاة الرسول ﷺ الموافق شهر الكانون (ديسمبر) 2004 مسيحي
ISLAMOPHOBIA
مرض الخوف من الإسلام
الكراهية والحصاد المرّ
د. آن صوفي / السويد:
المسلمون كبش فداء !!
د. جاك شاهين / امريكا:
هوليـــوود شــوهت صورة المسلمين
د. محمد السماك / لبنان:
المسلمون يعانون من سياسة العقاب الجماعي
د. بيدرو مونتابث / اسبانيا:
العلاقــة المثمــرة اساسها التعارف
What Would Mohammed Drive?
RYDER
MOVING SERVICES
MILITANT ISLAM REACHES AMERICA
DANIEL PIPES
BLACK SUNDAY
Robert Shaw
Bruce Dern
Marthe Keller
Aladdin
Slander
ANN COULTER
PALESTINIAN TERRORISTS
BUT THE WALL IS SO DIVISIVE, DON'T YOU THINK?
ROOTS OF JIHAD
MICHAEL MOORE
BOWLING FOR FALLUJAH
"The Iraqis who have risen up against the occupation are not 'insurgents' or 'terrorists' or 'The Enemy.' They are the REVOLUTION, the Minutemen, and their numbers will grow — and they will win."
—Michael Moore
April 2004
I'M WITH THE ISLAMO-FASCISTS
FOX NEWS
RULES OF ENGAGEMENT


وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين



علّمنا الإسلام أن الله كتب على نفسه الرحمة، ونحن آناء الليل وأطراف النهار نقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ونقرأ: ﴿الحمد لله رب العالمين۞ الرحمن الرحيم﴾، ونؤمن بأن الرحمن الرحيم هما من أسماء الله الحسنى، ومع ذلك نجد من لا يدرك حقيقة هذا الأمر، فيصف الإسلام بأنه دين يدعو إلى القسوة ويعلي من شأن التطرف...

ومن توجيهات النبيﷺ أن يكون المسلم رحيماً بنفسه وبعياله وبإخوته في العقيدة، وأن يكون رحيماً بكل إنسان مهما كان جنسه أو لونه أو غناه أو فقره أو عقيدته: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، وكان صلى الله عليه وسلم عنوان الرحمة والحنو والعطف، ليس لأن ربه أدبه فأحسن تأديبه فقط بل وإضافة إلى ذلك ليكون أسوة للمؤمنين، وقدوة لهم، يسيرون على نهجه ويتنسمون سيرته العطرة، فبعد أن طردته قريش، ولم تدخر جهداً في التضييق عليه والنيل منه ومن المؤمنين، وبعد أن سيَّرت الجيوش لحربه، وبعد أن منعته من العودة إلى أحب البلاد إليه، بعد كل ذلك وأكثر منه جسَّد نبي الرحمة المثل الذي يحتذى في الرحمة والعطف والحنو، وذلك عندما فتح الله عليه وعلى المسلمين مكة، ومكَّنه من أهلها، لم يأخذهم بالشدة، ولم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، بل قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.. رحمة وسعت كل أحد.

علّمنا الإسلام أيضاً أن نكون رحماء فيما بيننا، رحماء مع كل الخلق، حتى الشجر والدواب، وأن نكون رحماء حين لا يكون للرحمة معنى وذلك أثناء الحرب، ففيها وأثناءها أيضاً ينبغي أن نكون رحماء...

هذا دين الرحمة، بشَّر به نبي الرحمة بشهادة الرحمن الرحيم ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ومع كل هذه المبادئ والمثل والقيم لانعدم من يناصب دين الرحمة العداء، ومن ناصب نبي الرحمة العداء، لكننا ومهما اشتدت الأزمات، ومهما تكالبت وتداعت علينا الأمم سنظل نؤمن ونعمل على هدى دين الرحمة ونبي الرحمة فهو: الرحمة المهداة.

في هــــذا العــــــدد



الغلاف

الإسلاموفوبيا

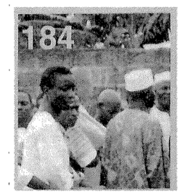
مرض الخوف من الإسلام



تقــــارير

استجلاء صورة الإسلام

المضيئة ومبادئه السمحة



استطلاعات

الماء.. الصحة.. العلم

ثلاثية الأفريقي مع عالمه

الافتتاحية

تقــارير

مقالات

دراسات

قضايا وآراء

استطلاعات

الواحـة

كتب

التواصل
AT-TAWASUL

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

العدد الرابع ـ شوال 1372
من وفاة الرسول ﷺ الموافق
شهر الكانون (ديسمبر) 2004 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 48084615
بريد مصور: 4800736
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
www.at-tawasul.info

شـــروط النــشــر فــي مجــلــة

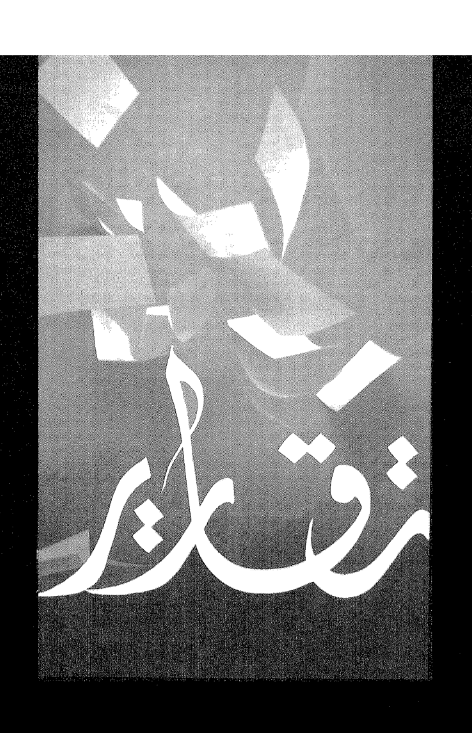
التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب الذميم بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاَّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاَّ يكون البحث قد سبق نشره في مكانٍ آخرَ.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاَّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاَّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للنشر على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافأة مالية مناسبة.



❖ حلقة دراسية تبحث:

استجلاء صورة الإسلام المضيئة
ومبادئه السمحة



حلقة دراسية تبحث

استجلاء صورة الإسلام المضيئة ومبادئه السمحة

بمشاركة علماء ومفكرين وأساتذة جامعيين من عدة دول



خلال النصف الأول من شهر الفاتح (سبتمبر) 1372 من وفاة الرسول ﷺ 2004 مسيحي عُقدت بقاعة المؤتمرات بمقر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية حلقة دراسية تحت شعار (الجهل بحقيقة الدين الإسلامي ومبادئه السمحة) شارك فيها علماء ومفكرون وباحثون مهتمون من الجماهيرية والمغرب ومصر وتشاد، كما شارك فيها عدد من أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، فضلاً عن أساتذة من الجامعات الليبية وكلية الدعوة الإسلامية.

وقد تمحورت الأوراق التي قدمت في الحلقة الدراسية حول ما يحدثه الجهل بحقيقة الإسلام ومبادئه السمحة من تشويه لرسالته العظيمة، وقد أكد المشاركون في هذه الحلقة الدراسية على سماحة الإسلام وإنسانيته وعالمية دعوته، منبهين إلى ضرورة التعامل مع قضايا مجتمعنا المعاصرة انطلاقاً من الرؤية الصحيحة والواعية للإسلام، بعيداً عن الانغلاق والتحزب والغلو، مؤكدين بالخصوص على ضرورة الاهتمام بجوهر الإسلام وعدم الخلط بين الدعوة والأمور المتغيرة مثل المصالح الشخصية والرغبات الفردية.

وجاء التئام هذه الحلقة الفكرية التشاورية في إطار الإعداد لانعقاد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية مساهمة من الجمعية في استجلاء صورة الإسلام المضيئة، والتعريف بالإسلام والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلقاء الضوء على الانحرافات التي تساهم في إشاعة الأفكار المغلوطة والمناقضة للإسلام ومبادئه .

الانطلاق من القيم السمحة التي جاءت بها دعوة الإسلام

وقد تحدث في الحلقة الدراسية الأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فرحب بالعلماء المشاركين من متخصصين وباحثين مهتمين، موضحاً أن هذه الحلقة العلمية البحثية التي تنظمها الجمعية في إطار المشاورات التي تجريها استعداداً للمؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية، والذي يعقد خلال شهر الحرث القادم ؛ ترمي إلى بحث العديد من القضايا التي تتصل بشأن المسلمين والفكر الإسلامي والواقع الإسلامي الذي تحياه المؤسسات والجمعيات والهيئات الإسلامية، وذلك على مختلف المستويات، بما فيها العمل الدعوي المباشر والاتصال بالجماهير، وعلى مستوى التواصل الفكري والعلمي مع المؤسسات العلمية والثقافية والفكرية في العالم الإسلامي أو خارجه. وأشار الأخ أمين الجمعية إلى أهمية إقامة مثل هذه الحلقة العلمية، باعتبارها تجمع المسلمين جميعاً، على تعدد مشارب اهتماماتهم، بما فيهم أولئك الذين لا علاقة لهم بمسألة التراث الإسلامي ومسألة الدعوة الإسلامية المباشرة، مبيناً أن العالم الإسلامي والمسلمين في كل مكان داخل العالم الإسلامي أو في الدول والمناطق التي يعيشون فيها كأقليات هم اليوم محط أنظار محاولات تريد التعرف عليهم، موضحاً أن تلك النظرة وإن كانت في بعض الأحيان سلبية إلا أنها في أحيان أخرى تتسم بشيء من الموضوعية، مشيراً إلى المتغيرات التي أوجدها هذا الواقع الجديد والصعوبات التي تولدت عنه، مؤكداً على ضرورة التعامل مع هذه الحالة بإيجابية، وذلك انطلاقا من القيم السمحة التي جاءت بها دعوة الإسلام .

وأشار إلى أن الاستجابة مع حالة التعرف هذه كانت في بعض الأحيان غير منسقة، أو كانت تنقصها الرؤية الواقعية للعالم الذي تعيش فيه، كما كان ينقصها في أحيان كثيرة التعرف على حقيقة المبادئ الإسلامية وحقيقة النص الإسلامي وحقيقة فهم هذا النص وتجارب المسلمين في القرون الماضية في تطبيق هذه النصوص وهذه الشرائع وهذه التوجيهات الربانية، مشيراً إلى أن الكثير من التشويش على الثقافة الإسلامية بمفهومها الواسع قد جاء نتيجة العديد من الأسباب التي أثرت تأثيراً كبيراً في الفكر الإسلامي المعاصر، وأثرت في توجهات الهيئات الإسلامية في عالمنا، الحكومية منها وغير الحكومية. مبيناً أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي حرصت منذ تأسيسها على الاهتمام بمنهج الشورى والحوار، انطلاقاً من رسالتها كمؤسسة دعوية؛ حينما تنظم اليوم هذه الحلقة الدراسية فهي تحاول جاهدة إتاحة الفرصة أمام علماء وباحثين ومهتمين في العديد من التخصصات لتبادل الرؤى والأفكار حول واقع المسلمين، وتبادل وجهات النظر، وتحليل معطيات ومتغيرات هذا الواقع، بمعنى التعرف على حقيقته، وتحديد التحديات والصعوبات والعقبات التي تواجه المجتمعات المسلمة.

أمين الجمعية : هناك محاولة للتعرف على المسلمين يجب التعاطي معها بموضوعية.

مؤكداً على ضرورة التسلح بالشجاعة الأدبية، والقدرة على النقد الذاتي، موضحا أن بعض هموم العالم الإسلامي والتحديات التي تواجهه هي من صنع المسلمين أنفسهم، وذلك نتيجة جهل بعض أبنائه بحقيقة الإسلام.

وبيّن الأخ الأمين أن كل المسلمين معنيون بهذا، علماء الدين وعلماء الحديث، علماء اللغة، علماء



الأستاذ إبراهيم الغويل: محاولة استكشاف الواقع من خلال الرؤى والأفكار الأصيلة.

الاجتماع، وعلماء الاقتصاد... الخ، باعتباره شأناً انعكس على المسلمين، ووزره وقع على المسلمين جميعاً.

موضحاً أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية انطلاقاً من حرصها على ترسيخ مبدأ الشورى قد دعت للمشاركة في هذه الحلقة الدراسية، للاستفادة من الآراء والأفكار التي تطرح، مشيراً إلى أن هذا الملتقى يأتي في إطار الاستعداد لعقد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية.

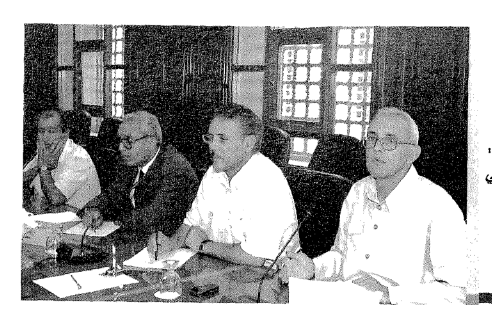
منهج الشورى أسلوب علمي وحضاري ينظم علاقات البشر

كما تحدث الأستاذ إبراهيم الغويل، مقرر عام مؤتمرات الدعوة الإسلامية، مشيراً إلى أن هذا الملتقى يرمي في جانب منه إلى محاولة التعرف على حقيقة العالم الذي نعيش فيه، مؤكداً على أهمية منهج الشورى كأسلوب علمي وحضاري ينظم علاقات البشر ويساعد على فهم وتفهم واقعنا المعاصر، موضحا مدى انعكاس ذلك الفهم على الثقافة والسلوك، ومدى التأثير الايجابي الذي يمكن أن ينتج من فهم الواقع.

وفي تناوله العلاقة بين الفهم والقرار السليم استعرض الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي مرت بها المجتمعات المسلمة، مبيناً دور بعض المتغيرات في إيجاد حالة من الركود والتخلف.

وأشار بالخصوص إلى أن التدفق الإعلامي من جانب واحد يشكل تحدياً آخر يجب أن نفكر فيه، خاصة ونحن نتحدث عن مفهوم التعرف على العالم الذي نعيش فيه،، وضرورة أن نتعرف على عالمنا في سياق عصرنا وتحديد موقعنا منه وتحديد من نحن ومن هو الآخر، مع ضرورة التنبه لتشابك العلاقات في مجتمعاتنا المعاصرة، بما يتطلبه كل ذلك من استحقاقات يجب الإيفاء بها. مشيراً بالخصوص إلى تأسيس جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بدءاً من دعوة الأخ قائد ثورة الفاتح الإسلامية إلى انعقاد المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية، مؤكداً أن فهم الواقع بمتغيراته كافة يشكل حجر الزاوية في التعامل مع مفرداته أو التحديات التي يطرحها، مبينا أهمية التئام هذه الحلقة الدراسية في تقصي هذا الواقع والتعرف على مختلف جوانبه، خاصة أن المشاركين فيها هم من ذوي الخبرة ليس في مجال الدعوة فقط وإنما في العديد من المجالات والعلوم الإنسانية، موضحاً أن انعقاد هذا الملتقى الفكري يأتي في إطار الاستعداد لعقد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية.

وأشار الأستاذ الغويل إلى أهمية الأفكار التي



الدكتور أحمد عمر هاشم: متفائل بالجهود التي تضطلع بها الجمعية.

يطرحها المشاركون في إثراء معرفة أعضاء المؤتمر العام بواقع عالمنا المعاصر، ومعرفة موقعنا من هذا الواقع العالمي، حتى تكون الخطط والبرامج التي سيقرها أعضاء المؤتمر أكثر فاعلية وتجاوباً مع متطلبات العصر. داعياً إلى أن يكون الطرح علميا وموضوعياً وعقلانياً، حتى يؤدي إلى عمل حقيقي ينسجم مع المبادئ والقيم التي يدعو إليها الإسلام.

ونبه إلى أن غياب العقلانية قد أدى في بعض الأحيان إلى تشويه صورة المسلمين، ملاحظاً أن معالجة الواقع الإسلامي ضمن الواقع العالمي أصبحت من القضايا المطروحة بأوسع الرؤى على كل قوميات العالم الإسلامي التي بدأت علاقاتها تتشابك مع أتباع العقائد الأخرى، وهي مسألة حيوية تطرح تحديات يجب علينا مواجهتها ووضع تصورات للتعامل معها. وفي هذا السياق أشار إلى تأكيد الأخ أمين الجمعية على مختلف هذه القضايا، مبيناً أن هذه الحلقة الدراسية التي تأتي انسجاماً مع فلسفة الجمعية، وهي محاولة لاستكشاف الواقع من خلال الأفكار التي سيطرحها المشاركون والنصائح التي سيقدمونها، وذلك لوضع سياق للتشاور في المؤتمر القادم، وهو المنهج الذي سارت عليه الجمعية في كل مؤتمراتها منذ أول مؤتمر، والذي بيَّن فيه الأخ قائد ثورة الفاتح الإسلامية كيفية الدعوة للإسلام في هذا العالم المعاصر، وضرورة مراعاتها لمقتضيات كل منطقة من المناطق، وأهمية مراعاتها لمدى تأثيرها على الدعوة، وكيفية إعداد الدعاة الذين يناسبون هذه الرسالة وكيفية تمويل مثل هذا المشروع.

مشيراً بالخصوص إلى تأكيد المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية منذ البداية على ضرورة الاهتمام بمسألة الحوار، وهو ما كان نبه إليه الأخ قائد ثورة الفاتح الإسلامية، داعياً إلى إعطائه مساحة مهمة في برامج العمل الإسلامي.

واستعرض الأستاذ إبراهيم الغويل في مداخلته توصيات ذلك المؤتمر التي أكدت على ضرورة تأسيس جمعية الدعوة الإسلامية، وإنشاء كلية تتبعها، وإنشاء صندوق للدعوة يمولها، مبيناً أن مسيرة الجمعية منذ تأسيسها في العام 1972مسيحي قد اعتمدت منهج الشورى، وذلك من خلال مؤتمرها العام.

نحن في أمس الحاجة إلى ترتيب بيتنا من الداخل

وتحدث الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الأسبق، معرباً عن شكره وتقديره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على هذه الدعوة الكريمة والمبادرة الهامة، مشيرا إلى أنها جاءت في وقت أحوج ما يكون فيه المسلمون إلى هذه الوقفة مع الذات،



الدكتور أبو زيد المقرئ: يجب أن نحسن تقديم الثقافة الإسلامية بمضامينها الإنسانية.

موضحا أن هذا اللقاء جاء في توقيت هام ولمناقشة موضوع له حساسيته بالنسبة لأمتنا، وأنا أسعد أكثر بلقائنا في رحاب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية، هذا المكان العريق، مؤكداً أن هذه المبادرة ليست غريبة عن مؤسسة أعطت للعمل الإسلامي بكل جوانبه أكثر من معنى، وأعطت له بعداً إنسانياً، ورسمت مسيرته. مشيراً إلى كلمة الأخ أمين الجمعية والقضايا التي أثارها للنقاش، وأهمية النقد الذاتي وضرورته. موضحاً أننا في أمس الحاجة إلى ترتيب بيتنا من الداخل، وضرورة أن ننتقد ذاتنا نقدا علميا، وأن نتعرف على حقيقة الهموم والتحديات التي أحدثت شروخا في أمتنا، فقد آن الأوان لأن نعالج هذه القضايا في بعدها الزمني، وأن نستخلص من تجاربنا النتائج التي تعيننا على فهم الواقع. مضيفاً أن النجاح هو أول ما نتطلع إليه ونحن في هذه الجمعية العالمية التي تحظى بمكانة مرموقة، وهي نتيجة إخلاصها ورؤيتها الواضحة.

وأكد الدكتور أحمد عمر هاشم على أهمية المبادرة لعقد هذه الحلقة الدراسية، وسعيها إلى توحيد علماء هذه الأمة ومفكريها والتقريب بين مذاهبهم، حتى لا يظل الناس في جزر منعزلة وآراء متضاربة وبلبلة بين الشباب وبين الأمة، وذلك من خلال التناصح الذي أمرنا به ديننا، باعتبار حمل المسلمين للرسالة والدعوة إلى السلام والتعايش السلمي، مشيراً إلى التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه العالم الإسلامي والمسلمين، وضرورة بحث هذه التحديات وفق رؤية جماعية مستمدة من رسالة الإسلام الصحيحة، مؤكداً على ضرورة عقد مؤتمر دولي لمعالجة هذه التحديات، مبينا ضرورة عقد مؤتمر دولي توضح فيه حقائق هذا الدين الذي دعا إلى وحدة الصف حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [سورة آل عمران: الآية 103]

وأعرب الدكتور هاشم عن تفاؤله بأن يكون المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية انطلاقة فعلية لهذه الرؤية، لتوضيح حقيقة الإسلام، ونبذ الخلافات، من خلال رؤية تجمع ولا تفرق، وتسير على نهج الرسول الكريم ﷺ(معبراً عن سعادته بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمشاركة في البرامج التي تضطلع بها.

مشيراً في هذا السياق إلى الاتفاق العلمي والثقافي بين كلية الدعوة الإسلامية وجامعة الأزهر.

وأكد الدكتور هاشم أنه متفائل بالجهود التي تضطلع بها هذه المؤسسة، وقال : إن الله تعالى ساقكم لمد يد العون لهذه الأمة الغارقة في همومها من أجل انتشالها وبناء نهضتها والتقدم إلى الأمام، وهي في ذلك تستشعر خطر المسؤولية والتحديات التي تتهدد

مستقبلها، وعليه أؤكد أنه يجب علينا وعلى كل مسؤول وعلى كل الدعاة وعلى الجمعيات الطوعية أن نقدم العلاج الناجع، وأن ندعو إلى وحدة الصف وجمع الكلمة.

وقال في ختام مداخلته: أرجو الله أن يوفقكم لأداء هذه الرسالة على أكمل وجه، وأنا بصفتي الآن كرئيس لقسم الحديث وجمعيات الشبان المسلمة العالمية أضع يدي في أيديكم وأدعو معكم، وأنا رهن إشارة هذه الدعوة التي أراها واجبا حتميا علينا في هذه الأمة.

السلوكيات الهوجاء تُعد كارثة يجب التنبيه لها ومعالجتها

من جهته أكد الدكتور أبو زيد المقرئ الإدريسي ـ الأستاذ الجامعي وعضو البرلمان في المملكة المغربية ـ على أهمية عقد هذه الحلقة الدراسية، مضيفاً: إنه لشرف عظيم أن أشارك في جلسة أعمال هذه الحلقة الدراسية، وأشيد بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على الجهود التي تبذلها من أجل تقديم الإسلام مبرءا من التشويه والتحريف، مؤكدا على أهمية الملتقى باعتباره يبحث موضوعات تتصل بالدعوة والعمل الإسلامي بجميع جوانبه، موضحاً أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من خلال تجربتها الغنية والممتدة على مدى أكثر من ثلاثة عقود ؛ قد أعطت أهمية لكل ما من شأنه الارتقاء ببرامج العمل الإسلامي، مشيراً بذلك إلى الاجتماع التشاوري الذي تعقده الجمعية في إطار الاستعدادات لعقد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية.

واستعرض الدكتور أبو زيد المقرئ جملة من القضايا التي تهم المسلمين وتتعلق بشؤونهم، مشيرا إلى الاهتمام المتزايد بالثقافة الإسلامية والهوية والشخصية المسلمة بين أبناء الأقليات المسلمة في الغرب، موضحا: أول نقطة أريد أن أتحدث حولها هي أزمة الفكر.. رغم أن الإسلام اليوم يتجدد في نفوس الشباب، فبعد الضعف والوهن والانبهار بالغرب نرى هذه الأمواج المتدفقة من الشباب والشابات المترددين على المساجد والمراكز الإسلامية، وهذه نعمة كبيرة يجب الاستفادة منها في ترسيخ هوية المسلمين في كل أنحاء العالم وتأكيدها، مشيراً إلى الاستحقاقات التي يجب الايفاء بها وأولها التركيز على تقديم الصورة الصحيحة للإسلام، موضحا أن هذه العاطفة والمدّ المتجدد هو نعمة ولكن ربما تحولت إلى نقمة إذا لم نحسن تقديم الثقافة الإسلامية بمضامينها الإنسانية. مشيراً إلى المتغيرات التي يجب التركيز عليها، معتبرا أن العقلية المأزومة ربما تؤدي إلى الانحراف عن الصواب. مؤكداً على ضرورة أن تكون هناك رؤية استراتيجية لمعالجة جملة القضايا والتحديات التي يطرحها الواقع المعاصر، مبيناً أهمية التركيز على فهم الآخر وإدراكه وسبل التعامل معه، وفهم الدين، ولا يخفى أن السلوكيات الهوجاء تُعد كارثة يجب التنبيه لها ومعالجتها، وبالتالي تقديم الحلول، وهنا يأتي دور وسائل الإعلام التي تقع عليها مسؤولية كبيرة وخطيرة في تشكيل الرؤية الجماعية المشتركة للعديد من الموضوعات والقضايا. لكنني أشير هنا بالخصوص إلى تخبط بعض وسائل الإعلام بسبب غياب الوعي والخطط والبرامج القائمة على رؤية استراتيجية واضحة.

وتساءل الدكتور المقرئ عن سبب إقدام إحدى القنوات الفضائية ـ مثلاً ـ في هذه الفترة بالذات على التشكيك في مضامين معينة ومحددة مثل حادثة الإسراء، معتبراً تلك الدعوة طمساً لهوية القدس الإسلامية، وتساءل : أيُّ عقل هذا وأيُّ فقه ؟ وفي هذا السياق أشار إلى أن ذلك يعكس أزمة تحيط بالمسلمين، مبيناً أن التشرذم والكراهية والتفرق والاختلاف تعود في أصلها إلى أزمة الفكر، وهنا نحتاج إلى مشروع بعيد المدى.

وأنا أناشد إخوتي في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الذين عندهم هذا الفهم وعندهم هذه المؤسسة المبنية على العمل البعيد المدى والرؤية الواضحة؛ أناشدهم التركيز على إعداد الدعاة



الدكتور مصطفى التير: التعامل مع الواقع بموضوعية قائمة على رؤية واضحة مستمدة من الإسلام.

الدكتور محمد صوفية: رسالة الجمعية تستحق الشكر والاحترام.

والخطباء وتقديم المساعدات الاجتماعية، وباعتبارها مؤسسة تضطلع بدور كبير يشمل مختلف الجوانب بما فيها الجوانب الدعوية والثقافية والتعليمية والإنسانية، بالإضافة إلى مجال الاستثمار؛ فإنني أدعوهم - ولا أمل لي في سواهم - أن يلتقطوا رأس الخيط في هذا المشروع الحضاري، وهو معالجة الفكر المأزوم، وإنني اعتبره أول التحديات التي يجب معالجتها. وكما تعلمون فإن هذه المسألة لا تُحل في جلسة أو ساعة أو دقيقة، بل تحتاج إلى نَفَس طويل، لأننا نحتاج إلى تكوين مراكز وبناء مؤسسات وهيئات أكاديمية، وإعادة توجيه الجامعات الإسلامية، وبالخصوص كليات الشريعة والدعوة، والتي يجب أن تتعاطى مع التراث ومقررات التدريس بمناهج جديدة. مشيراً بالخصوص إلى أن ما نحتاجه من مؤسساتنا التعليمية المتخصصة في مجال الدعوة والثقافة الإسلامية أن تكون قادرة على تأهيل باحثين قادرين على التعاطي مع المشكلات المعاصرة بموضوعية وروح علمية تستمد أصالتها من رؤية الإسلام الصحيحة.

وفي معرض تناوله مختلف الأبعاد الثقافية والاجتماعية للقضايا المعاصرة، أشار إلى أنه ليس كل شخص قادراً على أن يكون عالماً في العقيدة، هناك أناس بشر يحتاجون إلى الاحتفال والتقاليد، نعم، نبحث عن البدعة والسُّنة، ولكن نبعد عن البدعة المضرة، نضبط الضوابط الشرعية العامة، نمنع الأشياء الضارة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية، ولا نأتي بثقافة محلية لبيئة مغلقة لمجتمع مسلم ونجعلها معيارا ونلصق التقاليد بالإسلام.

موضحاً أننا نحتاج إلى آلة نقدية انتقائية عند الأخذ من الغرب، كما أنه يجب أن نتعامل مع التراث برؤية مستنيرة واضحة، على مستوى الأفكار وعلى مستوى المناهج، وأن يكون ذلك وفق رؤية إيجابية تنطلق من الإسلام، لتنقية التراث واستعادة الهوية لبناء الذات ومواجهة التحديات وصنع التقدم الحضاري.

إعادة قراءة التراث للتخطيط للمستقبل من خلال الفهم الصحيح

كما تحدث الدكتور مصطفى عمر التير أستاذ علم الاجتماع بالجامعات الليبية فأشار إلى العديد من الجوانب الثقافية والاجتماعية ودور متغيرات العصر في صياغة الواقع، مستعرضاً جملة من المفاهيم والقضايا التي تعكسها، موضحاً أنه لا يوجد شك في أهمية إعادة قراءة التراث لتخطيط المستقبل من خلال الفهم الصحيح، مبيناً أن هناك أموراً كثيرة للأسف تحمل على الدين في الوقت الحاضر، وقد وضعت المسلمين في زوايا مغلقة، وإن الخروج من هذه الزاوية يحتاج منا إلى رؤية واضحة مبنية على

الدراسة، والتعامل مع الواقع بموضوعية قائمة على رؤية واضحة مستمدة من الإسلام، ولا يخفى علينا أن التعاطي مع التحديات من منطلقات عاطفية لا يحل المشكلة.

إعمال العقل والفكر والجهد لاستخلاص المعاني الكريمة التي جاء بها الإسلام

ومن جانبه ركز الدكتور محمد صوفية على قضية الشباب، موضحاً أن الحديث في هذا الموضوع يرتبط بالحديث عن التأصيل والتطوير، معتبراً أن هذه القضية هي من القضايا المهمة في الفكر الإسلامي، مؤكداً على ضرورة الرجوع إلى المصدر الأساسي الأول وهو كتاب الله سبحانه وتعالى، مشيراً بالخصوص إلى أهمية إعمال العقل والفكر والجهد لاستخلاص المعاني الكريمة التي جاء بها الإسلام في مجالات الآداب والتربية والأخلاق، منبهاً إلى ما تشكله هذه الموضوعات من أهمية في الجانب التأصيلي من جهة، ومن جهة أخرى محددات للجانب التطويري، وأوضح أن الإسلام هو دين صالح لكل زمان ومكان، مبيناً أن هذا لا يتعارض مع إعمال العقل والتفكير لإصلاح شؤون المسلمين، وذلك طبقاً لمنهج القرآن الكريم ووفقاً لمبادئ الإسلام المتينة الأصيلة والأصلية، وذلك من خلال فهم عميق لها ولأبعادها، مؤكداً على أهمية نشر هذه الدعوة ونشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة انطلاقاً من منهج الاعتدال ومنهج الوسطية ومنهج الإنصاف الرافض للتطرف والمغالات، أو التوجه إلى أمور هامشية قد تكون بعيدة عن فهم الدين.

وأشار الدكتور صوفية إلى أن الاهتمام بالشباب لا بد أن ينطلق من هذه الرؤية الواضحة، مستعرضاً في هذا السياق بعض الرؤى التي أساءت فهم الإسلام والتي جعلت الشباب في حيرة وقلق أو ربما حتى سوء فهم، مؤكداً على أهمية وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في هذا الجانب المهم، داعياً إلى تحصين الشباب تحصيناً علمياً وتربويا إسلامياً صحيحاً وفكريا من خلال ربطهم بالفكر الإسلامي الصحيح، وهذه التربية العملية تنطلق من البيت وتشمل مختلف جوانب الحياة. مؤكداً على ضرورة الالتزام بمنهج الدعوة القائم على الحكمة والموعظة والجدل بالتي هي أحسن، وأن معنى الحكمة هو الأمر المحكم العظيم الذي ورد في كتاب الله العزيز، وذلك طبقاً للمنهج الإسلامي. وأشاد بدور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وخاصة رعايتها للدعوة الإسلامية ونشرها في العالم، والاهتمام بإعداد الدعاة الواعين لحمل رسالتهم.. رسالة الإسلام، والقادرين على رد الحجة بالحجة، مضيفاً: هذه هي رسالة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تقوم بها، وهي رسالة تستحق منا أن نشكرها عليها، ونرجو من الله أن يوفقنا في أداء هذه الرسالة من منطلق ديننا وهويتنا وتوجهنا الإنساني.

الدكتور مخلص السبتي: بحث واقع العمل الإسلامي بكل جوانبه لاستشراف المستقبل.

الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي: عقد هذه الحلقة يأتي انسجاماً مع مبدأ الشورى.

مفهوم التعارف من أنسب الطرق للوصول إلى الحقيقة ومعرفة الآخر

كما تحدث الأستاذ سمير الهضيبي رئيس المركز الأفريقي للدراسات بالقاهرة، فتناول مفهوم التعارف ودور الجمعية في الانتقال بالحوار إلى مداه الإنساني، مبينا أهمية هذه النقلة الحضارية في تعزيز روح التعايش ونشر وترسيخ ثقافة التفاهم بين أبناء المجتمعات الإنسانية على تعدد ثقافاتهم وعقائدهم، معتبرا أن مفهوم التعارف يُعد من أنسب الطرق للوصول إلى الحقيقة ومعرفة الحقيقة ومعرفة الآخر، مشيراً إلى أن هذه الخطوة تُعد الخطوة الأولى نحو



الأستاذ سمير الهضيبي: تعزيز روح التعايش ونشر وترسيخ ثقافة التفاهم بين الناس.

التعايش بين الثقافات على تعددها، موضحاً أن مفهوم التعارف يقودنا إلى موضوع هذا الملتقى.

ونبه الأستاذ الهضيبي إلى أن كثيراً من الأفكار الخاطئة تأتي نتيجة التركيز على الشكل دون الجوهر، مستعرضاً جانباً من تاريخ تلك الأفكار، موضحا أن ارتباط بعضها بالمصالح السياسية وتوجهها إلى السلطة ورغبتها في الوصول إلى الحكم قد جعلها تركز على الشكل والذي بدوره أدى إلى ظهور انحرافات خطيرة، وهذا أدى إلى ظهور التنظيمات السرية، ومن هنا بدأت لا تبحث عن جوهر الإصلاح، مؤكداً أن الإسلام جاء في الأصل ليتمم مكارم الأخلاق، ولنشر العدالة الاجتماعية، ورفع الظلم عن الإنسان، وهذا هو الجوهر الحقيقي للإسلام. مضيفاً أن الدعوة التي تبدأ إصلاحية عندما تخلط بين الحكم والدين تصبح بعيدة عن فكرة الإصلاح.

وقال الأستاذ الهضيبي في مداخلته : كلنا نذكر أن الأخ القائد معمر القذافي، بعد قيام ثورة الفاتح الإسلامية، نبه إلى ضرورة إنشاء هيئة مستقلة تعمل على نشر الإسلام والتعريف به، وإن هذه الخطوة قد هيأت للمسلمين وجود مؤسسة خيرية عالمية هي جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تعمل على الاهتمام بمختلف مجالات العمل الإسلامي، دون الخلط بين مقتضيات الحكم والسلطة ومقتضيات الدعوة، مشيداً بالدور الذي تضطلع به الجمعية من أجل خدمة الإسلام والمسلمين.

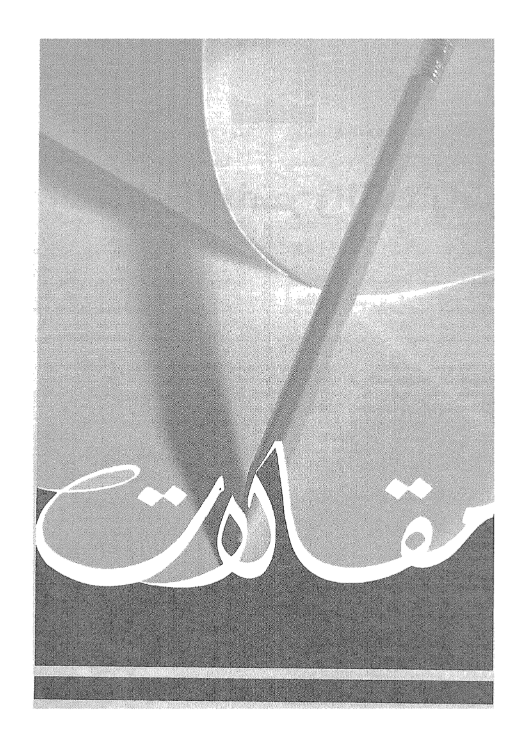
إصلاح الواقع وتلافي الأخطاء

وتناول الكلمة الدكتور مخلص السبتي / أستاذ جامعي من المغرب، فأثنى على فكرة انعقاد هذه الحلقة الدراسية، مؤكداً على أهميتها، خاصة أنها تأتي في إطار الاستعداد لانعقاد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية، وأشارفي مداخلته إلى أن انعقاد هذه الحلقة يعد بادرة إيجابية باعتبارها تبحث واقع العمل الإسلامي بكل جوانبه، لاستشفاف المستقبل، وتبين مواطن الخلل التي يجب معالجتها. معرباً عن قناعته بأنها تشكل فرصة هامة لإصلاح هذا الواقع، وتلافي الأخطاء التي أوجدتها الممارسات الخاطئة باسم الدين.

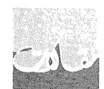
منهج عمل لدراسة واقع المسلمين وأحوالهم

كما تحدث الدكتور عمر الماحي، الأستاذ الجامعي من جمهورية تشاد؛ فأعرب عن تقديره لهذه البادرة التي تأتي انسجاماً مع مبدأ الشورى الذي اختطته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية كمنهج عمل لدراسة واقع المسلمين وأحوالهم وبحث شؤون الدعوة، مشيراً بالخصوص إلى العديد من برامج العمل التي تضطلع بها الجمعية من أجل خدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية بصفة عامة.

التحرير



- المسلم المعاصر والتحديات
- التفوق الثقافي المزعوم
- المصطلحات العلمية العربية: تعريب أم تغريب
- مفردات في أشكال الثقافة والهوية
- الإسلام والعولمة: جدل أم هيمنة؟



المسلم المعاصر والتحديات

طلعت سقيرق *

في التعرض إلى الراهن بكل ما يحمل من تحديات ومواجهات وتطورات، نميل في أكثر الأحيان إلى إغماض العين تارة، وإلغاء العقل تارة أخرى، وتجاوز الدراسة الحقيقية لنبع العطاء المتمثل بالقرآن والسُّنة تارة ثالثة.. كل هذا يولد تراجعاً وتخلفاً وضعفاً على كل المستويات.. ورغم أن السبب جد واضح وبيّن، فإننا نسأل بصورة آلية غريبة: ما هي الأسباب التي دعت للتخلف؟؟ ولماذا نجد أن أكثر الدول الإسلامية في حالة مزرية من الضعف والتفكك؟؟ ثم ما معنى أن يكون المسلم غير مستوعب لمعطيات العصر والتقدم العلمي الذي يشمل كل العلوم الحديثة، ومنها ما يمس أو يؤثر مباشرة بالصناعة والتكنولوجيا وما إلى ذلك ؟؟

ولا نستغرب أن يسأل أحدهم بكثير من السعي لمعرفة الحقيقة: التعامل مع شبكة المعلومات الدولية والبريد الإلكتروني وزيارة المواقع أو نشرها هل هو حرام أم حلال ؟؟ ولا يظن أن مثل هذا السؤال طارئ أو على سبيل الصدفة، فما أكثر الأسئلة التي تصب في هذا الإتجاه؟ (في التصور الجاهز والناجز عند الغرب، وسوى الغرب أحياناً، يأتي القول بعدم مناسبة الإسلام للعصر الحديث، عصر العلم والتقدم



* كاتب وباحث / سوريا

الصناعي والتقني الكبير. وهم بطبيعة الحال يضعون الأمثلة القريبة من واقع الدول الإسلامية الموزعة على خارطة جغرافية واسعة، وشاملة لعدد كبير قد يصل في القريب إلى المليار ونصف المليار من المسلمين. ويبدو الأمر في الظاهر موافقاً لمقتضى الحال، فالدول الإسلامية بكل هذا الإمتداد والإتساع، دول ضعيفة متخلفة، لا تملك من أدوات القوة المادية شيئا. وحين يصدر الغرب مقولته يجد من يسمعه، ما دام الدليل على الأرض موجوداً بكل جلاء.

وقد يحلو لهذا الغرب، بل يطيب له، أن يدعو إلى فصل الدين عن الدولة والحياة والممارسة اليومية العملية، إذ ما تقدم الغرب ولا أنجز ما أنجز من تطور إلا بعد أن فصل الدين والكنيسة عن أمور الدولة والحياة العملية، فتحرر العقل واستطاع أن يبدع ويصل إلى ما وصل إليه من إنجازات كبيرة.

وقد يرى الغرب فيما يرى أن الإسلام يدعو إلى ما نراه من تطرف يأخذ لبوس التدمير أو القتل وما إلى ذلك. والغريب أن تعمم الصورة، ليكون الجزء معبراً عن الكل في محاولة لإلصاق التهمة بالإسلام مباشرة، إذ المطلوب يتحدد في اتهام الإسلام كدين.. ولنا أن ننظر ونتمعن في التداول الإعلامي لكل عمل يقوم به شخص ما، فهو أمريكي أو فرنسي أو ألماني عندما يكون غير مسلم، هنا لا ينظرون إلى الدين بل إلى تبعية الشخص للدولة.. أما إذا كان الشخص مسلماً فعندها يتم تناسي كل شيء غير كونه مسلماً، لتبدو الصورة صورة إرهاب إسلامي بتعميم غريب مريض..ولنا أن نسأل لماذا ؟؟ لماذا يصر الغرب على هذه الصورة والتي تبدو ذات حضور طاغ في الإعلام الغربي ؟؟.

تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة اعترافنا بواقع مترد لا يسر بأي حال.. لكن علينا أن نتبين الطريق بوضوح قبل أن نمضي إلى الامام.. إذ من غير الممكن إبقاء الإشارات التي سبقت على حالها وبالكيفية التي طرحت بها، والأجدى أن نبين التالي:

القول بعدم مناسبة الإسلام للعصر يبدو متهافتاً ضعيفاً عند أي تحليل، فالدين لم يتغير ولم يتبدل في أي وقت من الأوقات.. وقد كان الإسلام وما زال دين علم وعمل وفكر... والأجدى أن نلتفت إلى الحامل لهذا الدين أي إلى أنفسنا كمسلمين.. وليس عيباً الإعتراف بالتقصير الذي يجعلنا ضعفاء إلى هذا الحد، ولا داعي لقلب الحقائق أو إغماض العين وإدعاء صورة لا توافق الحال الذي نحن فيه..

القول بعدم مناسبة الإسلام للعصر يبدو متهافتاً ضعيفاً عند أي تحليل، فالدين لم يتغير ولم يتبدل في أي وقت من الأوقات.. وقد كان الإسلام وما زال دين علم وعمل وفكر...

كان المسلمون الذين بنوا الحضارة والعلم والتقدم والإزدهار، وطوروا وحدثوا وافادوا في كل مجال علمي من طب وإختراع وعمران، وكانوا يحملون الدين الإسلامي الذي نحمل دون زيادة أو نقصان.. ما تغير وتبدل يتعلق بنا كمسلمين وبوجه العموم لا التخصيص، إذ من غير المجدي أن يبرئ كل واحد منا نفسه، ويضع اللوم في التقصير على الآخرين..

كان فصل الدين عن الدولة بالنسبة للغرب قائماً على أساس علمي، لأنهم عانوا ما عانوا من تدخل الكنيسة التي حاولت تحجيم العقل والعلم وكل دعوة للتطور.. بينما لا نجد مثل هذا في الدين الإسلامي.. الدين الإسلامي يدعو إلى العلم والمعرفة والتطور والتقدم والبناء، ولا يضع أي حد لذلك.. أيضاً يمكن

قراءة ما وصل إليه الأولون الذين فتحوا أبواب العلم والتعلم واسعة، وسعوا إلى التطور والتحديث والتقدم دون وجود أي عائق، بل كان هناك دافع دائم ومحرض متصاعد على العلم والمعرفة والبناء والتطور والتقدم..

ما كان الإسلام في يوم من الأيام إلا الدين الذي يدعو إلى المحبة والتسامح والخير لكل الناس، وإذا كان البعض قد خالف هذه المرتكزات واشتط في إبتداع صور من تلك التي نراها في الراهن، فهذا شيء معبر عن الأشخاص وليس عن الدين.

وكل ذي عقل نير يمكن أن يرى أن الشطط والمغالاة والاعتداء أشياء تصدر عن كثير من الناس دون الرجوع إلى الدين هنا، إذا لو كان الدين هو الذي يدعو إلى ما يقومون به، لما كانوا قلة محدودي العدد.. فأي مسيحي يقوم بالإعتداء أو تفجير مكان ما، لا يكون من المنطق أو إعمال العقل، الإشارة إلى الديانة المسيحية على انها ديانة تدعو إلى القتل والتدمير.. كذلك الأمر بالنسبة إلى المسلم.. فالتعميم لا معنى له ولاجدوى منه..

إذا مضينا خطوة إلى الأمام في تحديد اسباب الضعف والتقصير والتراجع عن مواكبة الركب العلمي، وجدنا أن المسؤولية تطال الجميع دون استثناء.. وفي النظر إلى الكل قبل التعامل مع اللبنة الأساسية لتكون المجتمع أقصد الفرد المسلم، أجد أن المجموع يسيرون في خط غير واضح من التعامل مع الدين الإسلامي ككتلة واحدة، تأخذ الجزء وتترك الكل.. فالمجموع، وبما يعني المجتمع، أخذوا العبادات وتركوا العمل والعلم والبناء وتعمير الأرض، فهم في أحسن الأحوال يرون أن شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، تكفي تنفيذاً ليكون الإسلام كاملاً ولينال المسلمون ما يريدون من أجر ونعيم وسعادة في الدنيا والدار الآخرة.

لا أحد يجادل في أن الإسلام بني على هذه الأركان الخمسة، فكانت أساساً وأركاناً.. لكن أيمكن أن يكون الإسلام كله صياماً وصلاة وزكاة وحجاً وقبلها شهادة لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ؟؟ أين التكليف وما معناه، والإنسان مكلف من بين المخلوقات بالخلافة وما تقتضيه في الأرض..أنقول أنه لا حاجة لأي شيء آخر ما دمنا نقوم بهذه الأركان الخمسة؟؟ أين التعامل بين الناس؟؟

يأتينا الغرب بألف شكل وشكل، ونحن نأخذ منه الكثير ظناً منا أننا نأخذ مايزيد دون أي ضرر، ننسى أو نتناسى أنه من خلال مانأخذ نتكيف مع الأشياء التي يطرحها وبالطريقة التي يريد.

أين العلم والعمل والبناء والتشييد والتجريب والخطأ والصواب؟؟ على أي شيء كان امتداد الرسالة على مدى ثلاثة وعشرين عاماً ؟ وهل كان القرآن الكريم والسُّنة تفسيراً ودفعاً من أجل هذه الأركان الخمسة ليس إلا؟ إن في ذلك ابتعادا كبيراً عن فحوى ومعنى الدين الإسلامي، هذا الدين الذي جاء ليكون دين عمل وعلم قبل أي شيء آخر.

المسلم الفرد هو في البداية والنهاية أساس الجماعة ولبنتها البانية. وطبيعي أن اللبنة الطيبة القوية العالية إنما تشكل مع غيرها المماثل لها بناءا شامخاً متميزاً.

إبتداء من هذه النقطة أميل لتناول حياة الفرد التي تصب بشكل طبيعي في المجموع.. فالمسلم الفرد هو في البداية والنهاية أساس الجماعة ولبنتها

البانية، والعكس صحيح حين تكون اللبنة غير جيدة، فإنها تشكل مع مثيلاتها بناءً ضعيفاً غير متماسك.. وأي دراسة يجب أن تأخذ هذا الفرد لترى إلى أي حد وصل التقصير الذي يعني بشكل طبيعي المساس بالمجموعة.. فالمجتمع والدولة والأمة، عبارة عن مجتمع أفراد.. وهنا لا يأتي دور الفرد كحالة إستثنائية معزولة عن المجتمع.. التناول يقصد الفرد الجمعي بشكل ما، حيث تتشابه الأفعال إلى حد ما بين الأفراد، ليكون الواحد دالاً على الآخرين.. فكيف يتعامل المسلم الفرد مع العصر وتحدياته؟ وهل ينظر إلى كل شيء من خلال دينه ليحقق المعادلة الصحيحة في الحياة الدنيا والدار الآخرة؟؟

نأخذ الصلاة والصيام والزكاة والحج وشهادة ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لننظر في الغايات المتوخاة، وفي صورة تعامل المسلم مع هذه الغايات.. ونعرف جميعنا معرفة يقين أن هذه الأركان الخمسة إنما تدفع إلى التعاون والشعور بمعاناة الآخرين والتآلف والتكاتف، ودفع الفقر والعوز عن أفراد المجتمع المسلم، وتدفع أيضا إلى التفكير والتبصر وتبادل الرأي والمشورة والرحمة، كما تدفع إلى النظر في أمور المجتمع المسلم والعمل على إبعاد وتجاوز كل تقصير والبحث الدائب الدائم عن كل ما يبني ويعني البناء..

أين المسلم من كل هذا في الوقت الراهن؟؟ تبدو الإجابات صعبة شائكة.. أيعني هذا أننا نلجأ إلى تنفيذ الأركان دون العمل من أجل الغايات المرتجاة ؟؟.. أيعني هذا فصل العمل عن مؤداه ؟؟.. لماذا لا نجد مجتمعاً متماسكاً متعاونا متآلفاً؟؟ لماذا يتفشى الفقر والتخلف والضعف؟؟ لماذا لا نحقق التقدم والرفعة والتطور ما دمنا نؤدي الأركان الخمسة كاملة غير منقوصة ؟؟.. ألا نخشى من كون الأداء غير مكتمل، أو انه أداء آلي لا نذهب فيه حد التداخل الكلي مع الغاية والعمق والمعنى الحقيقي؟؟.. الإجابة تأتي من خلال قراءة الواقع، وهي إجابة لا تسر.. فهل كان الفرد المسلم منعزلا عن فحوى ومغزى وعظمة الدين الإسلامي، أم أن في الأمر شيئاً آخر يدل عليه التمحيص والتحليل ؟؟.

أشرت سابقاً على أن المسلم المعاصر يؤدي الأركان الخمسة أداء قد يكون غاية في التكامل من جهة الأداء، لكن الاداء وحده لا يكفي، إذ من الواجب العمل بمقتضى هذه الأركان..

نفي الفرد الآخر يقود إلى مجتمع ينفي المجتمع أو إلى مجتمع ينفي ذاته وكيانه.

والمسلم المعاصر إنفصل تماماً عن العمل بمقتضى وغايات هذه الأركان إلى جانب إنفصاله عن كتلة الدين الإسلامي الشاملة الكبيرة، مما أوجد أرضاً غير متماسكة.. كل واحد منا إنعزل تماماً عن المجموع ليشكل عالما خاصاً به، عالماً مكتفياً بفرديته، عالماً قائماً على منفعة الأنا وتجاهل منفعة المجتمع الإسلامي ككل.. إن الخطر الذي نجده في مثل هذه العزلة الفردية يعم ويشمل ويؤثر على المجموع.. ولا يظن ظان أن الخروج للعمل والشراء والبيع والالتقاء في المساجد في صلاة الجماعة إنما هي تعبير عن اللقاء والتواصل والتآلف والتآزر والعمل من أجل المجتمع.. فالفردية، أو لنقل العزلة إنما تعني الإكتفاء بدائرة الأسرة في أحسن الأحوال، وبالذات المفردة في كثير من الحالات توطنت النفس هنا على رفض العالم الخارجي على أنه عالم لا يوافق البنية الأخلاقية للفرد.. وننسى أو

نتناسى أن الفرد الذي يرفض إنما يشكل جزءاً من هذا العالم، وأنه والبقية الباقية الشكل العام للمجموع.. فنفي الفرد الآخر في المجتمع إنطلاقاً من أنه لا يوافق أخلاقي وديني وتركيبتي النفسية، يعني تكراراً متلاحقاً لصورة واحدة تنفي الفرد الآخر على الدوام، وهذا يقود إلى مجتمع ينفي المجتمع، أو إلى مجتمع ينفي ذاته وكيانه، وهذا بطبيعته يقود إلى التفكك والضعف والتخلف والتراجع، لتبدو الصورة على ما هي عليه الآن..

طبعاً تأثير الزمان بكتلته المتسارعة شعوراً وإحساساً يجعلنا نرتد نحو الذات بشيء من الخوف والخشية، ولكن ارتداد الآخرين في العالم لا يؤثر، كون كل واحد منهم يعمل ويساهم في بناء المجتمع بشكل ما.. فالإرتداد هناك وإن كان حالة سلبية، فإنه بشكل ما مفتوح على اللقاء والتوافق.. بينما نجد أنفسنا في حالة إرتداد سلبية تزيد في عزلتنا وتخلفنا، لأننا لم نبن من قبل البناء المتماسك القائم على العلم والتطور والتقدم الذي نشهده دون أن نشعر أوجدنا فجوة بيننا وبين العالم الغربي من جهة التطور التقني والعلمي.

إن مجتمعنا يصير الميزان فيه ميزان مصلحة مادية ليس إلا فهو مجتمع يسير بخطى حثيثة نحو الضعف والتفكك والإنهيار.

لا مبرر لنا.. فديننا يحض بل يدعو إلى العلم ويعطيه مكانة رفيعة عالية، كما يدعو إلى التفكير وأعمال الفكر والتفكر..

إن الفرد في المجتمع المسلم، قد خضع بشكل من الأشكال إلى المنحى المادي أو لنقل إلى أي عمل يجلب المال، ولأن مجتمعاتنا ـ وهذا أيضاً لا ينفصل عن التركيبة الفردية والجماعية ـ لا تقدر العلم حق قدره، ولا تعطي للعلم والعلماء المكانة اللائقة والمناسبة، ولا تأخذ العلم الذي حض عليه الدين الإسلامي وأراده ووضعه في أعلى المراتب، كما يجب أن يؤخذ مكانة وتقديرا.. فقد تراجعت أهمية العلم إلى الوراء، ليحل مكانها منطق المصلحة المادية.. الجميع يريدون ما يضخ المال، وليس مهما أن يكون ذلك مرتبطاً بالابتعاد عن العلم أو غير مرتبط.. ولا ننسى أن قراءة الواقع الراهن تحيلنا إلى شيء غريب في النظر إلى العلم والمتعلمين، فالأكثرية تلجأ إلى ما يؤمن مركزاً إجتماعياً ومعه المال، مما جعل كل فرد يطمح لدراسة الطب والهندسة والحقوق والصحافة والصيدلة لا ننكر أهمية كل فرع من هذه الفروع وحاجة المجتمع إليه، لكن حين يكثر الأمر ويزيد على الحد، تقل أهمية الطب وسواه، وتختل المعادلة الصحيحة في أي مجتمع..إذ من غير المنطقي أن تترك فروع كثيرة وعلوم متعددة يحتاجها المجتمع كما يحتاج الهندسة والحقوق بدعوى أن هذه الفروع الأخرى لا تؤمن المردود الإجتماعي والمادي الجيد.. إن مجتمعاً يصير الميزان فيه ميزان مصلحة مادية ليس إلا، هو مجتمع يسير بخطى حثيثة نحو الضعف والتفكك والإنهيار.. ميزان المادة أخطر ميزان، حين يتحول إلى ميزان واحد.. على الفرد المسلم أن يفكر في أبعاد الميل إلى المال والمادة كميزان وأن يتفكر ويتبصر في الطريق الذي نسير فيه كمجتمعات مسلمة غير منتجة وغير فاعلة ومؤثرة على صعيد العلم والصناعة والتجارة. لماذا نزل العلم إلى الدرجات الدنيا، وصار المتعلمون بعيدون عن الدرجة التي يستحقون مما

الأعمال غير المنتجة والأعمال المستهلكة غير المبدعة تضع المجتمع في حالة تبعية تزيده ضعفاً وتفككاً.

أضعف الإهتمام بالعلم وما عدا الإلتفات إليه كما كان من قبل.. كان ديننا الإسلامي وما زال دين علم ومعرفة وفكر، فأين نحن كأفراد وجماعات من هذه القيمة العالية للعلم ؟؟.. هل تتقدم المجتماعات وترتفع وتعلو قيمة إذا جعلت العلم في حالة إنحدار وترد ؟؟.. كيف لمجتمع يطغى الجهل فيه أن يبني ويرفع ويعلي البناء؟؟..

ولأن العلم قد نزل إلى الأدنى، فقد صار العمل المثمر في حالة غائمة بالنسبة للمسلم الفرد.. العمل جوهر التكليف والقيمة التي توضع في الميزان يوم الحساب.. والمجتمع الإسلامي بحاجة للعمل البناء المثمر الصالح المفيد.. هذا المجتمع يبني بالعمل وترتفع أعمدة الحضارة فيه من خلال العمل.. ولا أحد يستطيع أن يقلل من قيمة أي عمل ما دام هذا العمل صالحاً مفيداً بناء.. لكن حين تتحول الأعمال كلها أو معظمها إلى أعمال غير منتجة، أو أعمال مستهلكة مقلدة غير مبدعة، نكون قد وضعنا المجتمع كله في حالة تبعية مطلقة، هذه التبعية التي تزيد الضعف ضعفاً والتفكك تفككا.. وطبيعي أن يجرنا الغرب إلى هذا الموقع كي يطيل زمن السيطرة على خيراتنا وبلادنا وأفكارنا.. ولا نظن أن الإحتلال والسيطرة لا يأتيان إلا عن طريق الإحتلال المباشر من خلال الجيوش والوجود العسكري المادي والملموس، فكم من احتلال يمارس باشكال عديدة يجعل المجتمعات خاضعة لسيطرة هذا المحتل، وطبيعي أن تكون التبعية الاقتصادية شكلاً من أشكال الرضوخ للإحتلال.

يأتينا الغرب بألف شكل وشكل، يدخل إلى شوارعنا وبيوتنا وأفكارنا ومشاعرنا.. فنحن نأخذ منه الكثير ظناً منا أننا نأخذ ما نريد دون أي ضرر، وننسى أو نتناسى أنه من خلال ما نأخذ نتكيف مع الأشياء التي يطرحها وبالطريقة التي يريد.. يسرب إلى مجتمعاتنا الأفكار والمواد والصور، ليوجد احتلالا مقنعاً يلف يده بقفاز من حرير.. ولا يظن ظان أننا نرفض أخذ ما يأتي إلينا بشكل كلي، إذ من المنطق أن نأخذ لكن بقدر وبميزان وبحكمة.. ثم علينا أن نأخذ ما نحن بحاجة إليه.. وقبل كل ذلك أن نخرج من أسر الإستهلاك شيئاً فشيئاً بإيجاد مجتمع منتج ينتج ما نحتاج إليه ويعتمد على اليد المسلمة والعقل المسلم.. لا نقول إن ذلك يأتي بين ليلة وضحاها، إنه يحتاج إلى زمن قد يطول.. كم من الزمن مر ونحن نعيش حالة الإستهلاك ونستمر في الكسل والتراخي في هذه الأمور؟؟. طبيعي أن يعمل الغرب على إطالة احتلاله المقنع هذا، وأن يربط مصالحنا أكثر فأكثر به.. والسؤال أين نحن من كل ذلك؟ لماذا لا ننهض ونبحث عن مصالحنا بشكل صحيح؟. الغرب بحاجة إلى بترولنا والكثير من منتجاتنا الطبيعية، فلماذا لا نوظف هذه الحاجة لتكون خطوة إيجابية لمصلحتنا، فنأخذ المصنع والمعمل وعلوم الصناعة لنجعلها داخل نسيج حياتنا ومجتمعاتنا؟. كل هذا الإنزواء والارتداد إلى الذات الفردية، يولد علماً مبتوراً ناقصاً وتوجهاً تبعياً.. ولا نبتعد في هذا عن صورة التفكك التي تصيب المجتمع جراء هذا الانعزال، فالفرد مكتف بذاته متقوقع في عالمه الصغير، ساع إلى فائدته دون النظر إلى فائدة المجتمع.. وإضافة إلى ما سبق أصبح الفرد بعيداً عن محيط التزاور والتآلف

علينا أن نخرج من أسر الاستهلاك شيئاً فشيئاً بإيجاد مجتمع منتج ينتج ما نحتاج إليه ويعتمد على اليد المسلمة والفعل المسلم.

ومساعدة الآخرين.. الأخ بعيد عن أخيه، فكيف سيكون قريباً من بقية أفراد المجتمع؟. صلة الرحم تركت للمناسبات التي تمر في السنة مرتين أو أكثر قليلاً، وقد ينسى التواصل حتى في هذه المناسبات مع الزمن.. ماعاد الفرد المسلم يهتم بأسرته من الأقارب، فكيف يهتم بأفراد المجتمع من جيران وغيرهم؟. ما عاد الجار يهتم بالجار، بسعادة الجار براحة الجار بمصلحة الجار.. فكيف يبني مجتمعاً لا يكون فيه الفرد مهتماً بمصلحة غيره؟؟

أعيش في حي شعبي هو حي الشيخ محيي الدين، وهو حي معروف بدمشق.. من قبل كان هذا الحي مثالاً للتالف والتكاثف والتعاطف والتزاور والتقارب..كانت أنة المريض تلم الناس وتجمعهم وتضمهم.. كان الفرح كما الترح، فرح أو ترح الجميع.. كل شخص يعرف عن جاره القريب والبعيد وعن أحواله الكثيرة، فإذا وقع الجار في محنة رأيت الكل يلتمون للمساعدة.. كانت القلوب ملينة بالمحبة.. كانت النفوس عامرة بالطيبة والرحمة.. يأتي العيد فتملأ الزينات الشوارع والبيوت، ويكون الفرح عاماً شاملا.. فماذا جرى؟؟.. كل شيء تغير وتبدل وما عاد كما كان.. لماذا؟؟.. هل تغيرت الشوارع والأمكنة والمناسبات؟؟.. هل تغيرت الأحاسيس والمشاعر ونبض القلب؟؟.. ما الذي تغير؟؟.. النفوس ماعادت هي النفوس التي كانت صافية عامرة بالحب..قد نقول إنه الزمن وفعله.. قد نقول إنه وقع العصر الحديث.. لكن لو كنا متمسكين بما يدعو إليه ديننا من محبة وتآلف وصدق وتآزر وتقارب.. أكنا نصل إلى ما وصلنا إليه من تراجع وتفكك وتباعد ؟؟.. أكنا نجد واقعنا على هذه الحال من التراجع ؟؟..

وقد نجد في هذا المجال موضوعة من أخطر الموضوعات تتعلق بالحرية والديمقراطية..ونعرف أن الديمقراطية تتمثل بإتاحة المجال لممارسة الحرية.. ولننظر إلى الحرية من خلال السؤال: هل توجد حرية في المجتمعات الإسلامية في الوقت الراهن ؟؟

أي ادعاء بوجود هذه الحرية تدحضه صور الواقع في مجتمعاتنا الإسلامية، فالمعاناة شديدة من التضييق ونسف الحريات وجعل الفرد في المجتمع مقيداً مكبلاً.. طبعاً مثل هذا الأمر يتعلق بالحكومات والأنظمة في المجتمعات الإسلامية، فهذه الأنظمة والحكومات تضيق على الفرد المسلم في كل مجال، ولا تترك له أي نسمة من نسمات.. ذلك أن هذه الأنظمة سيئة الظن بالناس، وترى أن الحفاظ على السلطة إنما يكون بتقييد الحريات.. ومثل هذا التفكير يقود إلى جعل الفرد مفتقراً إلى الفضاء الذي يعطيه هواء نقياً يساعده على الإبداع والعمل والإختراع والبناء، كما أنه يقود إلى ربط الفرد بملاحقة قوت يومه.. هذا الجو المشحون دائماً بالخوف والخشية وتضييق الحريات، يزيد في عزلة الفرد وإنطوائه على نفسه.. فهل كانت الحريات في الإسلام هكذا ؟؟..

يمكن للدين الإسلامي أن يكون مرجعاً حقيقيا وشاملاً للحريات بكل أشكالها.. وفر الإسلام الحرية على صعيد الفرد، فكان الإنسان حراً في فعله وتفكيره وتصرفاته وأعماله إذ هو في النهاية رهين بما كسب، فله مطلق الخيار أن يفعل ما يريد، وأن يفكر بما يريد، ولنا هنا أن نعود إلى ثمرات هذه الحرية العقلية والعملية والفعلية فيما سبق، لنجد أنها بنت أروع حضارة قوامها الإنطلاق من الأساسيات والمفاهيم والتوجيهات التي وضعها ديننا الإسلامي ومدارها انتشار العلم والمعرفة والتقدم والتطور والبنيان والإختراع.. فالحرية بالنسبة للمسلم تفتح المجالات

واسعة دون حدود.. كما وفر الإسلام ونادى بالحريات في المجتمع، فشمل ذلك كل شيء من تجارة واقتصاد وإبداء رأي وتفكير وإبداع، مع توفير الظروف المناسبة لكل ذلك.. فالمجتمع كل متكامل يسعى ويعمل على توفير هذه الحريات وحمايتها من أن تمس.. فالكل ضمن هذه الحريات آمن مطمئن قادر على الفعل والعمل كيفما شاء، ولأنه كذلك فقد ساهم بشكل طبيعي برفد مجتمعه والعمل على تماسكه وتآلفه وترابطه.. إن الأرضية التي وفرها الإسلام من حرية وحريات كانت خير دافع ومحرك للبناء والتطور والإبداع دون حدود..

نحن في حاجة للكثير حتى تتخلص مجتمعاتنا الإسلامية من التخلف والضعف والتفكك.. أولها أن ننظر إلى تقصير كل فرد والاعتراف بهذا التقصير للعمل على تجاوزه.. فالنظر إلى الذات بعين الرضا دائماً، بينما نجد الآخرين مقصرين، لن يوصلنا إلى ما نريد من تقدم وتطور وعلم ونفع لديننا الإسلامي.. لنكن واقعيين في التعامل مع أخطائنا وتقصيرنا حتى نداوي هذا التقصير.. فضعف المجتمع مسؤولية عامة تشمل كل فرد، ولا تعني فرداً معيناً أو فئة من الناس.

أرى أن ننطلق «دون تفريق أو ترتيب زمني، بل علينا أن نجعل كل النقاط تسير معاً».

من النقاط التالية:

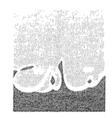
- ❖ العودة إلى نبع ديننا المتمثل في القرآن والسُّنة، والإنطلاق منهما وعلى هديهما عملا.. فالأخذ بالقرآن والسُّنة يجب أن يكون نهج حياة.. القراءة لا تكفي، بل علينا العمل بما جاء في القرآن والسُّنة.. وحين نقرأ هذين المصدرين بروية وتفكير وتبصر، نعرف أن العمل بما جاء فيهما واجب.. فهما يضعان أروع منهاج للحياة، وهما يحضان ويحثان على العمل بما جاء فيهما:. هذا المنهاج هو خير منهاج، ومن يعمل به يكون دأبه التقدم والتطور والتعلم والمضي قدماً نحو الأفضل..
- ❖ العودة إلى منهج الأخلاق في الإسلام والتمسك به قدر المستطاع.. ونعرف أن منهج الأخلاق في الإسلام لا يترك صغيرة أو كبيرة، وليس هناك منهج يساويه أو يشابهه، فهو يقدم كل ما يحتاجه الإنسان في حياته ليعيش في الدنيا حياة سعادة وليكون زاده من الأعمال الصالحة التي تنفعه في الدار الآخرة خير زاد.. هذه المدرسة المتكاملة من فيض الخلق الحسن، تجعل التقارب بين المسلمين، والتعاطف والتآزر على أحسن حال.. كما أن هذه الأخلاق تدفع بشكل حقيقي وفعال لبناء المجتمع..
- ❖ إعطاء الأركان الخمسة حقها الطبيعي من العمل بها، إذ لا يكفي أن نؤدي العبادات شكلا، بل علينا أن نعمل بفحوى وغايات هذه العبادات.. والتواصل مع كل ركن من الأركان الخمسة، عملا يفتح أمامنا كل السبل لبناء مجتمع إسلامي قوي..
- ❖ أخذ الدين الإسلامي والعمل بمضمونه دون ترك هذا أو ذاك.. فالدين الإسلامي كل متكامل شامل، وهو يبني الفرد والأسرة والمجتمع، ويدفع ويحض على العلم والتفكير والتقدم والإزدهار.. إذ من غير المنطقي أن نترك أي شيء من هذا الكل المتكامل.. وطبيعي أن العمل بالكل إنما يجعلنا نبني مجتمعاً حضارياً متقدما قوياً متماسكاً..
- ❖ أخذ أساسيات العلم من الغرب وتمثل كل تطور.. وهذا يفترض الأخذ للبناء والتطوير والتحديث، لا

للإستعمال والاستهلاك المؤقت ليس إلا.. فخطانا يجب أن تكون مدروسة للوصول إلى التطور الذي نريده علما وبناء وتقدما.. كما أخذ الغرب الكثير منا واستفاد منه في نهضته العلمية، فلا ضير في أن نأخذ ونستفيد ونطور.. وإذا كان الغرب قد سبقنا كثيراً في المجالات العلمية، فلا يعني هذا أن نسلم بالأمر الواقع ظناً منا أنه لا يمكن أن نصل إلى ما وصلوا إليه.. فكما وصلوا يمكن أن نصل، وكما تقدموا علميا يمكن أن نتقدم..

- ❖ توفير الحرية لأنها الأرضية الخصبة للبناء والتطور والتقدم.. ولا حاجة لتحميل كل شيء للقضاء والقدر، وكأننا نهرب من أعمالنا وأفعالنا التي قمنا بها بمحض إرادتنا وكامل حريتنا.
- ❖ إعادة القيمة للعقل الذي ميز الإنسان وكان التكليف على أساسه.. فالعقل يفتح المجالات واسعة للسير قدماً إلى الأمام.. وحين نصر على إلغاء العقل نسعى بإرادتنا لتثبيت التخلف والضعف والتفكك في المجتمع.. والعقل هو الذي يطور العلم، وهو الذي يوجهنا نحو العمل بكل ما جاء في ديننا.. وتعطيل عمل العقل يبعدنا عن التفكير الإيجابي بكل ما يحيط بنا، كما أن التعطيل يجعل كل العبادات مجرد شكل ظاهري.. فالعبادة عبادة تفكر وتذكر وتبصر وعمل.. فهل من حقنا أن نوقف عمل منحة وهبَة إلهية بهذا القدر من التميز؟؟..
- ❖ العودة إلى الإجتهاد من قبل علمائنا بما يقرب معطيات العصر ويوضح الصورة للمسلمين عامة، إذ لا يمكن أن نأخذ ما طبق في الماضي لنطبقه على الحاضر، لأن الإختلافات بين الزمنين جد واسعة.. وباب الإجتهاد مفتوح على وسعه لا يغلق.. علماؤنا في الماضي وضعوا واجتهدوا فيما يوافق الزمن الذي كانوا فيه، وما قدموه يبقى لزمن عاشوه، والمسلم اليوم بحاجة إلى إجتهاد يبين له الكثير.. نعلم أن المسلمين عامة يتوقفون عند كل تطور علمي أو اختراع جديد وقفة الحيرة والتردد والشك.. ولأنهم لا يجدون أجوبة شافية يضيعون ويفضلون ترك الجديد.. وحين يجتهد العالم ويبين يساعد في دفع العلوم في المجتمعات الإسلامية إلى الأمام..طبعاً الأساس في كل تطور وإختراع ينطلق من طريق استعمالنا له، وفي قدرتنا على توظيفه للمصلحة العامة..لكن هذا لا يعني أن نترك الحبل على الغارب، فالإجتهاد ضروري في عصرنا الراهن، كما كان ضروريا في كل وقت.
- ❖ الإنتباه لأهمية الإعلام والثقافة وتوظيف كل ذلك لما نريد من بناء وتقدم، وليس كما يريد الآخرون ممن يصدرون لنا مادة إعلامية تخدر العقول وتبعد الإنسان عن العلم والعمل.. الإعلام بكل صوره وأنواعه يؤثر تأثيراً لا مثيل له على المجتمعات، ومن باب الإعلام تتسلل مقولات كثيرة لا توافق مجتمعنا وديننا..

واجبنا يدعو إلى جعل الإعلام في خدمة قضايانا وفي خدمة مجتمعاتنا وديننا.. وفي خدمة وفائدة كل فرد من أفراد هذا المجتمع.. ومن لا ينتبه لخطر الإعلام وأهميته فهو في هذا لا يزن الأمور بالميزان الصحيح..

وبعد، يصب ما تقدم في محاولة رؤية مجتمعاتنا بكل وضوح، والإشارة إلى الخطأ دون تردد، لأن فهم الخطأ والتقصير، يعني قطع نصف الطريق للمعالجة..قد تحتاج بعض النقاط للنقاش والحوار، وهذا أمر ضروري مادام يصب في مصلحة بناء مجتمعاتنا الإسلامية لتخليصها من الضعف والتفكك والتخلف.



التفوق الثقافي المزعوم

العلاقة لن تكون مثمرة ومجدية إلا إذا تأسست على التعارف

د. بدرو مارتينيث مونتابث*



لن أنسى تلك العبارة التي تفوه بها أحد المشاركين في دردشة إذاعية جرت في اليوم التالي لعملية مدريد المؤلمة التي حدثت في 11/03، لقد قال بكل بساطة وقناعة إن تلك العملية هي خير دليل على قسوة الشرق، تلك العبارة ظلت بمثابة ناقوس الخطر يدق في ذاكرتي دون انقطاع. ان هذا الرأي المجحف والمثير للقلق ينم عن قصر نظر بالإضافة لكونه عارياً تماماً من الصحة أو المنطق، وعلى الرغم من ذلك لم يلق أي ردود فعل أو تعليق، بل ربما لقي الاستحسان لكونه تعريفاً صائباً لما يجول في خاطرة الكثيرين. من البديهي أن الوقع الذي أحدثته تلك العبارة في نفسي لم يكن ناجماً عن وصف تلك العملية بالقسوة، فهو أمر واضح وجلي، ولكن ما أثار قلقي هو اعتبارها صفة ملازمة للمشرق. إن هذا الاستخدام غير المنطقي يحمل في ثناياه أهدافاً شريرة. وليس لي هنا الا أن أوضح أنه لو كان الإستخدام من الجانب الآخر لأثار في نفسي شعوراً مماثلاً.

القول إن المواجهة بين الحضارة الأوروبية ـ الأمريكية المسماة مجازاً الحضارة الغربية وبين الحضارة العربية الإسلامية ـ المسماة مجازاً الحضارة الشرقية ـ تمر في مرحلة حرجة تنذر بخطورة متزايدة لا يأتي بأي جديد، لست بصدد الخوض في الأسباب ومظاهر هذا الصراع، أو المسؤولية عن هذا التصعيد المرعب، فما يهمني هنا هو الظاهرة بحد ذاتها، والملاحظة الاولى التي أسجلها هي أن هذه الظاهرة ناجمة عن فرضية لا أساس لها في إعتقادي، وغير مثبتة أو مدروسة بتعمق، تقول إن الحضارة الغربية (حضارتنا) متفوقة على حضارة الشرق (حضارتهم)، ليس فقط من حيث الموقع أو المكان، بل من حيث الأسس، وليس من حيث التقاليد بل من

> **الخطأ في التقدير يعود بشكل رئيسي إلى الجهل أو عدم الإلمام الكافي بتلك الثقافة أو الحضارة، أي أن السبب هو الإهمال الكامل لما يدور حولنا، وهذا يمثل أحد العيوب التي نتميز بها.**

* أستاذ كرسي للغة العربية في جامعة أوتونوما بمدريد/ رئيس جمعية المستعربين الإسبان.

حيث المبادئ، وليس من حيث التطبيق بل الجوهر والمنطلق، هذا التفوق لا يقتصر على الكم، بل يشمل النوع، كما لا يقتصر على الظروف الآنية أو الفنية أو المادية، بل تفوقاً في القيم، أي بعبارة أخرى يعتبر تفوقاً مطلقاً وأخلاقياً.

لقد توصلت إلى قناعة شخصية بأن هذا الخطأ في التقدير يعود بشكل رئيسي إلى الجهل أو عدم الإلمام الكافي بتلك الثقافة أو الحضارة، أي أن السبب هو الإهمال الكامل لما يدور حولنا، وهذا يمثل أحد العيوب التي نتميز بها. إن هذا الجهل لا يساعد على التريث أو التفكير قبل إطلاق الأحكام، والتعبير عن الآراء، أو تقييم الآخر بل بالعكس تماماً، إن من المذهل أن هذا الجهل بالآخر لا يحملنا على توخي الحيطة والحذر، بل لتأكيد مشاعر التعالي بما نتميز به من عنجهية باعتبارنا حملة حقائق مطلقة وفريدة وغير قابلة للنقاش.

قد يرد عليَّ القارئ ـ وهو محق في ذلك ـ سائلاً: ألا يتصرف الطرف الآخر بنفس الطريقة؟ من الواضح أني لا أنوي الدخول في هذا الباب من النقد المقارن، فأنا أحاول التفكير ومراجعة الذات، أعلم أن الكثير من القراء قد يردون عليَّ بأن التحليل والمراجعة في هذا الظرف لا طائل منها، ولكنني سأتشبث برأيي المضاد لهذا الطرح وتشجيع الجميع على السير في هذا السبيل، تمشياً مع واجب المثقف، وكرامة الإنسان، والأمل في مستقبل الجنس البشري. وأذكر في هذا المجال الملاحظة الحاذقة التي تفوه بها قبل مدة المفكر المغربي عبدالله العروي والتي أرى أنها ما زالت مناسبة وتساعد على توضيح الكثير من الملابسات. يقول المفكر المغربي «في الوقت الذي تقتصر فيه معرفة الحضارة العربية ـ في الغرب ـ على نفر من الاخصائيين فإن كل عربي مثقف هو موال بدرجة أو بأخرى للغرب «مستغرب»، منذ اللحظة التي يتفتح فيها على العلوم الحديثة ينتحل شخصية أوروربية إلى حد ما». أسجل هنا ملاحظة عابرة هي أن المفكر المغربي الشهير لم يتردد في الإعتراف بفضل المساهمة الأوروبية في التفكير العربي، وقد يرد المختزلون والمحجمون منا قائلين إن العرب المثقفين لا وجود لهم، ويقتصرون فقط على أولئك الذين أتيحت لهم فرصة الانتهال من منابع الثقافة الغربية، يكثر الآن عدد الذين يدعون الإلمام بالثقافية العربية ولو أن معرفتهم تقتصر على دورات سريعة في مطالعة الكتب السطحية التي كتبت طبعاً بلغات غربية ـ مصدرهم الوحيد للمعرفة ـ أليس هذا هو العبث بحد ذاته ؟

القضية ليست مرهونة بالوسائل أو السبل المستخدمة بل الأسس المتبعة، والبنية القائمة، ولا تقتصر على الظروف الآنية.

القضية ليست مرهونة بالوسائل أو السبل المستخدمة، بل الأسس المتبعة والبنية القائمة ولا تقتصر على الظروف الآنية، وكما يؤكد الكاتب والشاعر السوري ـ اللبناني (أدونيس): العمى ليس عمى البصر بل القلوب والعقول، وليست الكلمة هي القاسية بل اللسان، هناك من يقول أن هذا حديث نبوي، يعني ببساطة أن القضية تكمن في نوع العلاقة (الدين معاملة).

العلاقة لن تكون مثمرة ولا حتى مجدية إلا إذا انطلقت وتأسست على التعارف والاحترام المتبادل، يجب ألا تكون علاقة مجاملة «متحجرة» بل متحركة وديناميكية ومتنامية، تتجاوز التحديات وتغربل الشوائب، كما يجب أن تكون علاقة باتجاهين، «متبادلة» ومتوازنة. ضمن عملية التعارف والتبادل لا يجب أن تكتفي بالقشور، لا بد من التمسك بالعمل الدؤوب الذي يساعد على تجاوز الصعوبات والتحديات من خلال التصميم والإرادة الصادقة.

التعارف والاحترام المتبادل هو بمثابة القنطرة أو السبيل الذي يقود إلى تقبل الآخر، ويسمح بالتنازل والتفاهم المتبادل والإلمام بكل ما يحيط بالآخر من ملابسات، هذا هو الطريق الوحيد الذي لا مفر من السير فيه من أجل تحقيق هدف التعايش الذي نطمح له، وهو الأمر الذي يبدو لي أن الجميع يسعى أو يدعون السعي من أجله، وأي طريق آخر سيقودنا لا محالة إلى الاستكانة للظلم والسيطرة والتوحش، حتى وإن موهت بأي قناع من أقنعة الثقافة المزيفة.

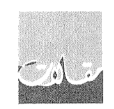
المطالبة بهذا والتمسك به في هذه الظروف التي تتميز بهبوب رياح عاتية تهدد بحملنا نحو مستقبل ليس ببعيد يبدو كابوساً مفزعاً ومرعباً، لا بد من العمل الدؤوب لتفادي هذا الإحتمال.

لايمكننا الاكتفاء بدور المتفرج على الجرائم التي تقترف من قبل الإرهابيين والمستعمرين الجدد، لأن الصمت على ما يجرى سيضع الكثير من علامات الإستفهام على آدميتنا، وسيجردنا من أعز ما نملك، أي الحياة الكريمة، وكما يقول العرب: الساكت عن الحق شيطان أخرس.

قرنت متعمداً بين الإرهاب والاستعمار الجديد، وهذه ليست محاولة مني لمسك العصا من الوسط، بل لشعوري بأن الطرفين لا بد من مواجهتهما، ووضع حد لنزعاتهما ونزواتهما، هذا يستدعي مواصلة الكفاح من أجل الحرية والعدالة، وهو السبيل نحو الحضارة الأصلية. إن من بين الطرق التي يمكن سلكها لتحقيق الحرية والأمن ومكافحة الأعمال الإجرامية البدء في تحليل ودراسة متفحصة لمصادر وجذور هذا الخطر، والأسباب التي أدت له، والآليات والطرق التي يستخدمها، والمقاصد التي يسعى إلى الوصول إليها، هذا أمر لا بد من العمل على تحقيقه، وأي وسيلة أخرى لن تقود سوى إلى مزيد من الوحشية بغض النظر عن الفاعلين أو المسميات. السبيل الوحيد لتحقيق ذلك هو الحوار والكلمة، وهو الأمر الذي ينادي به الجميع على ما يبدو، وعدم السير في هذا الدرب قد يكون ناجماً عن الكلل أو العناء، وربما الجبن والخوف والعجز عن استيعاب مبدأ التعايش بكل أبعاده، والنتيجة ستكون خطأ فادحاً، لتحقيق هذا الهدف هناك وسيلتان رئيسيتان: هما التربية والثقافة، يجب أن نستثمر المزيد من الأموال في مجال الثقافة والتربية، وهما العاملان الوحيدان اللذان يضمنان للإنسان التنمية المستديمة، ومن لم يتحمل عناء هذا الجهد فلن يكون إنساناً بمعنى الكلمة، بل متوحشاً، وقد أشار إلى ذلك أدونيس المذكور أعلاه عندما قال «المشكلة لا تكمن في العلة التي تواجه الثقافة، وليست الثقافة العربية الإسلامية هي الوحيدة التي تعاني من هذه العلة بل ربما أن الحضارة ككل هي المعلولة، ففي الوقت الذي نبذل فيه الجهود الصادقة لمعالجة هذا المرض الثقافي نطالب بعدم وضع الحواجز والعراقيل في مختلف جوانب هذه الحضارة وفروعها، لأن ذلك سيؤدي إلى القطيعة الكاملة ويعمق من الهوة. لنعمل معا لتفادي ذلك».

العلاقة لا تكون مثمرة ولا حتى بجدية إلا إذا إنطلقت وتأسست على التعارف والاحترام المتبادل، يجب ألا تكون علاقة كاملة متحجرة بل متحركة وديناميكية ومتنامية تتجاوز التحديات وتغربل الشوائب.

الصمت على ما يجرى سيضع الكثير من علامات الإستفهام على آدميتنا، وسيجردنا من أعز ما نملك، أي الحياة الكريمة، وكما يقول العرب: الساكت عن الحق شيطان أخرس.



المصطلحات العلمية العربية تعريب أم تغريب؟

عمر لطفي العالم *

أحصر همي في هذه الدراسة ضمن مسألة مهمة طالما دار حولها الجدل وهي قدرة اللغة العربية على مجاراة العلوم الحديثة وتسارع الثقافة، مستفيداً في ذلك من تجربة لي سابقة في مجال النقل عن إحدى اللغات الحية.

وقد يتعين عليَّ أن أشير ابتداء، إلى أن عملية النقل بفرعيها (الترجمة والتعريب) أعم من أن يحيط بها حافظ واحد، فعصرنا هذا هو عصر التخصصات، والإقدام على فعل مشابه يقتضي بالضرورة درجة مقبولة أو حداً أدنى بمعرفة (الحامل اللغوي)، وإلا كانت فكرة النقل من منظومة لغوية إلى أخرى ضرباً من العبث.

أود أن ألاحظ أيضا بأنني - في هذا التناول - غير معني بالتصريح على الجانب الأدبي في موضوع النقل، خشية الالتباس أو الاعتقاد بأن قدَم المنهج قد زلت بي، فلم يُعد هذا الباحث المبتدئ يُفرق بين حدود اللغة وحدود الأدب.

إن ما أريد الوصول إليه تحديداً هو مناقشة المصطلح (اللغوي العلمي Term) لدى الطرفين من خلال المُقابل (Paralell)، وما إذا كان ذلك هو الطريقة المثلى لتأسيس قاعدة علمية لغوية عربية، ترأب صدع العجز الغائب وشق الطريق نحو المستقبل: وللحق فإن حملات التشكيك في أهلية اللغة العربية، وقدرتها على استيعاب المستجدات لا سيما التطبيقي منها في جانب، أو حظها في الانفتاح والتكيف مع اللغات الحية الأخرى في جانب آخر، لم تتوقف منذ مطلع القرن قبل الماضي. أول وتجسد ذلك في إطاره الواسع - على ما أرى - في كتاب للمؤرخ الألماني (هانز هاينريش شميدت) ترجمة عبد الرحمن بدوي (ط. بيروت 1949) ، وقد أرجع

* كاتب وباحث / سوريا

بدوي في مقدمته إقلاعة الغرب الحضارية إلى التمثل الكامل وغير المنقوص لحضارة الإغريق، وإلى تحفظ العرب المسلمين فيما استقبلوا من ثقافة وعلوم الأقدمين (Antike)، لا سيما الإنسان منها (Humanismu)، وكان يرنو ببصره دون شك إلى اللغة واستبدال العربية باللاتينية (المقدمة ص 12 وما بعدها). وقد لا أضيف إلى مشروع الهجوم على العربية واستئصالها من لغة العلوم (المقروءة والمكتوبة) شيئاً، حين أذكر بما كان لبعض رواد الفكر في مصر (سلامة موسى، أحمد لطفي السيد، طه حسين وغيرهم) من مواقف جريئة من مسألة (العربية) وصلاحيتها للمعاصرة، وليس خافياً أن لهذه الدعوات أصلاً، وأن هذا الأصل لا يعود للمستغربين العرب، بل لمستشرقين معروفين كان على رأسهم لويس ماسينيون الذي عمل وقتاً في المجمع الدمشقي.

وقد تجلت الدعوة بوضوح أكثر على أحد المغرمين بالعربية وكبار أعلامها وأعني به (أحمد حسن الزيات)، الذي اشتكى بمرارة من النحو العربي، وقال في ذلك كلاماً كثيراً كان من بين ماجاء فيه : «عرفت أيام الطب شيخاً قد ابتلي بهذه الشعوذة، فحشا جسمه بهذا العبث النحوي حتى ليرشحه من جلده ويرعفه من أنفه، ثم يتكلم فيتعمد اللحن القبيح، فإذا أنكر عليه منكر انفجر عن هذا الهوس فذكر لكل خطأ وجها، ولكل وجه علة»، ثم يقول في تفيهق وزهو: (لولا الحذف والتقدير، لفهم النحو الحمير)، ويستطرد واضعاً الحرف العربي على المحك : «وزعموا أن شيخاً كبيراً كان يفسر كتاب الله وهو لايحفظه، فرأى قوله تعالى:

﴿إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[سورة الفتح : الآية18]

فقرأها: «أذئباً يعونك تحت الشجرة»، وكتب في تعليلها وتأويلها أربع صفحات من المقطع الكبير بالحرف الصغير، ويختم بالدعوة إلى إصلاح البيت اللغوي من داخله ولكن ليس بهدمه على رؤوس أهله: «ليس من شك في أن دراسة النحو على هذا الشكل تفيد في بحث اللهجات في اللغة، ودرس القراءات في القرآن، ولكن دراسته لضبط اللغة وتقويم اللسان أمر مشكوك فيه كل الشك، نحن اليوم وقبل اليوم إنما نستعمل لغة واحدة ونلهج في الفصيح لهجة واحدة، فلماذا لا نجرد من النحو القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة، وتقوم تلك اللهجة، وندع ذلك الطم والرم لمؤرخي الأدب وفقهاء اللغة وطلاب القديم، على أن لا يطبقوه على الحاضر، ولا يستعملوه في النقد، وإنما يلحقونه بتلك اللغات البائدة التي خلق لها وتأثر بها، فيكون هو وهي في ذمة التاريخ». «الزيات، محاضرات في أصول الأدب ص 175 وما قبلها».

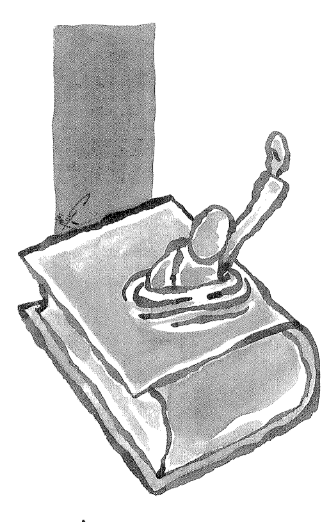
نحن اليوم وقبل اليوم إنما نستعمل لغة واحدة، ونلهج في الفصيح لهجة واحدة، فلماذا لا نجرد من النحو القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة، وتقوم تلك اللهجة.

ثم برز عدد غير هين من المحدثين لإظهار ما سموه قصور نظام الكتابة العربية: المتمثل في إهمال إثبات علامات الحركات إكتفاء برمز الحروف الصحيحة، ما يؤدي إلى الخطأ الصرفي والنحوي، واقترحوا استعمال الرموز اللاتينية في كتابة اللغة العربية، أو بإستعمال النقط في نظام الكتابة العربية بالاستعانة برموز إضافية تشتق من الكتابة الإغريقية واللاتينية بهدف التكامل وسد الفراغ : (تمام حسان، الوصفية والمعيارية، ص10 من المقدمة).

غير أن خطورة الطرح في هذا الكتاب وأشباهه، لا تتجسد في مجرد ماجرت به سنن النجاة العرب ما يسمى (عصر الإحتجاج)، والتجمد لدى القوالب النقدية الموروثة منذ نهاية القرن الرابع الهجري، بل في التبني اللامحدود لمناهج البحث الغربية الحديثة في المجال اللغوي، وفي إحلال مفاهيم وتعريفات جديدة، مآلها أن تؤدي إلى تصدع الصرح اللغوي بكامله في نهاية المطاف.

وجاء وقت ظهر من أنصار العربية والمتحمسين من هاله التعريض بلسان الأمة فجرد قلمه للدفاع عن أهليتها، ولم يلق بالاً لمستوى الصواب المزعوم، نحو أكان، صرفاً أم رسماً، ولم يفهم من الدعوات والإنتقادات المتوالية غربلة اللغة بما قد يكون فيها تقعر، بل عجزاً بيناً عن مواكبة قطر الحضارة الحديثة، وتخلفاً يحمل لغة الضاد الأكبر.

تناول عدد كبير من الكتاب واللغويين والمفكرين هذه المسألة، إلا أن د.عائشة عبدالرحمن في دراسة تحت عنوان (اللغة وعلوم العصر)، كانت أكثر ملامة في طرحها، حين قصدت إلى جوهر الموضوع مباشرة، ووضعت يدها على الغايات البعيدة من وراء الانقضاض على هيكل اللغة بإلباس طروحاتهم ثوب الوفاء العلمي والتشدد المنهجي: «ما زال جيلنا منذ وعي - هكذا يقول - يسمع دعاوى عن عجز العربية عن أداء العلوم الحديثة، حتى كدنا ننسى ماضيها العلمي في عصر الحضارة الإسلامية وفجر العصر الحديث»، «اللغة العربية وعلوم العصر، اللسان العربي، المجلد 13، ص20، وما بعدها». وأشادت الكاتبة بما كان من إنجازات العرب وفضلهم على الأوروبيين في ميادين العلم التجريبي كافة في العصر الوسيط. ثم انتقلت لتُعرف بتاريخ هذه الدعاوي



وتحليل دوافعها: «ثم ما لبثت الفكرة أن جاوزت مجالها المحدود، في القول بعجز العربية عن العلم الحديث، إلى دعوى تعلن أن تخلفنا العلمي والقومي والحضاري في عصور الانحطاط، إنما يرجع إلى تشبثنا بلغة بدوية من أحافير عصر الناقة لا تصلح لغير جداد الإبل والوقوف على الأطلال، ومحكوم علينا أن نظل نعيش بعقلية الريفيين والبدو في مجتمع الزراعة والرعي، إذا لم نهجر هذه اللغة العتيقة إلى لغة عصرية حية». «المصدر نفسه» ولعل أهم ما استوقفني من وجهات النظر المخالفة عبارة للأستاذ أمين شميل جاء فيها: «إن اللغة أداة للتعبير، والمرء لا يُقيد بلغة خاصة إذا استطاع أن يصل إلى الهدف وهو

التعبير نفسه، وإذا كانت اللغة العربية ليست أداة صالحة للتعبير لضعفها وضعف أهلها، فلا لوم عليه إذا تركها إلى غيرها من اللغة الأجنبية لأن الإنسان مفطور على طلب التقدم (ص21)».

غير أن ردة الفعل العلمية لم تسجل إلا في دعوة أحمد فارس الشدياق لتعريب مصطلحات العلوم والفنون التي لم يكن للسلف سابق معرفة بها، وشهدت مرحلة اليقظة حركة تطور في أساليب العربية ونهوض باللغة، ضمنها محمد خلف الله في الكتاب المعروف بإسم «معالم التطور الحديث في اللغة وآدابها»، وظهرت من بعد معاجم العلوم بالإنجليزية والعربية، وصدور الدوريات المتخصصة كمجلة المجمع العلمي بدمشق، وساهم بعض المستشرقين في الأداء.

إلا أن تلك الجهود لم تستطع أن تعيد اللغة العربية إلى مجالها الحيوي في الدراسة العلمية، لا ولم تستطع أن تحسم الجدل القديم حول صلاحيتها لتدريس العلوم الحديثة والتأليف فيها، فيما اختزل سلامة موسى المطلوب بالقول : «نريد أن تكون لغتنا علمية، وثقافتنا كوكبية، وكتابتنا لاتينية»، «سلامة موسى البلاغة العصرية، ص109».

لكن طرفاً ثالثاً استبعد أن يكون النحو هو آفة هذه اللغة والمسؤول عن تقصيرها: «ومن الأوهام العظيمة المتمكنة في أنفس الغالبية من طلاب اللغة عندنا، عدم التفريق بين النحو وبين اللغة التي يدرسون نحوها، حتى إن معظمهم ليظن أن العربية الفصحى هي هذا النحو، أو أن العرب كانوا فصحاء لأنهم كانوا قادرين على أن يتكلموا هذا الكلام «المعرب، والفصيح، والصحيح» دون دراسة للنحو»، «محمود السعران، علم اللغة، ص34»، وبرغم هذا فقد استقر رأي الهيئات والمؤسسات العلمية العربية على استئناف العمل «بنحت وتركيب» البدائل اللغوية أخذت المجامع على عاتقها عبء «تطويع» اللغة العربية الفصحى لظروف الحضارة الحديثة، فكان عليها أن تضع اسماً لكل مخترع، واصطلاحاً لكل فكرة منهجية، في كل فرع من فروع المعرفة، فإذا شاع بين الناس شيء بإسم أجنبي، نظر المجمع في ذلك الإسم وأخضعه مع غيره لإحدى الطرق الآتية في الصياغة:

أ - التعريب: وذلك بأن تؤخذ الكلمة الأجنبية المستعملة : فتوضع في قالب عربي من حيث أصواتها وصيغتها على نحو ما جرى في فلسفة، وهرطقة، وسفسطة، التي أخذت حروفاً عربية، وبدت في صيغة عربية هي صيغة «فعللة».

شهدت مرحلة اليقظة حركة تطور في أساليب العربية ونهوض باللغة، وظهرت معاجم العلوم بالعربية والانجليزية، وصدرت الدوريات المتخصصة.

ب - الترجمة : وذلك بإيجاد مقابل عربي للكلمة الأجنبية المستعملة مع مراعاة الشروط التي في الكلام عن الإصطلاح الفني.

ج - إرتجال كلمة جديدة تراعى فيها الشروط التي تتوفر في الاصطلاح الفني «اللغة بين المعيارية والوصفية ص 45».

وكانت طائفة من المتخصصين والمنظرين قد مهدت بل وحث على تعريب المصطلحات كبديل لا حول عنه: إن التعريب ضرورة في وجه التحديات الحضارية التي تستهدف الوجود العربي، وقومية للمساهمة في تكوين الروابط المشتركة لأبناء الأمة العربية، واجتماعية لتعميم التعليم العالي على جماهير الشعب وعدم حصره في الفئات الفوقية، وهو فوق ذلك ضرورة تربوية لجعل لغة الجامعة لغة للجماهير، وإعطاء خريجي الجامعات الفرص

المواتية لممارسة علومهم النظرية، وإبداع إنتاج علمي جديد، لتسهيل الاتصال بين المعلم وتلامذته علمياً، «قاسم السادة، تعريب المصطلح العلمي، إشكالية المنهج، عالم الفكر، المجلد 19، العدد 4 من الفصلي 1989 ص8».

ومن العوامل التي شجعت على المُضي في هذا الاتجاه أيضاً محاولات التخفيف من قلق البعض وخوفهم على اللغة، فطمأنوهم لما يصيب اللغات من تطور حتمي لا مهرب منه : «اللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحايين، فالأصوات والتراكيب، والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها، معرضة كلها للتغير والتطور»، «التطور اللغوي، رمضان عبدالتواب، ص6»، ويقول في موضع آخر: «وليست عناصر اللغة كلها على سواء في سرعة قبول المتطور، إذ هناك فرق في تطور اللغة بين الصوتيات والصرف والمفردات»، «المصدر نفسه ص11» ثم يقدم عبد التواب نماذج من أشكال تطور اللغة، سواء كان صرفياً، أم على الحروف، أو على الألفاظ، أو التركيبات، أو في الموازين الصرفية، معتمداً و مستنداً في ذلك على اللهجات العربية والقراءات بخاصة، إن المصطلح العلمي في رأي المحدثين: «هو الوسيلة الرئيسة لتكوين وتنظيم وتطوير المعارف، وهو علم معقد يشترك في صياغته جملة علوم مثل اللغة والمنطق، وعلم الوجود، وعلم المعلوماتية، وحقول التخصيص العلمي والأدبي والفني كل على حدة، أحيانا، وبالاشتراك فيما بينها أحياناً أخرى»، «المصدر نفسه ص 83» لكن الباحث يستدرك: «إن هذا التحديد الذي يتم بعناية قصوى لا يعني استقصاء المصطلح العلمي لكل دقائق المفهوم العلمي الذي يعبر عنه، أو إحاطته إحاطة جامعة بدقائق المفهوم المسمى به.. بل يكفي الإتفاق بين المختصين على ذلك، مع وجود علاقة أو ملابسة بين لفظة المصطلح وبين دلالته».

والمتأمل يرى أن هذا المصطلح لا يزيد في واقع الحال على تعريف الزبيدي في تاج العروس: «هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص».

وبوحي من هذه الرؤية وضع أجدادنا العرب معاجمهم وصاغوا مصطلحاتهم، (ولو أن ما ألفه العرب يقول صاحب الصناعة المعجمية ص122 ـ من رسائل لغوية، أعيد ترتيب (مواده) بحسب النظام المعجمي الحديث.. لكان في ذلك فائدة جمة في إحداث المصطلحات الضرورية التي تواجه بها لغتنا العربية ما يستجد كل يوم في مجالات المعرفة، ذلك أن الحصول على اللفظ المطلوب داخلها أمر متعذر). وبرغم هذا السخاء المعجمي الذي مَنّ به السلف على الخلف، وهو متشعب وعديد عدد ما في الرأس من شعر، فثمة حقيقة مقابلة وهي: «أن أطباءنا وصيادلتنا القدامى كانوا يضطرون لاستخدام ألفاظ غير عربية الأصل، لأنهم لايجدون مقابلها في العربية، إذ هي تدل على أشياء ومسميات لم يعرفها العرب فلم يضعوا لها اسما»، «الترجمة والتعريب، 28 او 129 من عالم الفكر».

تلك هي الصورة التقريبية لوضع التعريب والمصطلح خلال عصرين، فإلى أي مدى نجحت هذه الجهود وتلك في سد ثغرة الحاجة إلى المصطلح الغربي، وهل استطاعت أن تقنع الأوساط اللغوية النقدية بجدوى هذا المنهج وما تفتق عنه، أم ما زلنا بعيدين عن بلوغ الهدف المنشود، وما هذه المحاولات (الحميدة) سوى محاولات تخرج بغير شهادة واحدة، وبرغم ما على الأرفف من معاجم وما في العواصم العربية من مجامع !

وبحكم طبيعة أدواتي، قد لا أملك الحق في تفنيد صلاح كثير من المصطلحات الواردة في

المعاجم الطبية والفنية والعلمية بعامة، ولكن أعطي لنفسي الحق في القول :

1 ـ «إن منهج التعريب اليوم يقوم على عدم اللجوء إلى تعريب الجديد مع توفر القديم، فإذا عرفنا أن الذين تولوا نقل علوم اليونان إلى العربية في عصر الخلفاء العباسيين كانوا من النسطوريين والكلدانيين والأعاجم، هؤلاء كانوا علماء أكثر منهم لغويين وأدباء وإن كانوا تعلموا العربية فإنهم لم يتفقهوا فيها ولم يتقنوا آدابها، فلن نستغرب أن نجد ما عربوه مشحوناً بالألفاظ الأعجمية مع أن لها في العربية مرادفات «وأنهم لم يجروا في التعريب على نمط واحد يصح اتباعه إلا في أحوال معينة، بل تجدهم صوروا الكلمات اليونانية بصور شتى، يصعب على قارئها ردها إلى أصولها ولم يذكر أحد منهم أو من أئمة اللغويين أي قواعد لما يُعرب من الكلمات الأعجمية»، «محمد شرف، معجم العلوم الطبية والطبيعة في مقدمة ص 16 ».

ولعل أفضل تصوير لهذه الحالة ما ذكره ابن جلجل حول نقل كتاب (ريو ستوري) في ذلك الوقت عن إنبعات من اليونانية، فقد ترجم بمدينة السلام أيام جعفر المتوكل، وكان المترجم له إسطفان بن بيل الترجمان، وراجع الترجمة حنين بن اسحاق فصححها وأجازها.

2 ـ وأقر مجمع اللغة العربية بالقاهر بعدم خلو بعض الألفاظ من ملاحظات فإن كلمة (Toxin) نقلت الى العربية بـ«توكسين» على سبيل التعريب برغم شيوع كلمة معربة قديماً ومشهورة هي «ذيفان». وقد تنقل اللفظة الأجنبية الواحدة بألفاظ مختلفة، فقد نقلت كلمة (نقع) تارة بـ(تقطن) تارة أخرى وبـ(هرور) تارة ثالثة، وفي الوقت نفسه أعتمدت كلمة (Maceratiop) بـ(تقع) أيضاً.. كما تم نقل كلمة (Inusion) بـ (إصفاق) أحياناً وبـ(تصفق) أحياناً أخرى برغم شيوع «نقل الدم» (Tranfusion). لكن هذا كله يهون أمام غياب سلطة المجمع، وعدم استطاعته إلزام الدراسين والباحثين في الجامعة العربية، وقد مات أكثر من مائة ألف مصطلح في الرفوف وبين السطور.

3 ـ جرب أن تقرأ نصاً علمياً معرباً في مجلة متخصصة مثل مجلة العلوم (Science) من جهتي قد جربت، والنتيجة أنني لم أفهم شيئاً، وإذا فهمت فلم يبق في الذاكرة شيء، وصفوة القول إن تعريب المصطلحات في العصر الحديث لم يتزحزح عن منهجه من حيث الظاهر عما كان عليه في عصر إنفتاح العرب على الثقافات الأجنبية، وإذا كان من فارق جوهري فهو أن العرب الأولين أخذوا وقدموا، وكانوا مبدعين مبتكرين بقدر ما كانوا مقتبسين.

أخذت المجامع على عاتقها عبء (تطويع) اللغة العربية الفصحى لظروف الحضارة الحديثة، فكان عليها أن تضع اسماً لكل مخترع، واصلاحاً لكل فكرة منهجية في كل فرع من فروع المعرفة.

من جانب آخر ـ وهذا هو الأهم ـ فلا يمكن التحدث وقتئذ عن نضج إصطلاحي بالمفهوم المعاصر، بمعنى أن أوروبا والغرب بعامة لم تكن قد وصلت بعد مرحلة الثقافتين الإغريقية والرومانية، ما يفتح الباب لتغلغل اللاتينية واليونانية في البنية اللغوية الأوروبية، التي كانت مجرد لهجات محلية قبل اجتياح الرومان. وكان من نتيجة التلاقح أن أي معجم عربي (Lexikon) يحتوي كماً هائلاً

من الكلمات التي تنتهي بالمختصر(Cat) أو(Gr) أي أنهما من أصل لاتيني أو يوناني، وإذا بات يُنظر إلى اللاتينية على أنها اللغة الأم فإن اليونانية هي الأب. وهذه الذرية، أي الألمانية، أو الفرنسية، أو الإيطالية، تشربت الثقافتين على المستوى اللغوي ما لم يفعله العرب بحسب اعتقاد عبدالرحمن بدوي فكان سببا في عدم اقلاعتهم حضارياً فإذا قمنا بإجراء مقابلة سريعة بين المفردات التركيبية الأجنبية، تبين لنا الشرخ الكبير بين الأصل والمعرب في طريقة النشوء والتركيب، وفي المعنى والمبنى.

فلدى إضافة كلمة (لاحقة) إلى إحدى البادئات مثل (Micro)، (Mini)، (Phono)، (Pharma)، (Philo)، (Photo)، (Poly)، (Pseuolo)، تولد في كل مرة معنى جديداً قد يصل إلى ثمانين أو أكثر أو دون ذلك، ويشمل جميع فروع المعرفة، وإذا صرفنا النظر عن الطريقة التوليدية ـ وهي ولادة عسرة ـ للمعنى المعرب حصلنا على مصطلح يساوي سبعة أو ثمانية أضعاف الكلمة اللاتينية، ومن ذلك على سبيل المثال كلمة حيكّم عربت ب : الكرية الدقيقة، كرية دم حمراء صغيرة على نحو غير سوي تكون في بعض حالات فقر الدم بخاصة (ط).

❖ (Phenol Phtalein) الفينولفالين: مركب كيميائي متبلر أبيض أو أبيض مصفر (ل).

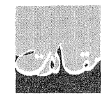
وإذا انصب الهم الأكبر للمعربين على عُنصري الكلمة والمعنى قديماً وحديثاً، فلم يشكل ذلك عقبة في تاريخ المصطلح الأوروبي، والسبب الأول في ذلك إنما يرجع إلى أن (البيت اللغوي الأوروبي) إن صح التعبير، اعتمد منذ بداية عصر النهضة (Renasanoi) على منظومة فقهية واحدة أغنته عن التطلع إلى الغير، فلا هو اعتمد على «جاليات» تعرب، ولا نحت من حرف غريب، وكانت خلفه ترسانة من المعاني الملائمة للألفاظ تسمح بتركيب معان ومفردات جديدة في أي اتجاه من اتجاهات المعرفة وبقدر ما يستجد من مخترعات.

بعبارة أخرى : لقد تلازمت الصورتان، الحية، والدلالية، الرمز واللفظ الدال عليه، وبذلك لم تنقطع السلسلة لحظة، بعبارة أدق : إن المعنى لم يعش خارج سياقه العلمي، سواء في الأصل والتاريخ، أو في اللفظ والتركيب، أو في المعنى بالدلالة، أو في حيز التطبيق المختبراتي والميداني.

أين موقع المصطلح العربي من هذا كله؟ والجواب : غربة، ثم غربة، ثم غربة، واستعادة، ودمج، وحشو، وتلصيق، والنتيجة هي هذا النص المفكك الركيك الذي يستحيل أن يصلح أساساً لقاعدة علمية مستقبلية..

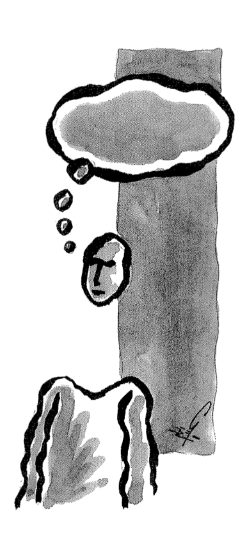
وإن العلة ـ كما أراها ـ لا تكمن في النحو أو في الميزان الصرفي أو في القدرة على تقديم دلالات تتسع لملكوت السماوات والأرض، بل في العقل العربي نفسه الذي يريد أن يعيش عولاً على الآخرين.

إن العربية بريئة من جميع التهم المنسوبة إليها، وإن اللغة التي قامت على اكتافها حضارة تليدة في الماضي، مؤهلة لتكرارالدور ولكن بشرط وجود الانسان المبدع الخلاق، وأياً ما كانت صورة العجز، فقد تغلب العرب في الماضي على إشكالية المصطلح، بل إن كثيراً من المفردات والمصطلحات العلمية العربية أخذت طريقها إلى المعاجم اللاتينية وكذلك العلوم، لقد تركوا تراثاً ضخماً يدل على حياة عقلية زاهرة، لكنهم لم يتأففوا من لغتهم ولم يلعنوا أوزانها.



مفردات..
في اشكالية الثقافة والهوية

د. محمد سالم المقيد*



ع

عقل لا يتفكر يستحيل أن يستهويه همّ الوجود والمصابرة على سبر أغوار الذات. الذين يتدرجون في أطوار التفكر يدركون بتسامي الطور الذي يتحققون به مدى الطاقات المخزونة الكافية في أعماق الإنسان. طاقات قادرة على احتمال تباريح الألم ونغز الوجع، الذي يهب الحياة سرها العميق المؤطر لماهية الابتلاء وإشكالية الصراع المحموم بين ما يمكث في الأرض وما يذهب جفاء. مفهوم حاصر على الثقافة المؤهلة لإحداث نقلة متميزة في مجال تعميق الفكر عبر دروب وآفاق المعرفة الراشدة. آفاق تنفتح على مجالات أوسع للكشف والفهم والرؤى الملهمة، التي تذهب بعيداً في تحليل مناخات ومنعطفات التراكم الحضاري، عبر اختراقات مذهلة. وتتجاوز مسلمات فكرية وسيما اجتماعية سادت ـ بحكم قانون التدافع ـ حقباً متتالية من الزمن. وأضحت في وقتنا المعاصر إشكاليات يحددها ما يعرف بـ (الهم الثقافي). ويتعاطى

* كاتب وباحث / ليبيا

مفرداتها الغارقة في مجاهل الفلسفة وتفسيرات التاريخ جمع غفير من (المثقفين)، الذين يدعون معرفة (اليوتوبيا) القادرة على خلاص الإنسان. وفي الوقت ذاته يتفارقون منطلقاً وتحليلاً وغاية حتى القطيعة والموت. وعند حدوث الفاجعة وتبلبل الأفكار وسريان الفتن يتمترس هؤلاء خلف شعار: أن (الخلاف لا يفسد للود قضية) وهذا باب مشبوه تسربت من خلاله أباطيل لم يزدد معها الإنسان إلا حيرة ووهماً وشقاءً.

الثقافة بمفهومها العام ـ وفقاً لما يشكله القاسم المشترك لتعريفات العديد من المفكرين ـ هي منظومة الأفكار التي يكتسبها المرء جراء انتمائه إلى مجموعة ما، في ظرف زمني محدد.

ويمكن القول بأنها الإرث الفكري التاريخي الذي يتحصل عليه الفرد بعناء أو بدونه، بما يتضمنه هذا الإرث من معتقدات ووجهات نظر حول من يشد أزر الجماعة، ويحفظ لها تماسكها عند مواجهة الأخطار. بغض النظر عما توصف به هذه الثقافة فهي تمثل طريقة للحياة، تفرض على المنتمين إليها الولاء التام. وتمشياً مع هذا المنطلق يتشكل العرف ليصب جام غضبه ولعناته، في أغلب الأحيان، على كل من يحاول انتهاك أو نقد الأسس التي تقوم عليها تلك الثقافة، حتى وإن كان الناقد مدفوعاً ـ بالولاء ـ لترسيخ وتأطير مبادئها وأسسها.

الهوية لها صلة بالثقافة. ولكنها ليست مرادفة لها ـ كما يظن ـ بل هي مصطلح للتصور الكامن في العقل والمختزل لمبررات الوجود والانتماء. غياب الثقافة لا يلغي وجود الهوية ولكن الحضور الثقافي يزيدها قوة وتجذراً.

العولمة لا تمثل مشروعاً ثقافياً بقدر ما ترسخ قيم التبعية.

الهوية هي أنها المظهر الفاعل للثقافة، مكتوبة كانت أم متواترة. ولذا تتنوع وتتمايز صورتها حتى في إطار الثقافة الواحدة، نتيجة لما يفهمه فرد أو جماعة من مضمون لثقافة ما. ما يثير التساؤل في أجواء الثقافة، أنه عندما ينفتح الحوار ـ نتيجة لمعطيات جديدة ـ بين أطراف الهوية الواحدة، يتطور في بعض الأحوال لينفجر على شكل صدام عنيف معمد بالدماء. وفي المقابل عندما تتهدد الهوية من الخارج، تلتزم الأكثرية بطروحات الانتماء، في مواجهة ثقافة غازية. وهذا ما يفسر توحد الجماعة أو الشعب أو الأمة إبّان التعرض للهزات العنيفة الهادفة إلى إفراغ الهويات من مرتكزاتها الثقافية. ولقد أدرك الساسة هذه الحقيقة. وقاموا بتوظيفها هرباً من اختناقات سياسية مميتة. لذا وجب التفريق بين صراع الهوية مع نفسها ومع الهويات الأخرى، وبين صراع الثقافات. والأخير تعريف أدق تعبيراً من (صراع الحضارات) الذي كتب له الشيوع والتداول ـ باطلاً ـ عن طريق الثقافة المترجمة.

لقد شكّل القرن العشرون ـ بإيقاعه المتسارع ـ متغيرات عدة على واجهات الثقافات المختلفة، بل كان لبعض معطياته المتوالدة عن التقدم الفكري والانفتاح الإباحي آثار عميقة على أصول الثقافات. الأمر الذي دعاها ـ حرصاً على البقاء ـ إلى التمسك بالمظهر الفني (الفلكلوري) الجاذب للسواح والعملة الصعبة والناس الموهومين. نتيجة لهذا الوضع (المأزوم) أضحت الهوية قصاصة من ورق في مهب الريح. ولم تجد ملاذاً إلا في تبرير الانضواء تحت راية (العولمة).

وهكذا تتوارى الحقيقة - بعلم أو بغيره - عن نظر المخدوعين. فالعولمة، هذا المصطلح المائع، لا تمثل مشروعاً ثقافياً على الإطلاق. ولا تقدم بديلاً للثقافة، بقدر ما ترسخ التبعية لحفنة الأغنياء الذين يزدادون منها ثراء وقدرة على اغتيال قيم الإنسان الثقافية.

الثقافة، في وقتنا الراهن، مصطلح كثير التداول فضفاض المعنى، كما هي كثير من المصطلحات السائدة في خطاب التواصل بين من يحكمون وبين من يراد منهم التلقي الأتباع. وحيث أن ذلك الخطاب مرتهن بآفاق الثقافة، التي تزوده بالمصداقية، تضطرب مفرداته لغياب المفهوم الجامع المحدد لمصطلح الثقافة. وهذه إشكالية خطيرة تضاف إلى الإشكاليات الأخرى العالقة بصيرورة المجتمع الدولي في القرن الواحد والعشرين، الذي أضحت أبوابه مشرعة على كل الاحتمالات.

إذا تجاوزنا هذه الظاهرة في سبيل التعاطي مع الراهن، لأمكن الاقتراب من تقويم الثقافة وتعريفها، على أنها الرؤية العقلية والوجدانية لمجموعة ما. يسهم في تشكيل هذه الرؤية ما يتبطنها من استنطاق للتراث بمفهومه الواسع، الذي يتضمن العديد من المحاور. ومنطقياً سيشكل الدين والعرف والتاريخ العوامل الأهم شأناً وتأثيراً. والصورة تكتمل بتداخل هذه العوامل مع المعطى الاقتصادي والسيا - اجتماعي المعاش. ومن خلال هذا الفهم يختفي العجب من ضرورة تنوع الثقافات وتصادمها العنيف عند تشكل منعطفات التاريخ. والذي يقول بنهاية التاريخ يغيب عن رؤيته ما تملكه الثقافة من قدرة على صناعة التاريخ!.

في مجتمعنا العربي - والإسلامي تحديداً - لا زال مفهوم الثقافة يتأرجح بين الإلمام برصيد المعلومات، ليؤطر تميز النخبة القادرة على إبداع المشروعات النهضوية، وبين مشاعر القاعدة العريضة التي تشكل حسها عبر تجربة موغلة في الثراء والقدم. هذا الانفصام نتج عن تراكمات الظرف التاريخي، الذي غيَّب المسلمين عدة قرون عن دائرة الفعل والتأثير. وهو وضع ينسحب أيضا - وبشكل مفارق - على أمم وشعوب أخرى، أفاقت لتجد نفسها في مواجهة تحديات الاستلاب والاحتواء وتبدل الخارطة السياسية. الأمر لذي اضطرها إلى الولوج فيما ليس منه بد. وهذا العنوان يشكل في حاضرنا الهم العام للثقافة في العالم العربي والإسلامي والشرقي عموماً. وهو الهم ذاته الذي يجعل من المرء الذي يمتهن الثقافة أو يتعاطاها أمام الكثير من الأسئلة الملحة، والعديد من القضايا التي تنتظر التحليل والحلول، والمزيد من المظاهر التي تستجدي التغير. وأحسب أن الذي يعوق انفراج الأزمة هو خطاب التواصل الذي لم يتجذر بعد في أرضية ثقافية واعية، تشكل وحدة الجموع، ومرجعية الحراك الاجتماعي المؤهل لإخراج الأمة من واقعها الأليم.

الثقافة - حقيقة - لم تكن بأي حال من الأحوال علم يكتسب ولم تكن في يوم من الأيام مهنة تحترف والنظر إليها أصلاً تأسس على أنها موهبة يشحذها المرء بالدربة والتفاعل مع الهم الوجودي، الذي يحمله الإنسان داخله.

مفهوم الصحافة والإعلام - بواقعه المرير - أربك هو الآخر مصطلح الثقافة. إنه يعمل جاهدا للانقلاب

عليها بدلاً من استنطاقها والاسترشاد بفهمها. واختلط الأمر على الناس حتى ظنوا أن كل منهما يرادف الآخر. وازداد الأمر غموضاً باعتبار (المتعلمين) أصحاب المؤهلات الأكاديمية أكفاء لإنجاح المشاريع الثقافية. وهم وحدهم الفئة القادرة على إنجاز مهمة تعميقها وتطبيقها على أرض الواقع المراد تثقيفه. والثقافة ـ حقيقة ـ لم تكن بأي حال من الأحوال علم يكتسب ولم تكن في يوم من الأيام مهنة تحترف والنظر إليها أصلاً تأسس على أنها موهبة يشحذها المرء بالدربة والتفاعل مع الهم الوجودي، الذي يحمله الإنسان داخله. وكل ما تقوم به القراءة والعلم والخبرة هو التشكل لتصبح مجرد أدوات تساعد على تفجر الهم الأساس والمساهمة في ولادة الإبداع، وتحوله إلى رؤى وومضات عالية المشرب، قابلة للتواصل مع الناس، بل مع داخل الناس. وهي أدوات إذ تؤدي هذه المهمة تعود فتلون ذاتها بالتثقيف. فيتثقف العلم والسياسة و الأدب وكل ما له علاقة بقيمة الإنسان. وبعبارة أخرى تتأنسق العلوم والأفكار والمخترعات. فتصب جميعها في مجرى الخير العام، الذي يدفع البشرية إلى فهم ثابت التدافع الحاضر دوما، وإدراك ماهية الوجود القاهر أبداً.

المثقف، تعبير آخر يكثر إطلاقه على من يجيدون كثرة الرواية وتتبع الأخبار، والاقتباس الواعي أو اللاواعي لنتاج المبدعين. والفارق بين من يحمل الثقافة وبين من يبدع من خلال الثقافة شاسع وكبير. المثقف المبدع عندما يقطع مراحل الهم الوجودي لا يتكون. فالحياة في اعتقاده تتحول من غاية في حد ذاتها إلى وسيلة مثلى ووحيدة للغوص في فهم مدركات الوجود والكينونة، بشكل أعمق وأكثر عقلانية وتبصر. وأثناء ملازمته هذا الطور يتماثل مع العالم والفيلسوف والمفكر والصوفي. ولذا يكثر الخلط عند الناس، بل عند أولئك الذين يدعون بالنقاد، فيطلقون عليه من الألقاب والصفات ما يروق لأفهامهم. وربما يتجاوزون كل هذا ـ بتأثير التعاطف ـ فينعتونه بالولي أو القديس أو (الجورو)، والغائب المنتظر العائد حتماً. وهذا يحدث بفعل المنظور التفسيري لمفردات (النصوص الدينية).

هذه الظاهرة تتضح بشكل جلي في ثقافة الشرق، التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ، الأكثر تشويقاً والأغنى حضارة، والأظهر تنوعاً في الطروحات الدينية والفكرية. أما ثقافة الغرب فهي خالية من هذا العمق، إلا بالقدر الضئيل الذي سهم به بعض كتّابه ومفكريه بحكم التماس مع الثقافة الشرقية. والذي لا يستغربه من يتذوق شيئا من الهم الوجودي، هو القول بأن تلك الألقاب التي تتناوب على شخصية المثقف لها ما يبررها في أطوارها الدنيا، لما يقوم به المثقف من تحليق في أجواء نصوص الدين وحقائق العلم وأذواق الفلسفة والتصوف. ولكن عندما يكتمل المثقف. يتمكن في أصول الثقافة، يأخذ من العلم والخبرة زاده ووقوده الذي يواصل به السير منفرداً نحو مواجهة الحقيقة والاندماج في مدارها الأسني، حيث تتجلى الحروف ـ كما هي في القدم ـ نوراً ينكشف به كنه الأسماء والأشياء.

الجدل الدائر في الأوساط الثقافية يتجاهل في كثير من الأحيان حقيقة أن استبدال ثقافة بأخرى ممكن شكلا. ولكن استبدال نص مجمع على مصداقيته بثقافة، يستحيل جملة وتفصيلاً.

تتداعى إشكاليات الثقافة لتحل إلى ما لا نهاية. وبين أن يقول الإنسان وأن يفعل تتشكل الحياة، التي تتنوع بشأنها مواقف الأفراد والجماعات، بتنوع درجة فقه الإيمان بمتطلبات القول وتبعات الفعل. لذا لا يستغرب تطاحن الناس أصحاب الثقافة الواحدة، فضلاً عن الحوار والجدل، حول الأسلوب والمنهج لتحقيق الهدف المشترك. ولكن الذي يستغرب حقاً أن يتحد الفرقاء في الانتماء، دون أن ينسلخ أحد طرفي المفارقة عن مبادئه وقيمه، أو يتكيف ـ على الأقل ـ بتحوير قراءتها، والتعسف في تفسير مفاهيمها.

لا بد من الإشارة في هذا المجال إلى ما تعيشه الثقافة العربية والإسلامية في مواجهتها للسيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية، التي اصطلح على تسميتها بالكونية الرأسمالية العالمية.

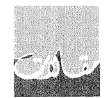
هذه إشكالية متمايزة تنفتح على الكثير من الجدل وتتشعب بلا حدود. ان ما يسعنا في هذا المقال هو القول بأن ثوابث أي (ثقافة) لا تزول بتأثير متغيرات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، وعبر فترة وجيزة من الزمن. استقراء التاريخ البشري يشهد على صحة هذه المقولة. الثقافة العربية والإسلامية تتميز عن باقي الثقافات باعتمادها النص منطلقاً وغاية. والجدل الدائر في الأوساط الثقافية يتجاهل في كثير من الأحيان حقيقة أن استبدال ثقافة بأخرى ممكن شكلا. ولكن استبدال نص مجمع على مصداقيته بثقافة، يستحيل جملة وتفصيلاً.

الحوار لا يتوقف، والجدل قائم ومستمر، والدعوة إلى نقد العقل العربي مشروع يتماهى مع الشهرة والنرجسية. كما أن ضرورة القيام بتغيرات جذرية في البنية الثقافية للأنظمة الغربية، هي الأخرى دعوة تستقطب المزيد من الأنصار على مدار الأيام. ويجدر التذكر بأن مسألة الأمن قضية تتصدر ـ الآن ـ أولويات واهتمامات المجتمع الدولي. ومحور الأمن له علاقة وثيقة بما يدور من جدل حول التقاء وتفارق التوجهات الثقافية. ولقد أثار هذا الهاجس واقع التساكن النسبي في الآونة الأخيرة، ليتحول إلى توتر تزداد مساحته بازدياد المفارقات، التي تعمل حثيثاً في توسيع محيط القلق وآفاقه.

تتضح بجلاء مساوئ الخطاب الذي يُكيف إسقاط عامل التوتر على العرب والمسلمين. وهو إسقاط لم يحسن تدبيره، فضلاً على ترويجه، حتى في مواطن تصنيعه، إذ أنه (فبركة) تجاوزت الأديان والأعراف والقوانين، لتلقي بظلالها على الثقافة والهوية، لقد أجاد الكاتب المغربي، محمد نور الدين أفاية، في عبارته التي تقرأ:

وكل فترة تخلق أشكال حديثها في الهوية، وتصوغ أساليب كتابتها، ففي المراحل التي يحتدم فيها الصراع لدرجة يغدو فيها كيان فئة أو وطن أو أداة معرضاً للتهديد أو الإختراق، يعبر خطاب الهوية عن ذات متجرحة ومتشبثة، بثوابتها الجوهرية، لكي تتفادى الإقتلاع والإحتواء.

هل يتداعى التاريخ بشكل المأساة ؟ وهل يتطور الخطاب ليتقمص روح الذات المنجرحة المتمسكة بالثوابت الجوهرية، آفاق تشكل في وقتنا الراهن هموم (المثقف) الواعي بتبعات وثقل الأسماء.



الإسلام والعولمة
جدل أم هيمنة

د. وسام رجا *

ركّز الله - جل وعلا - في نفوس البشر طموحاً غير محدود إلى توسيع النفوذ وبسط السلطان، فكان من ديدن كثير من الكائنات الحية السعي إلى توسيع المجال الحيوي، والذي لا يقتصر على المعنى الجغرافي، وإنما يتجاوزه إلى المجال الثقافي والاقتصادي أيضاً، فمنذ قديم الزمان كانت الرسالات الكبرى والحركات الاصلاحية تتجاوز محيط النشأة وتعبر الحدود الجغرافية والسياسية الى حيث يتوفر مؤمنون بها، وعلى هذا فالأديان السماوية الكبرى والمذاهب الأرضية كذلك كانت (تعولم) الثقافات بما تحدثه فيها من تغيرات جذرية وبما تدخله على أنماط حياة الناس في بقاع عدة من الأرض من تجديد ونسخ للقديم، والحقيقة أن شيئاً ما مركوزاً في فطرة الإنسان يحثه على أن يحلم بالحركة في عالم واحد بعيد عن الحدود والقيود، لكن حقائق الجغرافيا وتباين الثقافات والمصالح كانت تحول دائماً دون تحقيق ذلك الحلم، وبهذا المعنى يمكننا القول: إن أي تحرك يقوم به الإنسان يهدف زيادة درجة الارتباط المتبادل مع إنسان المجتمعات الأخرى من خلال انتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الانتاج والمعلومات يحمل معنى عولمي، حتى وإن سبق هذا النشاط العولمي ظهور المصطلح الذي لا يتجاوز العقدين من الزمن فمعنى العولمة كان قد تطور من داخل الفكرة سالفة الذكر مع مرور الزمن وتعاقب الحضارات .

محطات من تاريخ العولمة وصولاً إلى الاصطلاح المعاصر

يحتفظ التاريخ بمحطات عدة شكلت قفزات نوعية ساهمت في تشكيل العولمة نتوقف عند أبرزها:

1 - كان العرب المسلمون تاريخياً المطورين الأوائل لأنظمة المتاجرة عبر البلدان وكان المقر الرئيس لذلك النشاط متمركزاً في جزيرة «هرمز» واستمر هذا النشاط إلى نحو من عام 1600م، لكن البرتغاليين قاموا خلال القرن الخامس عشر ببرنامج بحث وتطوير في الثقافة البحرية في (ساجرس)،

* كاتب وباحث فلسطيني / سوريا

وكان الهدف لذلك البرنامج بناء أسطول يتم فيه تحدي نظام المتاجرة الدولي الذي يهيمن عليه العرب المسلمون، وقد نجح البرتغاليون في صنع السفينة العابرة للمحيطات والتي بإمكانها عبور المحيط الأطلسي حاملة أكثر من مئة قطعة مدفعية والإطلاق على من يعترضها، وأذنت هذه الثقافة البحرية الجديدة، ببدء عصر الإكتشافات الجديدة فقد حققت أوروبا في عام 1500م تعادلاً تقنيا مع المسلمين، إلا أن ميزان القوة بين الطرفين أخذ يتقوض منذ ذلك الحين بسرعة بسبب سلسلة التقدمات العلمية والتقنية الأوروبية مثل إحلال قوة البخار محل قوة العضلات ومثل إكتشاف توليد الطاقة الكهربائية وغيرها ..

وخلال القرون الخمسة الماضية أطرد نمو الهيمنة الغربية في العالم، باستثناء حقب قصيرة وكانت قمة تلك الهيمنة تتمثل في الاستعمار العسكري للدول الضعيفة على نحو ما جرى في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وكان ذلك يعني أن قيادة العولمة أمست في يد الغرب .

2 ـ تمثل النتائج التي خلفتها الحرب العالمية الثانية محطة مهمة في تاريخ العولة، إذ بدا واضحاً أن الهيمنة الحقيقية لا ينبغي أن تكون عسكرية فحسب، وإنما هناك هيمنة ثقافية واقتصادية من شأنها أن تقود إلى هيمنة سياسية، وتحقيق تبعية كاملة، ولنتمعن كيف ضخت الولايات المتحدة الأمريكية وعبر مشروع «مارشال» أكثر من إثني عشر مليار دولار بين عامي 1948 ـ 1951 من أجل إعادة بناء الدول الصناعية الغربية واليابان، ولم يكن هذا كرماً ذاتياً من أمريكا، وإنما كان بهدف جعل أوروبا واليابان جزءاً من سوق مفتوحة لاستيراد المصنوعات الأمريكية، وإيجاد فرص للإستثمار بالإضافة إلى إعادة تنظيم العلاقات النقدية وأسعار الصرف، ووسائل الدفع الدولية وقد تمثل هذا بظهور البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومن هنا يمكن اعتبار أواسط عقد الأربعينيات من القرن العشرين بداية وضع حجر الأساس لعولمة أطلسية.

3 ـ في النصف الثاني من عقد الثمانينيات بدأت العولمة بالظهور كحقيقة لا يمكن تجاهلها، فقد سعت أمريكا إلى تسيير أصحاب الأعمال وأضعاف التكتلات العمالية، مستندة في ذلك إلى حالة من تطور الرأسمالية الغربية، وبالمقابل جاء إعلان غورباتشوف عن قيام ثورة التغيير، وإعادة البناء فيما عرف بالبروسترويكا والذي حمل إنهياراً سريعاً للإتحاد السوفياتي في غضون سنوات، وكان ذلك إنتصاراً في كل المعايير الليبرالية والرأسمالية، وتلا ذلك سقوط جدار برلين عام 1989، وأخذت الدول التي كانت تشكل (حلف وارسو) تنضم واحدة بعد الأخرى إلى الحلف الأطلسي، وتبع ذلك انهيار أسوار عالية كانت تحتمي بها الأسواق في الصين وأوروبا الشرقية وروسيا، وصار انتقال الأفكار وأنماط العيش ورؤوس الأموال والخبرات التنظيمية والتقنية أكثر سهولة وأوسع مدى من أي مرحلة سابقة، وبدأ مصطلح العولمة المعاصر يشق طريقة إلى مجالات الحياة كافة من ثقافة وإقتصاد وسياسة واجتماع، وبدأ يدق بيد قاسية بوابات الأديان الكبرى منذرا

تمثل النتائج التي خلفتها الحرب العالمية الثانية محطة مهمة في تاريخ العولمة، إذ بدا واضحاً أن الهيمنة الحقيقية لا ينبغي أن تكون عسكرية فحسب، وإنما هناك هيمنة ثقافية وإقتصادية من شأنها أن تقود إلى هيمنة سياسية وتحقيق تبعية كاملة.

بتحولات كبيرة إن لم تفتح هذه أبوابها وتدخله لينزع عنها قدسيتها ويتخلص من آخر الحصون المعادية لمفاهيمه المتحولة أمام ثبات نظرياتها وإستقرار حقائقها ولأن الإسلام ديانة عالمية في توجهها بات أخطر أعداء العولمة ولابد من تحجيمه إلى أن يصبح غول العولمة القوة التي يصعب التغلب عليها لعشرات من السنين القادمة تكون خلالها قوة رأس المال قد ازدادت جبروتاً، بحيث تصبح مقاومتها موضوعاً خيالياً لا أكثر.

طبيعة التحديات بين الإسلام والعولمة

تمثل علاقة العولمة بالدين منطقة صراع وتوتر وتناقض لا نهاية له، فالعولمة قاطرة عملية الحداثة والتحديث بالمفهوم الغربي البعيد عن كل أخلاق والذي يحل النفعية مكان العلاقات الإجتماعية في المجتمعات، ويهدد كل ماهو ثابت وأصيل فيها، فالعولمة تحاول تقديم نموذجها الغربي للقيم والأخلاق والعلاقات بين البشر بل وتسعى لفرضه على العالم عبر الإعلام والإتصالات الإلكترونية وغيرها من وسائل تغيير ثقافة الآخر.

على أن أخطر ما في العولمة على الدين ولا سيما الإسلامي يتجلى من الناحية الفكرية، فالإسلام دين يقدم الحلول للمجتمع بأسره، وهو بذلك دين شمولي يقوم على الإيمان بالله الواحد، ويبني استقراره على حالة من الإبداع الداخلي الذي تشكل الأخلاق حجر الزاوية فيه، بينما تبشر العولمة بنوع من تعدد الآراء حول كل شيء بما في ذلك الدين والأخلاق وهي تسعى لحلها بغرض تسهيل عبورها إلى حالة الفوضى التي تنشدها، والتي لا يدري أي من منظريها إلى أين ستؤدي، وقد جاء في وصف أحد علماء الإجتماع في الغرب لحداثة العولمة بأنها «قوة ساحقة، تنطلق بسرعة خاطفة، ولها قوة هائلة يصعب معها التحكم البشري بها، وهي قوة تسحق من يقاومها ولا أحد يمكنه توقع إلى أين ستتجه، وكيف سيكون تحولها الجديد؟» في حين يرى د. عبدالخالق عبدالله أن للعولمة أساليب عدة في الحوار والجدل مع الثقافات والأديان الأخرى وأنها ـ أي العولمة ـ تشكل إختباراً لقوة هذه الثقافات والأديان أمام ما تطرحه العولمة وكأن للعولمة ديناً أو أخلاقاً؟. ويرى د. توفيق مكرم أن الدين الإسلامي هو الذي يرفض الحوار مع الآخر منطلقاً في جذوره من تصور الآخر على أنه «كافر» أو«عدو»، وأن الآخر لا ينفع معه إلا الجهاد.. تطالعنا هذه الآراء على صفحات المجلات والصحف مع افتراض أن المتلقين سذج أو ما شابه ذلك، فالدين الإسلامي يعتبر من الأديان المتفردة في تسامحها مع الأديان الأخرى، والثقافات الأخرى

لاقح الإسلام بين الثقافة والحضارات، ولم يفرض نموذجاً إلا بعد هذا التلاقح، وكان النموذج مقبولاً من الجميع بدليل تعدد الثقافات والأعراف التي إشتركت في إظهاره وإبرازه.

فقد عاش أهل الذمة في أكثر مراحل ازدهار الحضارة الإسلامية كأفراد فاعلين، وليسوا معزولين عنها، ثم إن الإسلام لاقح بين الثقافات والحضارات ولم يفرض نموذجاً إلا بعد هذا التلاقح، وكان النموذج مقبولا من الجميع بدليل تعدد الأعراق والثقافات التي اشتركت في إظهاره وإبرازه، ولم يخل ميدان من هذا التلاقح حتى علم اللغة العربية قدم فيه علماء الفرس ما أصبح بعده قواعد للغة العربية وهذا دليل خير وسلامة في

الأمة، ولا يمكن مقارنة الإسلام كنظام ودين شمولي بالعولمة فقد جاء الإسلام ليجعل من قبائل متناحرة أمة تدعو إلى الله الواحد وتحمل رسالة إلى «البشر كافة»:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾
[سورة الأنبياء: الآية 107]

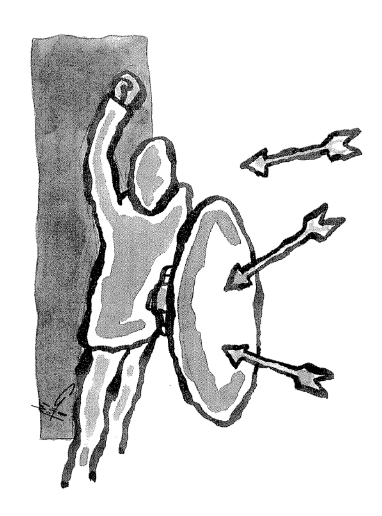
أما العولمة فجاءت لتفكك الدول وتزيد من فوضى الآراء الفردية وتطرح حالة من فوضى الغرائز في ظل مؤسسات إقتصادية كبرى في الغرب تسوق لمنتوجاتها من خلال ثقافة استهلاكية تشوه البنى التقليدية للشعوب، وتغرب الإنسان وتعزله عن قضاياه وتدخل الضعف في نفسه من خلال تشكيكها في جميع قناعاته الوطنية والقومية والإيدولوجية والدينية، وذلك بهدف إخضاعه نهائيا للقوى والنخب المسيطرة على القرية الكونية، وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائياً إلى واقع الإحباط فيقبل بالخضوع لهذه القوى ويتصالح معها، فالعولمة تشكل تحدياً حقيقياً أمام بناء المجتمعات صاحبة الخصوصية أو الهوية الثقافية، لأنها تحطم قدرة الإنسان على العمل المتوازن، وتجعل منه إنساناً مستهلكاً أكثر منه منتجاً ينتظر ما يجود به الغرب ومراكز العالم من سلع جاهزة الصنع، بل وجعله يتباهى بما لا ينتجه، فالملكية للسلع تصبح امتيازاً يدعم من خلاله دون أن يشعر تطور عجلة الرأسمالية الغربية التي تزيد من أحكام قبضتها على خناقه، وفي سبيل إعادة هيكلة الإنتاج الرأسمالي تقدمت إلى الصدارة صناعة المعلومات والمعرفة والثقافة الداعمة لثقافة الإستهلاك للسلع بكل تنوعها.

وبالمقابل ليس من الانصاف القول إن العالم الإسلامي كان ينعم بالتدين. والأمن والأمان والرخاء والتواصل الإخوي والوحدة.. ولكن من المهم تثبيت خيانة التنظير للعولمة على أنها نظام عالمي يقوم على العدالة والديمقراطية، للتطبيق الذي يتجلى أمام أنظارنا يومياً في الأسواق المحلية، أو على شاشات التلفزة بما تعرضه من إعلانات، وإنحدار خلقي، ناهيك عن التبريرات الساذجة للحروب، والعدوان باسم العدالة والديمقراطية، فحين تخوض الولايات المتحدة الأمريكية حرباً ما كالتي قادتها على العراق بدعوى إزاحة نظام فاسد فإن آلاف الخطابات والمقالات والمقابلات الإعلامية تلمع وجه أمريكا الإنساني وحين تستمر في القتل والتدمير بعد زوال النظام ستجد تبريرات جديدة لحماية المطلب الذي تحركت عليه الحرب «النفط»؟

إن فكرة إقامة نظام عالمي على أساس مجموعة من المبادئ الكلية تحكم علاقات المجتمعات السياسية وتضمن الكرامة الإنسانية، وتأخذ بيد المظلوم لتنصره على الظالم، فكرة تتوافق وقيم الإسلام ومقاصده وتستحق أن تلقى دعم المسلمين وتأييدهم، ذلك أن إقامة القسط هي الغاية النهائية وراء إرسال الرسل وإنزال الكتب كما يخبرنا القرآن الكريم:

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾[سورة الحديد: 25]

فهواجس المسلمين ومخاوفهم لا تنبع من إعلان الغرب رغبته في تطبيق القانون الدولي على سبيل المثال تطبيقاً شاملا، بل من اعتماده نهجاً انتقائياً لهذا التطبيق فقد آثار موضوع دار فور الرأي العام الغربي أكثر بكثير مما فعلت أحداث التدمير اليومية والإغتيال والإعتقال في فلسطين المحتلة منذ سنوات طويلة.



إن هذا الخضوع الإنتقائي للقانون الدولي من قبل الدول الكبرى في الغرب ينمو في ظل العولمة، مما يحجب أي إيجابية للعولمة في نظر المسلمين، سيما وهم يرون الأهداف الحقيقية في السيطرة على الثورات الطبيعية للدول المسلمة، وفي مقدمتها الثروة النفطية، تتجلى أمامهم ساحبة الستار أمام دعوات الغرب للديمقراطية والاصلاح في العالم الإسلامي.

كان هذا ينفي إمكانية الجدل مع العولمة ومن قبل العولمة ذاتها، فالإسلام دين منفتح على الآخر، ولكن حين ينقل الآخر الجدل إلى صورة من الهيمنة والاكراه فلا مناص أمام الإسلام من إعلان صراعه وتحديه خصوصاً وهو يرى إستعار العداء نحوه من الغرب الذي يقود العولمة، ولم يكن لعالم السياسة صاموئيل هنتنجتون الذي قرأ في بداية عقد التسعينات من القرن العشرين في كتابه «صراع الحضارات» فضل السبق في التحذير من الخطر الإسلامي للمصالح الغربية، فقد أظهر العديد من المفكرين الغربيين خشيتهم من تعاظم عدد المسلمين في الغرب، وبادر بعضهم إلى إقتراح ضرورة القيام بضربات «وقائية» للإسلام في عقر داره، وتدل الأحداث الأخيرة على أن القوى الغربية في ظل العولمة عازمة على حرمان الشعوب الإسلامية من حقها المشروع في تطوير أوضاعها السياسية، وتنمية أحوالها الإقتصادية طالما أصرت على الإحتفاظ بهويتها الإسلامية.

وفي هذا كله لا نجد أن العولمة الغربية أرادت جدلا مع الإسلام أو طلبت حالة من التفاعل والتلاقح بينهما، بل أرادت فرض هيمنتها وسيطرتها على العالم الإسلامي ومحاولة التأثير في مكونه الأساسي «الاسلام» برغم أن نشر رسالة الإسلام ستفيد من تقنيات الإتصال الإلكترونية التي أتاحتها العولمة في إحدى جزئياتها وهذا لايدل على رفض مطلق من قبل الإسلام للعولمة، بل على إمكانية عالية للتفاعل حتى مع جهة اتخذت موقف العداء ضد الإسلام.

إستراتيجية التصدي:

الفعل الإستراتيجي المناسب لمواجهة التحدي الذي تعلنه العولمة ضد الإسلام يجب أن يقوم على مبادئ الإسلام، لتحقيق التوجه نحو الأهداف والطموحات، فالإسلام يشكل الحصن المنيع الأخير للأمة فهو قوة إيمانية تتمتع باحترام الأغلبية المسلمة التي تثق بقدرته على إقامة نظام عادل تتحقق فيه المثل الإسلامية دون التفريط بحقوق الأقليات غير

المسلمة، وعالمية رسالته تجعله قادراً على تجاوز حدوده القطرية والإقليمية وتحقيق التطابق المقصدي والقيمي لشعوب تمتد على رقعة واسعة من العالم وبمنئ عن القول أن الوحدة والتعاون بين الشعوب المسلمة أساسان لتحقيق مشاريع التنمية والتطوير إنطلاقا من قدرة الإسلام على تخفيف حدة النزعة الحصرية للمصالح القومية، وإضافة هاجس الهيمنة والتسلط بين الشعوب والقوميات من خلال توجهاته العالمية والتزاماته الخلقية الكلية والحقيقة إن قدرة الإسلام على تحقيق هذا النظام العالمي وإمكانيته على التعبئة ضد قوى الهيمنة والتسلط هي التي أثارت نقمة دعاة العولمة على الطراز الغربي وجعلتهم يشنون حربهم الشعواء الظالمة ضد الإسلام لإعاقة جهود المسلمين في التعاون والتنمية، وبناءاً على ما تقدم ذكره يتضح أن التحدي الذي يواجه هذه الإمكانية الإسلامية ناجم عن تضافر عوامل ثلاثة:

1ـ الطموحات الإسلامية الرامية إلى إقامة نموذج حضاري متميز في كثير من جوانبه عن النموذج الليبرالي للعولمة.

2 ـ المقاومة الغربية لأي نموذج حضاري يرتكز على أشكال ثقافية واجتماعية مغايرة لتلك التي طورها الغرب.

3 ـ الاختلال الكبير في ميزان القوى بين العالم الإسلامي والغربي لصالح الأخير وإستفادة الغرب من هذا الإختلال لقمع طموحات المسلمين وإعاقة جهودهم التنموية والتطويرية.

ولتحقيق إستراتيجية إسلامية في التصدي لمشروع العولمة الذي اكتسح العالم بأسره، وبات يهدد جميع البنيات الثقافية في المجتمع وصولاً لتغيير المجتمعات نحو النموذج الغربي، يجب أن يستمر الإسلام بتجذير التنوع الثقافي أكثر فأكثر، فالعولمة تسعى إلى محو الفروق الثقافية من أجل تجنيس الأعراف والأذواق والتطلعات، وصولاً إلى السيطرة والإنتاج المستفيض الذي لا تعوقه التنوعات الثقافية والتحفظات العرقية والنزعات الإقليمية.

والدعوة التي تسمع في كل مكان نحو الإنفتاح على الآخر هي «قول حق أريد به باطل»، يطلب منا عند الخوض في التفاصيل أن نتخلى عن كل مانعتقده في المحرمات والممنوعات، ونصير إلى تقبل ما يأتي به الآخر مهما كان مجافياً، كما نعتقد بصوابه بدعوى التلاؤم مع روح العصر، والاستفادة من خيرات العولمة.

هل الدعوة الى الإنفتاح على الآخر هي دعوة حق أريد بها باطل؟!

إن الثقافة بهذا المعنى هي السلاح الذي يمكن للأمم أن تستخدمه لتقاوم الذوبان في النموذج الغربي، والإسلام يرتكز بثقافته الواسعة على المنهج الرباني بقطعياته وثوابته وأدبياته، وإن أي تجذير للتنوع الثقافي بيننا وبين ما تدعو إليه العولمة يجب أن يقوم على تحسين معرفة الناس بهذا المنهج، ولا يخفى أن أقنية البث وشبكات المعلومات قد فتحت كل النوافذ على كل ألوان المعارف والخبرات والتقاليد البشرية، ما هو حسن منها وما هو رديء، ومعظم ما يعرض ويقدم لا يشكل الإطلاع على أولوية لمعظم الناس، لكنه على كل حال يصرفهم عما يجب أن يطلعوا عليه ويعرفوه، كما أنه يربك وعيهم، ويخلق لديهم نوعاً من العكر في ذائقتهم الثقافية، وهذا في الحقيقية يمثل تحدياً قوياً أمام كل من يريد تقديم ثقافة إسلامية صافية للناس تستند إلى نظرة شمولية لفهم حقيقية الحياة والموت والآخرة، وعلاقة الانسان بربه جل وعلا ـ ولتحقيق

مثل هذه الثقافة الفعالة يجب بذل الجهود الحثيثة لإبراز الفرق بين دعوة الإسلام إلى الإخوة التي تربط جميع المسلمين في أصقاع الأرض، وبين الرؤية التوحيدية التي تبشر بها العولمة بين الناس على أساس مادي الحادي مصلحي، من شأنه أن يفكك روابط المجتمعات الأساسية.

ويجب على الاسلام بثقافته الفقهية أن يعمق مسألة معرفة الناس بالحلال والحرام، ولا سيما في قضايا الأخلاق والعقود والمعاملات التي تعد في صلب اهتمام العولمة، ويمكن الاعتماد على خطبة الجمعة في كل مساجد العالم كبديل عن الغياب الإعلامي التلفزي والتغييب في أحيان كثيرة.

والمسلمون لأسباب عدة يستطيعون مقاومة العولمة وتثبيت نماذج إستثنائه في سياقاتها العامة، بل والتغيير في مفاهيم الآخر والتشجيع على التمرد عليها، لكن هذا مرتبط بشكل أساسي بتطلعات قيادات الأمة وأصحاب القرار فيها، ولأن العولمة تحض على إفقاد الأمم ميزاتها وخصوصياتها، ولاسيما الثقافية منها، وتحصرها في القوة والمال والتقنية المتقدمة والتنظيم الفائق لمزيد من الهيمنة والاستعباد، فإن التصدي يجب أن يعتمد على ثقافة الإسلام في الاستقلال والتميز، وليس المقصود بالإستقلال إنشاء نظام معزول عن النظم السائدة بين الناس اليوم، وليس ذلك ممكنا أصلاً في هذه المرحلة، وليس المقصود بالتميز التعالي على الآخرين والانغماس في أوهام عظمة مدعاة، وإنما المقصود أن نملك إرادة التمنع على الذوبان في تيار العولمة الجارف، وإرادة التمنع هذه ترتكز على الاعتقاد بوجود خصوصية ثقافية وحضارية تتمتع بها أمة الإسلام، وتملي عليها مسؤوليات كونية خاصة، وتلومها بسلوك مغاير لما عليه الأمم الأخرى وإذا تأملنا في قوله ـ جلا وعلا:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 110]

لوجدنا أن أمة الإسلام لن تكون مسؤولة عن شؤونها الداخلية فحسب، وإنما يجب أن تساعد على إصلاح الآخرين أيضا من خلال الدعوة وتقديم النموذج الإيماني الخاص، الذي يجذب الناس إلى طريق الفلاح من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الفهم الإسلامي الخاص والخالص، إن أمة الإسلام ليست مكلفة بإيصال صوت نبيها ﷺ للعالمين فحسب وإنما هي مؤتمنة على جميع مبادئ التوحيد وجميع القيم التي بلغها الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إلى أمم الأرض من قبل، والتميز في نظرنا تكليف وليس تشريفاً، وهو ليس ترفعا وإنما هو مشاركة إيجابية ومساهمة فعالة في إصلاح شؤون الحياة كافة.

❖ لا نجد أن العولمة الغربية أرادت جدلاً مع الاسلام، أو طلبت حالة من يالتفاعل والتلاقح بينها، بل ارادت فرض هيمنتها وسيطرتها على العالم الإسلامي، ومحاولة التأثير في مكونه الأساسي.. «الإسلام».

تجديد الثقافة الإسلامية

تمتعت الثقافة الإسلامية بعوامل جعلتها تحافظ على نفسها أمام جميع نزعات التفكيك والتغيير التي فرضتها القوى الإستعمارية الغربية في الماضي القريب، لكن تسارع عجلة الثقافة والتكاثر العجيب

للأفكار والتيارات في زمننا يتطلب من الثقافة الإسلامية نوعاً من التجديد والتطوير بالإستناد على ثوابت ومبادئ الإسلام النظرية والعلمية (مع الدراسات الفقهية والشروح التقليدية والحديثة بالإضافة للجانب المعيشي اليومي للمسلم) فالمشكلة الجوهرية تكمن في أن الوعي البشري لا يستطيع دائماً ملاحظة التغيرات التي تبعد الثقافة عن أصولها، كما لا يدرك في كل الأوقات العطب الذي يصيب الثقافة فيحولها من أداة ارتقاء وتقدم إلى هيكل معوق ومثبط.

إن الثقافة على المستوى التجريدي تشكل الإطار المرجعي للحكم على مدى صحة الثقافة المعيشية، ومدى ملاءمتها للنهوض الشامل، ولذا فإن التجديد لا يطولها، لكن خبرتنا البشرية تكشف عن بعض أسرارها ومكنوناتها، وقد توجد لبعض أصولها ومنطلقاتها بعض التوظيفات الجديدة، ولهذا سنقدم ما نظن أنه يحسن من قدرة الثقافة الإسلامية على الصمود في وجه العولمة، ويساعد على توفير آليات التقدم في ظلها.

1 ـ إغناء القاعدة الروحية، حيث يتم إهمال الجانب الروحي في ظل العولمة من خلال تغليب تيارات الشهوة الجنسية والشهرة والسيطرة والاقتناء وحب الدنيا، وهذا لا يمكن مقاومته بالأنشطة الفكرية والعقلانية وإنما بتيار متدفق من المشاعر والأحاسيس الإيمانية والذي لا يتولد إلا عن طريق المزيد من الأعمال التعبدية الملتزمة بالأطر والآداب الشرعية إن طابع الرقي الحقيقي هو طابع روحي أخلاقي أكثر من أن يكون طابعاً عمرانياً تنظيمياً، والجاذبية التي تتمتع بها أجيال القرون الأولى من تاريخ الإسلام، تنبع على نحو أساسي من منابع الروح والإلتزام والنزاهة والسعي نحو الآخرة، وليس من التفوق في الحروب أو العلوم أو العمران.

2 ـ بناء حساسية جديدة نحو العدل بكل صوره وأشكاله ومستوياته، وتكوين شفافية عالية نحو قضية مراقبة استثمار التفوق، حيث أن من طبيعة التقدم الحضاري أن يزيد في الفوارق بين الناس في المهارات والإمكانيات والملكيات والعولمة بتركيبتها الخاصة ،تتيح فرصاً متزايدة للمتفوقين في المجالات الإقتصادية ـ على وجه الخصوص ـ أن يقيموا فيما بينهم تحالفات لاستثمار تفوقهم المالي. ومن الواجب أن تتوافر البيئة التي لا تسمح لذلك الاستثمار بالخروج عن الطرق المشروعة، وتحريم الشريعة الغراء للرشوة ـ مثلاً ـ كان إجراء في هذا السبيل، وإذا تأملنا في حياة الشعوب التي تضاءل فيها الفساد وأشكال الدخل غير المشروع، وجدنا أنها تملك حِساً مرهفاً في هذه المسائل، كما تملك آليات تعري أولئك الذين يترعرعون في الكسب الحرام.

3 ـ ما كان للعولمة أن تفتك بالناس عندنا على هذا النحو المخيف لولا أنهم يعانون من أشكال عديدة من الخواء الثقافي، حيث أن أحوالنا الحضارية تتطور خارج مدلولات الثقافة الإسلامية، أي أن أنماط العيش الجديدة وأنماط العلاقات التي نقيمها، لا تتشكل على هدى القيم الكبرى التي نؤمن بها، وإنما تتم تحت ضغوط مقتضيات ظروف العمل وضرورات تلبية الحاجات الأساسية، وهذا ما أوجد لدينا مشكلة كبرى، إذ صار كثير من الناس مكشوفين ثقافياً، ومجردين ـ إلى حد كبير ـ من البعد القيمي الذي يعطي للأنشطة الحياتية معنى خاصاً وهدفاً وغاية، ويكشف لنا عن مدى هذا الاكتشاف الثقافي ما نلاحظه من ازدياد للمسافة بين عقائدنا النظرية وعقائدنا المجتمعية، ومن المعلوم أن العقيدة

الإجتماعية هي جماع المبادئ والمصالح، على حين تشكل العقائد النظرية على أرضية ما هو سام ومتعالٍ ومثالي، وهذه المسافة المتسعة بين العقيدتين هي ناتج ضغط المصالح على المبادئ ونتائج ضعف الغطاء الثقافي للسلوكات اليومية.

إن العولمة تسوق القيم الغربية وتفاصيل الحياة اليومية للإنسان الغربي من خلال الأخبار والأفلام والإنتاجات الثقافية المتنوعة، وقد فُتن بذلك الكثير من الناس بسبب بعض الإيجابيات في الثقافة الغربية، وبسبب تهميش بعض المكونات الثقافية المهمة لدينا من خلال حرمانها التجسد العملي في الحياة المعاصرة.

وعموماً إذا ما أردنا أن نكسر هجمة العولمة في المجال الثقافي، فإن علينا أن نقلب النظر في الأوراق الذابلة من ثقافتنا، ونعيد لها الحيوية والتألق من جديد.

العمل الإسلامي المشترك

لا تستطيع العولمة أن تعمل عملها على الوجه الأمثل إلا في عالم مفكك مبعثر، تتولى هي صياغته على نحو يخدم مصالحها، ولذا فالدول الصغيرة والشعوب الفاقدة لهويتها هي مجال العمل المفضل لقوى العولمة العاتية، فالمستفيدون من العولمة ينتجون نظم الهيمنة والسيطرة من أجل تحقيق المزيد من المكاسب، والشعوب الممزقة تهيئ الفرص وتقدم التسهيلات لوقوع ذلك.

العملية على كل حال معقدة، فقد تخدم عدوك دون أن تدري، وقد تخدمه لأن أوضاعك لا تمكنك من غير ذلك، وقد تخدمه لأنك لا تفعـل ما ينبغي عليك أن تفعله، ولهذا فإن وحدة المسلمين تصبح أكثر إلحاحاً، بل تصبح قضية مبدأ وواجب ومصلحة ومصيره والوعي بهذا بداية العمل الشاق الذي علينا أن ننجزه، فلا بد من أعمال كثيرة وكبيرة توضح الأواصر بين المسلمين إلى جانب وحدة التحديات ووحدة المصير المشترك، ويمكننا الخلوص إلى أن إقامة نظام عالمي عادل غير ممكن ضمن البنية السلطوية السياسية العالمية الحالية، واعتماداً على المعايير الدولية السائدة، ولكنه غير مستحيل إذا ما وجد العمل الإسلامي طريقة لأن يصبح أكثر وحدة وإنسجاماً مع بعضه البعض كأمة، فهو من هذه الناحية مرشح للتصدي للعولمة، لأنه وكما أسلفنا نظام شمولي، ويمكن للإسلام لعب الدور الحاسم لأن لديه القدرة في إحلال قيمه ومبائه كبديل لحالة الضياع والفوضى التي تبشر بها العولمة، وطالما أن العولمة اتخذت طريق الصراع بديلاً عن الحوار والجدل فإن الإسلام كنظام شمولي يجب أن يكون دِرعاً حامياً لأمته أمام سيول العولمة وطوفانها اللامحدود.

المراجع والمصادر

1 ـ «العولمة» تأليف محمد أبو زعروع ـ عمان ـ دار البيار ق.ط.1998.

2 ـ «العولمة» لنظرية الإجتماعية للثقافة الكونية، تأليف رونالد رويرتسون ترجمة: أحمد محمود ونورا الأمين ـ القاهرة ـ ط المجلس الاعلى للثقافة ط.عام 1998.

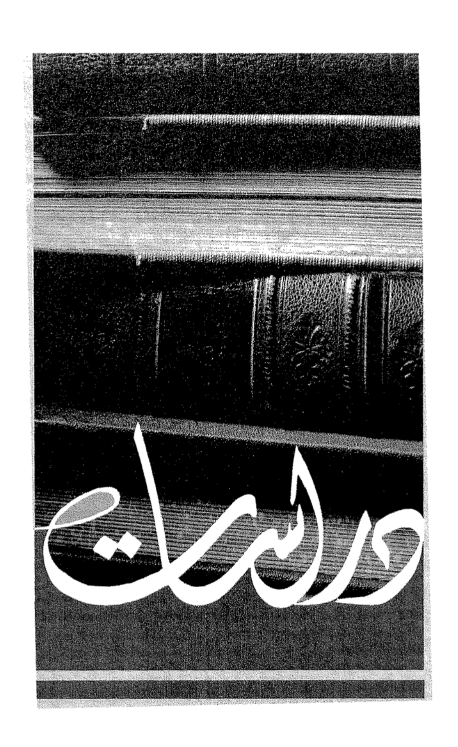
3 ـ «ماذا يريد العم سام ؟» تأليف نعوم تشومسكي ـ ترجمة: عادل المصلح ـ القاهرة ـ دار الشروق ط 1997.

4 ـ «العولمة ومحاولة دمج العلم» د.عبدالخالق عبدالله ـ مجلة العربي ـ أغسطس 1997 ملف «العولمة وصراع الحضارات» الثقافة العالمية العدد 85 (نوفمبر ـ ديسمبر 1997) .

5 ـ «الجات وأخواتها» د. إبراهيم العيسوي ـ بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ط 1995.

6 ـ «صدام الحضارات كمقولة إيديلوجية لعصر العولمة الامريكية» د. مسعود ضاو صحيفة الإتحاد الإماراتية (21, 4, 1997).

7 ـ «الإسلام حضارة الغد» د. يوسف القرضاوي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط ـ 2001م.



- ❖ الخطاب الإسلامي المعاصر
- ❖ التلاحم الثقافي العربي - الأفريقي
في مواجهة العولمة



الخطاب الإسلامي المعاصر

د. محمد مصطفى بن الحاج *

من أهم القضايا التي تشغل بال كل مسلم مثقف واعٍ بطبيعة هذا العصر، وبما تعانيه أمتنا من أزمات، وما يتربص بها من تحديات فكرية ومادية، قضية الخطاب. ذلك أن الخطاب هو أداة التبليغ والتواصل والحوار ما بين أبناء الأمة نفسها، وبينها وبين الأمم الأخرى. وهذه الأداة هي مقياس نضج الأمة ومعيار مقدرتها على ممارسة ذلك التبليغ والتواصل والحوار، وعلى إحلال نفسها المكانة اللائقة بها بين الأمم، ومن ثم نجاحها أو فشلها في إقناع الآخرين بمواقفها ووجهات نظرها في مختلف المسائل والشؤون. (انظر 109/2).

مستويات الخطاب وصوره

ويتجسد الخطاب في مستويات مختلفة، كما يتجلى في صور متعددة. أما مستوياته التي يوجه إليها، فيمكن تصنيفها صنفين: داخلي أو محلي، خارجي أو عالمي. وينقسم كل من هذين الصنفين إلى مستويات التلقي بحسب درجة التعلم والثقافة والسن ونوع المهنة والبيئة والظروف. وبناء على هذه الاختلافات يتحدد نوع الخطاب ولغته وخصائصه المناسبة، كما يتعين الوقت الأنسب والأداة الأصلح لتقديم هذا الخطاب. وأما صوره التي يؤدى من خلالها، فهي كما نعلم، الكتاب والمقالة البحثية والمقال الصحافي والمحاضرة والحوار وعرض الكتب والشريط المرئي أو المسموع والنشيد والأغنية والمعارض الثقافية. وبقدر مراعاة طبيعة تلك المستويات وهذه الصور وتحقق الشروط الموضوعية والمنهجية فيها، يكون مبلغ نجاح الخطاب في مهمته أو فشله في أدائها. وبالنظر إلى ما عليه عامة عقليات المسلمين في أكثر حالاتها، وما يثقلها من عيوب كثيرة، تعرقل فعاليته، وتضيع أهدافه، وتتخلف به قرونا من هذا العصر.

مكونات الخطاب الإسلامي (انظر 1/58-77)

يمكننا أن نرد مكونات الخطاب الإسلامي إلى نوعين: المكون الشرعي وهو ما جاء به الوحي الإلهي من قرآن وسنة نبوية صحيحة. وهو أصل الخطاب الإسلامي ومنطلقه ومرجعيته الثابتة الدائمة، لكونه صادرا عن الله سبحانه الذي أبدع الوجود كله. والمكون البشري هو ما فهمه واستنبطه البشر من النصوص الشرعية وما نتج من ذلك فكرا كان أو فقهاً أو علوماً أو أدباً. لذلك فهو فرع للمكون الأول ومؤسس منه وإليه. 67/1 وبما أن المكون الشرعي قد أكسبه مصدره الرباني خصائص الربانية والشمول

---

* استاذ جامعي/ ليبيا

والثبات والتوازن والمرونة والصلاحية لكل زمان ومكان، فباستطاعتنا أن نكتشف بمعاييره كل خلل واضطراب في واقع الحياة القائم (انظر 1/ 72-73). ونظراً لتباين الأفهام واختلافاتها في التحليل والتفسير والتأويل، فقد كان لا بد من وجود شروط لكل ذلك، متفق عليها بين العلماء، في مقدمها إتقان العربية وفقه أسرارها على مستوى العصر الذي نزل به الوحي وعاش فيه الرسول الأمين، وليس وفق معايير ومناهج مستوردة، تتكلف ـ كما يتجرأ كثير من مفكري اليوم وكتابه ـ تشريح النص المقدس تشريحاً كما يريده فرويد أو يونغ أو ماركس أو شتراوس أو غولدمان أو فوكو أو دريدا أو سواهم من المنظرين الغرباء عن هذا المكون القدسي وطبيعة لغته وروح بيانه وعصمة مبلغه وموثوقية تواتره وصحته.

وإذا كان الخطاب أي خطاب رهيناً للتطوير والتبديل دون تحفظ أو اشتراط، فإن خطابنا الإسلامي له وضعه الخاص. فهو لا يتغير ولا يتبدل في جوهره أي في ثوابته الأساسية المرتكزة على مكونه الشرعي المقدس مهما تغير الزمان والمكان والمتلقي، وبغير هذه الثوابت أو بالمساس بها لا يكون إسلامياً ولا يمثل حقيقة الإسلام وخصائصه. وأما المكون الآخر ففيه يكون الاجتهاد والتطوير بما يراعي المخاطبين وظروفهم العامة والخاصة زماناً ومكاناً. يقول د. القرضاوي: «وإذا كان المحققون من أئمة الدين وفقهائه قد قرروا أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال، والفتوى تتعلق بأحكام الشرع، فإن نفس هذا المنطق يقول: إن تغيير الدعوة أو الخطاب بتغير الزمان والمكان والعرف والحال أحق وأولى». (7/17)

إذا كان الخطاب رهيناً للتطوير والتبديل دون تحفظ أو اشتراط، فإن خطابنا الإسلامي له وضعه الخاص. فهو لا يتغير ولا يتبدل في جوهره أي في ثوابته الأساسية المرتكزة على مكونه الشرعي المقدس مهما تغير الزمان والمكان والمتلقي،

فضاءات الخطاب: بالنظر إلى متلقي الخطاب، نجد ان هناك فضاءات متنوعة يمكن أن تتناول على مستويين:

أولاً: الفضاء الداخلي أو المحلي:

وفيه يتوجه الخطاب إلى فئات متفاوتة، فيها الطفل والشاب والفتاة والمرأة والرجل، كل بحسب مستواه التعليمي أو الثقافي، وبحسب موقعه، أو مهنته وظروفه الخاصة. وما نلاحظه على هذا الخطاب هو عدم مراعاته أحياناً طبيعة هذه الفئات والشروط المتطلبة لذلك. ويتجلى هذا في مظاهر كثيرة، نحاول عرض أهمها، بعيداً عن التفاصيل وعن ذكر ما يثير أي حساسية، اعتماداً على وعي القارئ المهتم بكل ذلك، وتجنباً للإطالة المملة. وتلك المظاهر المهمة منها:

1ـ غياب الرؤية الفكرية المتحدة والمشروع الدعوي الموحد، ومن ثم افتقاد الخطاب الإسلامي المتفق عليه بين كثير من مؤسسات الدعوة ورجالات الفقه والشريعة، وكذلك غياب الفتوى المتفق عليها في كثير من الأمور التي تهم الأمة وتمس شؤون دينها، مثل رؤية الهلال وتحديد العيدين والفوائد المصرفية، وغيرها من المسائل والمشكلات. وقد ترتب على ذلك صور من التنافس غير المحمود، بل قام التصارع بين جمعيات ومؤسسات دعوية إسلامية في عدة ساحات دولية. وكل ذلك بسبب تحكم الأهواء والمآرب السياسية التي لا تتقى الله، ولا تخلص العمل في سبيله.

2ـ تعطيل المؤسسات والمنابر المتخصصة والمؤهلة لتقديم المعرفة الإسلامية الصحيحة في بعض البيئات الإسلامية أو عرقلتها، أو توظيفها لخدمة

المآرب السياسية، ولجوء الناس أو بعضهم، ولا سيما قطاع الشباب، إلى تلقي المعرفة الدينية من طرق غير مباشرة وغير متخصصة ولا ذات منهجية، وهو ما يؤدي بها في الغالب إلى تصورات ومفاهيم ومواقف وأنماط من الغلو في التطرف أو التصوف الذي يناقض طبيعة الإسلام وواقعيته وسماحته. يقول الاستاذ فهمي هويدي: «في غيبة مدارس التربية الإسلامية الرشيدة، كان طبيعياً أن تظهر الانحرافات الفكرية، خصوصاً وأن أولئك الشبان هم ضحايا التعليم المدني الذي لم يوفر لهم حداً معقولاً من الثقافة الإسلامية يوفر الحصانة ويكفل لهم التوازن النفسي والعقلي. وهكذا فإن إغلاق الأبواب المشروعة دفع نفراً من الشباب إلى طرق الأبواب غير المشروعة، وأفرزت ثقافة الظلام نتاجها الطبيعي الذي كان خليطاً من الشذوذ والانحراف..» (116/4)

3 ـ التقوقع داخل مذهب فقهي أو عقيدي معين، وفرضه في التعليم ووسائل الإعلام والثقافة، وإصدار الفتاوى الدينية من خلاله، ثم تصدير هذا التوجه المذهبي الضيق إلى عامة المسلمين في العالم، بمختلف الوسائل والأساليب، وتخطئة سائر المذاهب وأصحاب الاجتهادات الأخرى، إن لم يرموا بالجهل والفسوق والزيغ والخروج عن الملة. ويضاف هنا ظاهرة رفض الكثير من المصطلحات المعاصرة بحجة عدم وجودها في الفكر السلفي كلفظ الديمقراطية بدعوى أنها تتناقض مع ما أنزله الله.

4 ـ التشبث برأي واحد في مسألة ما ومصادرة جميع ما عداه من وجهات النظر، والتشبث بالانفراد بالفهم والمسؤولية عن الدين، استناداً إلى وهم عصمة الذات واتهام الآخرين بالنقص والجهل، ورفضاً لمبدأ نسبية الحقيقة في التفكير البشري. وهو موقف يعطل العقول وينفي مبدأ الاختلاف والاجتهاد ويحنط التفكير في مسلمات جامدة. وهو ما يخالف إرادة الخالق سبحانه في جعله الناس مختلفين، لتقوم الحياة بكل مظاهرها وتجلياتها. وهذا ما يتبناه الكثير من ممثلي الخطاب الإسلامي ويحسبونه على الإسلام، وهو منه براء. ونحن نلمس آثاره السيئة في تمزيق فكر الأمة وتشتيت وحدتها وتضييع طاقاتها في كثير من الهامشيات والشكليات والغيبيات الغامضة. وقد مكن هذا التحجر الكتاب العلمانيين على اختلاف مشاربهم من انتقاد هذا الخطاب ومهاجمة الإسلام نفسه من خلاله. (انظر 3/ص22ـ26 وص38ـ39).

إن إغلاق الأبواب المشروعة دفع نفراً من الشباب إلى طرق الأبواب غير المشروعة، وأفرزت ثقافة الظلام نتاجها الطبيعي الذي كان خليطاً من الشذوذ والانحراف

5 ـ تجاهل أولويات القضايا بعامة في التأليف والكتابة فيما يعالج أزمات الأمة ويعمل على توحيدها وترشيدها وإصلاح ذات البين فيها، والعمل على تقدمها والرقي بها، والانشغال بدلاً من ذلك في بعض الأوساط الإسلامية بافتعال الفتن المذهبية وإيقاد نار الصراع والتنابذ والاتهامات بالزندقة أو الفسوق أو التكفير من خلال تأليف الكتب وتدبيج المقالات وإصدار الأشرطة، وتقديم البرامج المرئية الساخنة.

6 ـ تشويش أذهان عامة الناس وزعزعة عقائدهم بإثارة قضايا ومشكلات كلامية شائكة ومعقدة، من خلال تلك الحوارات الساخنة على بعض القنوات المرئية وعلى صفحات بعض المجلات والصحف، كالخوض في الأسماء والصفات والتأويل والقدر والجبر والاختبار، وإحياء

الخصومات القديمة بين المذاهب والفرق الإسلامية التي هي من اختصاص كبار المتخصصين، والتي لا طائل من وراء إثارتها في وسائل الإعلام العامة غير بلبلة الأفكار وزرع الفتن وتوسيع شقة الخلاف بين المسلمين.

7 ـ التشديد والتضييق في فتاوى بعض العلماء فيما فيه سعة ومجال للاجتهاد، تجاهلاً لمرونة الإسلام وصلاحيته لكل البيئات والأزمان والظروف والضرورات، أو انفلات الفتاوى والجرأة أحياناً على مخالفة العلوم من الدين بالضرورة، وذلك بتحليل الحرام وتحريم الحلال، أو السكوت عن عبث السلطان وتجاوزاته في حقوق الناس السياسية والاقتصادية وغيرها، أو استغلال الإسلام أحياناً في نصوصه وتشريعاته لحرب القوى المناوئة للنظام القائم في بعض الساحات، مماشاة لأهواء الساسة والحكام، حرصاً على المناصب والمزايا. (انظر 3/31ـ34)

8 ـ مجابهة بعض التيارات التي تنتقد الإسلام أو تهاجمه بآلياتها المعرفية ومنهجياتها المعاصرة مجابهة ساذجة متخلفة، تضع نفسها أو توضع عادة في موضع لا تحسد عليه كما يقال، موضع هو أدنى للهزء والسخرية على مرأى ومسمع من جماهير المشاهدين أو القراء. وقد يبلغ الأمر، بل كثيراً ما يحدث، في بعض البرامج الفضائية وبعض المجلات المتخصصة في هذا الشأن أن يكون المتحاوران على درجة قصوى من التباين في استعدادهما للحوار ومقدرتهما على الحجاج والإقناع، بحيث يكون المتحاور الإسلامي في موقف مزر ومؤسف أمام خصمه المتمكن، الأمر الذي يشعر المتابع الفطن بأن اختيار كل من المتحاورين قد يتم أحياناً بعناية وبنية مبيتة سلفاً، أي لحاجة في نفس يعقوب. على أن الملاحظ أحياناً أن قضية الحوار بين الإسلاميين أنفسهم وبينهم وبين غيرهم غير قائمة، لأن منهم من لا يقبل مبدأ الحوار أساساً، ويراه أسلوباً عقيماً، كما أن منهجية الحوار وآدابه لم يتعلمها ولم يجربها في حياته العملية. ولو تكفلت مؤسساتنا التعليمية والدعوية الإسلامية العامة بتعليم أبنائنا ذلك ولقنتهم أدب الاختلاف وأهمية الاختلاف في الآراء، لما انحرف شبابنا ولما تطرفوا وصارت أمورنا إلى ما صارت إليه. (انظر 3/138ـ143).

لو تكفلت مؤسساتنا التعليمية والدعوية الإسلامية العامة بتعليم أبنائنا ولقنتهم أدب الاختلاف وأهمية الاختلاف في الآراء، لما انحرف شبابنا ولما تطرفوا وصارت أمورنا إلى ما صارت إليه.

9 ـ تحميل بعض النصوص القرآنية والنبوية غير ما تحتمل، والإلحاح على افتعال الربط لأدنى مناسبة بين النص المقدس والظواهر الطبيعية والنظريات العلمية والأمراض، ربطاً قائماً على الرجم بالظن والافتراض. ومثاله تلك المحاولة حول الرقم (19) وهو عدد أحرف البسملة وتطابق هذا العدد مع الحروف المقطعة في فواتح بعض الصور القرآنية، أو القول إن العرق يحتوي على مادة أو مواد تعمل على العلاج من الماء الأبيض الذي يصيب العيون، استنتاجاً من قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾

[سورة يوسف: الآية 96]

إن سبب رجوع البصر إلى عيني والده يعقوب إنما هو لوجود عرق يوسف في قميصه. وعندما نشر هذا النوع الأخير من الخطاب الذي يخاطب قراء الألفية الثالثة، بادر أحد كتاب مجلة الكشكول اللبنانية (10ـ15/17)، وهي من أشهر

منابع العلمانية الآن، بتدبيج مقال يقطر تندراً وهزءا بصاحب ذلك الاكتشاف الطريف. وهذا ليس اعتراضاً مطلقاً على جهود التفسير العلمي للقرآن والسُّنة الصحيحة، فإن منها اجتهادات لا بأس بها، ما دامت تتسم بالحيطة والتثبت والتفريق بين النظرية القابلة للتغير أو التعديل، والحقيقة العلمية الثابتة التي لا تتبدل.

10 ـ التأكيد المبالغ فيه من قبل الكثير من الوعاظ وخطباء المساجد على موضوعات الترهيب بأصناف العذاب الأخروي والتزهيد في تعمير الحياة والإبداع فيها، وإهمال بعضهم تناول قضايا الإنسان والمجتمع من معاملات وعلاقات وآداب، وعدم التذكير بأنواع الأمانات الملقاة على المسلم تجاه نفسه وأسرته وجيرته ووطنه وأمته. وهي ظاهرة لها أسباب كثيرة،من أبرزها ما يتمثل في النقطة التالية.

11ـ فراغ كثير من الساحات والمنابر من المتخصصين القادرين وانكماشهم على أنفسهم نتيجة أوضاع سياسية معينة في بعض البيئات الإسلامية، وإسناد هذه المهمة أو توليها من قبل آخرين غير مؤهلين، أو من قبل متطوعين من ذوي التثقيف الديني الذاتي الذين يغلب على بعضهم أحيانا شيء من التطرف والغلو والتخليط في العلم وسوء الفهم. ولقد تمكنت هذه الظاهرة في بعض البلاد العربية إلى درجة أن صلى الجمعة عدد كبير من كبار المتعلمين وبينهم علماء متميزون في الشريعة خلف عامل ورشة فني وشبه أمي ومن بلد مجاور، بعد أن أتحفهم بخطبة مرفوسة نكراء.

12 ـ نجاح كثير من الجهود الواعية المخلصة في وصولها إلى قلوب الناس وتوفيقها في إحداث إصلاح واسع المدى، وذلك بفضل وسطيتها وفقهها بجوهر الشريعة وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وإخلاصها ومثابرتها واستخدامها الأسلوب الجذاب الذي يشد الانتباه ويأسر العقل والقلب للمتابعة والاستيعاب، ومن أجود الأمثلة في هذا المجال جهود الداعية الشيخ محمد الغزالي والداعية الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور محمد عمارة والأستاذ عمرو خالد وما أحدثوه في أوساط الشباب والفتيات بخاصة من صحوة والتزام واع جاد على طريق الله سبحانه. والحق أن جهود هؤلاء وغيرها من الجهود المتميزة الناجحة يجب أن تحتذى وأن يستعان بها في تربية الناشئة والشباب في كل المؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية،إذا صدقت النيات والهمم، وأريد حقاً أن يصلح امر الناس ويسعدوا في العاجلة والآجلة.

نجاح كثير من الجهود الواعية المخلصة في وصولها إلى قلوب الناس وتوفيقها في إحداث إصلاح واسع المدى، وذلك بفضل وسطيتها وفقهها بجوهر الشريعة وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وإخلاصها ومثابرتها واستخدامها الأسلوب الجذاب الذي يشد الانتباه ويأسر العقل والقلب للمتابعة والاستيعاب

ثانياً: الفضاء الخارجي أو العالمي:

بالنظر إلى تلك الأوضاع التي عليها الخطاب الإسلامي محلياً أي في الداخل، وما يسودها من اضطراب وغياب للتخطيط والتعاون، ومن افتقاد ـ كما تقدم ـ للرؤية الشاملة الموحدة والأهداف المحددة وإخلاص العمل لله سبحانه، فإن هذا الخطاب على مستوى العالم ضعيف ومتخلف جداً عن منطق العصر وآلياته ومناهجه، بل لولا بعض الجهود القليلة المتناثرة، لقلنا انه غائب في إجازة غير محدودة عن عالم اليوم. ومع صعوبة تشخيص هذا الوضع وتحديد

ملامحه، فإنه يمكن إدراك الملاحظات الآتية:

1 ـ على الرغم من امتلاك الدول الإسلامية عدداً من الثروات الطبيعية الهائلة كالنفط والغاز والحديد والفوسفات والنحاس واليورانيوم.. الخ والطاقتين الشمسية والمائية والثروات البحرية والزراعية، وعلى الرغم من تعدادها السكاني الذي يتجاوز المليار وأربعمائة مليون، ومنهم آلاف الأدمغة المهاجرة التي تعمل في خدمة الدول الأجنبية وتسهم في رقيها، فإن ما تخصصه هذه الدول ـ على تباين في ما بينها ـ من أموال ومن برامج ومشروعات لتبليغ رسالة الإسلام إلى شعوب العالم وإنقاذها من ظلمات الضلال في الدنيا وسوء المصير في الآخرة، وللتعبير عن قضايانا في المعترك الدولي، هو أمر مؤسف جداً، إذا ما قورن بما تحظى به المسيحية والماسونية وسائر المذاهب والحركات الهدامة من جهود للانتشار والتمكين في العالم. وليت حتى هذا الأمر المؤسف، أو هذا الجهد المحدود، ينطلق من رؤية موحدة وتعاون مثمر، وضمن خطط علمية موحدة، ويتبنى من ثم خطاباً منهجياً واضحاً وموحداً يناسب طبيعة العصر ومتطلباته.

2 ـ كثير ممن يهديهم الله إلى الإسلام هم أعلام مشهورون في مجتمعاتهم المحلية، وبعضهم لهم شهرة محلية واسعة، علماء ومفكرون وكتَّاب وفنانون، ولهم تأثير كبير في الآخرين، لكن قليلاً منهم من اتجه وجهة الدعوة إلى دين الله ووظف علمه أو موهبته أو مكانته أو ثروته لهذه الدعوة، كما فعل «كات ستيفن» المغني العالمي المعروف الذي تسمى بيوسف الإسلام، ونذر فنه وماله وحياته للدعوة إلى الله، وكما فعلت الأمريكية المسلمة مريم جميلة والمستشرقتان الألمانيتان آنا ميري شيمل، وزيغريد هونكه وغيرهم كثير. فهؤلاء لا شك في أنهم واعون بمقتضيات العصر، ويمتلكون أدوات الدعوة الناجحة، وفي الإمكان توحيد جهودهم وتوجيهها من أجل تقديم خطاب إسلامي راق وفعال. وبسبب تفرق كلمة المسلمين في ديارهم وفقدانهم الخطاب العلمي الموحد، استحال اهتداؤهم إلى برنامج علمي جاد يجمع شمل أولئك المهتدين الجدد والقادرين على تقديم الخطاب العالمي المطلوب.

3 ـ الحوار الإسلامي ـ المسيحي هو أحد السبل الذي حاولت من خلاله عدة منظمات ومؤسسات إسلامية منذ عدة عقود إيصال خطابها الإسلامي في عدة ملتقيات معروفة. وهو سنة حميدة هي امتداد لذلك الحوار الذي كان يجريه أسلافنا مع أهل الكتاب عبر عصور السيادة الفكرية والحضارية في القديم. لكن فكرة الحوار لدينا مع الأديان الأخرى لم تنل في هذا العصر العناية التي توليها المنظمات المسيحية لذلك الغرض. يقول الأستاذ محمد السماك في كتابه الصادر في 1998: «فإن المنظمات المسيحية الكبرى قامت بمراجعة حسابية للأعمال التي قامت بها تمهيدا لبرمجة مشاريعها المستقبلية، وهو أمر لا تجاريها فيه المنظمات الإسلامية... ويشهد نهاية القرن العشرين أربعة مؤتمرات مسيحية دولية يدعى مسلمون للمشاركة فيها»، ويقول أيضاً: «مهمة هذه المؤتمرات الدولية الأربعة الكبرى تقويم الحوارات بين الأديان التي جرت في العقود الخمسة الماضية... ومن ثم وضع برامج جديدة في ضوء التجارب الماضية لتقرير

قليلة تلك الجهود التي اتجهت إلى شعوب العالم بخطاب علمي موضوعي وخالص لوجه الله. ومعظم هذه الجهود هي جهود فردية عصامية، وقد باركها الله بسبب إخلاص أصحابها

أي نوع من العلاقة يمكن أن تقوم بين المسيحية والإسلام تحديداً..» وقد لاحظ الأستاذ السماك أن المسلمين لم يقدموا أي مبادرة لعقد مؤتمر شبيه بتلك المؤتمرات، وأنهم في غياب تلك المبادرة هم بين أمرين أحلاهما مر: إذا رفضوا الاشتراك فإنهم يعزلون أنفسهم ويوحون للآخرين بأن الإسلام سلبي منكفئ على نفسه، وإذا لبوا الدعوات فإنهم يستجيبون لشروط الداعين، ثم إن الإسلام غالباً ما يوضع في هذه المؤتمرات الدولية موضع المتهم بالإرهاب وبانتهاك حقوق الإنسان، وهو ما يضع المسلمين المشاركين موضع المدافعين عن دينهم، وهو تكتيك ـ على حد قوله ـ يضعف من الحضور الإسلامي ويحد من دوره. (انظر 10/ 72ـ75).

ومع صعوبة الحكم في هذا المقام على مسيرة هذا الحوار وما أدى إليه من نتائج، فأعتقد أن هذا الحوار لم يكن قائماً على خطة شاملة وتعاون بين المسلمين أنفسهم، شأن أي عمل إسلامي آخر. وباختصار فهو حوار يبعد أن يكون في مجمله خالصًا لوجه الله، بقدر ما هو في الغالب لخدمة الأهداف السياسية والضغوط الدولية والمصالح الموقتة. (انظر 10/ 79 ـ 82).

4 ـ قليلة تلك الجهود التي اتجهت إلى شعوب العالم بخطاب علمي موضوعي وخالص لوجه الله. ومعظم هذه الجهود هي جهود فردية عصامية، وقد باركها الله بسبب إخلاص أصحابها. وأشهر مثال في هذا المجال ما قام به الداعية المسلم العالمي أحمد ديدات الذي أدى رسالته في محاورة أهل الكتاب باقتدار عظيم كان محل الإعجاب، ووهب أعماله كلها صدقة جارية في سبيل الله. وكذلك ما قدمه المفكر الإسلامي الكبير وحيد الدين خان الذي أثرى المكتبة الإنسانية بعدد من المؤلفات والمقالات الإسلامية القيمة. وهناك أعلام مسلمون آخرون أسهموا بتقديم آثار علمية جليلة بأكثر من لغة أجنبية، كلها جديرة بإعادة النشر في طبعات متميزة، ليتم توزيعها من خلال برامج علمية واتصال مباشر بالمؤسسات الثقافية والعلمية في مختلف بلاد العالم غير المسلم.

5 ـ يعد حادث الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك المعروف منعطفاً بارزاً في نظر الغرب بخاصة وبنظر العالم بعامة إلى الإسلام والمسلمين. وبقدر ما ترتب على هذا الحادث من نتائج وخيمة على الإسلام والمسلمين، فقد حفز الحدث كثيراً من الأجانب في مختلف بقاع العالم للتعرف على حقيقة هذا الدين الذي تخيلوا أنه هو ـ كما جزموا ـ الباعث الأساسي على ما أسموه الإرهاب. ومعلوم أن الخطاب الإسلامي الشائع والمتوفر باللغات غير العربية هو خطاب ضعيف ومحدود جداً من حيث الانتشار والتأثير، وأن كتابات المستشرقين والمهتمين أو المتخصصين في الشؤون الإسلامية من غير المسلمين هي المصدر الأساسي للأجانب، ولكثير من المسلمين الذين لا يعرفون العربية أو لا يتقنونها. ولما كان الفعل أسرع تأثيراً من الكتابة وأشد وقعاً وإقناعاً، فقد كان لمنظر المأساة في ذلك الحادث من الخراب وعدد الضحايا الأبرياء وما تملك الناس من الهلع والفزع تأثير وأصداء بعيدة المدى، ليس في نفوس الغرب، بل في نفس كل ذي عقل وإحساس. بهذا السلوك الأرعن الذي لا يرضاه الإسلام مطلقاً، توارت في النفوس كل صورة حسنة عن الإسلام، واستقر مكانها يقين واحد، أثبته الواقع واعترف به الجناة، وهو أقوى أنواع الخطاب، أن هذا هو منطق الإسلام. وهيهات لهذه الصورة القائمة النكراء أن تمحى، وأن يحل محلها ما يثبت العكس ويصحح صورة

الإسلام الحق. وفي الوقت الذي تجتهد فيه الحركة الصهيونية لتأكيد تلك الصورة القاتمة في أذهان بل في قلوب شعوب الأرض ضد الإسلام بكل وسائلها الإعلامية والسياسية، مستغلة صور الاستشهاد البطولي في فلسطين، ينهمك المسلمون، ومن بينهم العرب، وعلى رأسهم أخوتنا في فلسطين في تشتيت وحدتهم، وتعميق خلافاتهم، وإهمال تصحيح صورتهم أمام العالم. ولا شك في أن أثرياء العرب والمسلمين الذين جمد الغرب ملياراتهم بعد ذلك الحادث المذكور، والذين وظفوا شطراً منها قبل ذلك في مشروعات يهودية، وسخروا بعضها في ملذاتهم الشخصية وهواياتهم المفضلة، كان في وسعهم، لو أنهم اتقوا الله في دينهم وأنفسهم، تسخير أكبر وسائل الإعلام والنشر العالمية، وشراء كبرى الصحف والقنوات الفضائية، لخدمة الخطاب الإسلامي بكل أنواعه ومستوياته، وإبلاغ البشرية في كل ديارها وبمختلف لغاتها رسالة الهدى والحق.

أثرياء العرب والمسلمين الذين جمد الغرب ملياراتهم كان في وسعهم، لو أنهم اتقوا الله في دينهم وأنفسهم، تسخير أكبر وسائل الإعلام والنشر العالمية، لخدمة الخطاب الإسلامي بكل أنواعه ومستوياته، وإبلاغ البشرية في كل ديارها وبمختلف لغاتها رسالة الهدى والحق.

أنواع الخطاب الإسلامي:

انعكاساً لما مر ويمر بأمتنا من ظروف عاصفة وهزات مروعة ومآسٍ مؤسفة، ولا سيما بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر المعروفة تعددت أنواع الخطاب الإسلامي بخاصة والعربي عامة، معبرة عن وجهات النظر الرسمية وغير الرسمية وممثلة لمختلف التيارات والانتماءات. والمتتبع للخطاب الإسلامي بخاصة يمكنه أن يلاحظ ـ كما يرى د. محمد عمارة ـ فرقاً مبدئياً بين البيئتين السنية والشيعية، وهو أنه لا عصمة لعالم دين ولا لمؤسسة العلم الديني لدى مسلمي السنة وهم غالبية المسلمين. وأما أنواع الخطاب التي يمكننا استخلاصها من مجموع الملاحظات والملامح السابق ذكرها، فهي الآتية : (انظر 13/5ـ19).

1 ـ خطاب الوسطية الإسلامية: الذي تمثله مدرسة الإحياء والتجديد والجمع بين الأصالة والمعاصرة ومواجهة الأحداث بواقعية ومرونة وحكمة. ويتصدر هذا الاتجاه عدد من العلماء والدعاة والمفكرين والكتاب من بينهم: د. يوسف القرضاوي ود. صبحي الصالح ود. محمد عمارة والشيخ محمد الغزالي ود. محمد خاتمي ووحيد الدين خان وفهمي هويدي وغيرهم كثير. وهو كما يسميه الإمام محمد عبده خطاب الهدايات الأربع: العقل والنقل والتجربة والعاطفة، وهو الأوسع ذيوعاً وانتشاراً في عالم الإسلام.

2 ـ خطاب الاتجاهات الصوفية: الذي يرتكز على التجارب الروحية وعلم القلوب والتأملات، ويصدر عن فرق متعددة، تتفاوت في قربها أو بعدها عن روح الشريعة وحقيقة الإسلام. لذلك يشوب خطاب بعضها شوائب من الدروشة والخرافات والانحرافات. وقد استغلت بعض الأنظمة السياسية هذه الفرق لتخدير الناس وإلهائهم عن واقع الحياة، وسمحت بنشر الكتب والرسائل التي تمثل هذه الاتجاهات دون موجه أو رقيب. ومن المؤسف أن بعض مؤسسات الدراسات العليا أجازت أطروحات عن بعض الأولياء لا تضيف أي قيمة علمية ولا أي نفع للمجتمع والحياة.

3 ـ الخطاب السلفي أو النصي: وهو ما يصدر في بعض البيئات التي تلتزم بمذهب معين، يتبناه النظام القائم ويوظفه لصالحه، فيوجه أصحاب هذا الخطاب كل جهودهم إلى مسائل العقيدة والعبادات والأحوال الشخصية والحدود والمظاهر الشكلية كالالتحاء والإزار والنقاب والسواك، ويغضون الطرف عن كثير من القضايا التي تمس حياة الناس من طبقية وتمييز ومصادرة الحريات والحقوق السياسية، ويرفضون الانفتاح الواعي على ثقافات الآخرين. وقد بلغ الامر ببعض رموز هذا الاتجاه أن شكك في كروية الأرض ودورانها حول الشمس، وفي صعود الإنسان إلى القمر، وهاجم بعضهم الأشاعرة والماتريدية وكل قائل بالمجاز بل تفرغ بعضهم لمهاجمة عدد من العلماء والكتاب وأشبعوهم قدحاً ورمياً بالفسوق والضلال والتكفير، بحجة أنهم يخالفونهم في تعصبهم وتشبثهم بحرفية النصوص. وقد استطاب الغرب هذا النوع من الخطاب، بل احتضنوه وساندوه، واستطاعوا استغلاله في ظروف الصراع المسلح بينهم وبين الاتحاد السوفياتي في أفغانستان، فلما انحدر الدب الروسي وانتهت الحرب الساخنة والباردة بينهما، أخذ الغرب يعيد حساباته مع أتباع هذا التيار، حتى إذا التفوا عليه في عقر داره، وكان ما كان في الحادي عشر المشهود في نيويورك، انتفض هذا الغرب هائجاً يصفهم بالإرهاب العالمي ويعلنها عليهم شعواء لا تبقي ولا تذر.

4 ـ خطاب الرفض والاحتجاج والعنف والتخريب: وتمثله نسبة ضئيلة من الناس، وأكثرهم من الشباب المغرر بهم، من العاطلين والمحبطين في حياتهم أو المتعرضين للاعتقالات أو المفتونين في ذويهم بالتصفية أو التأميم أو بأي وسيلة أخرى. ومعظم هؤلاء سذج متحمسون ومن ذوي الثقافة السطحية المختلطة والمكتسبة من الكتب غير المتخصصة ومن الأشرطة والحلقات السرية الخاصة. وهم لا يقبلون حواراً ولا يؤمنون بالمنهج الإصلاحي المتدرج، ويصرون على القفز المباشر على مقاليد الأمور، لفرض الشريعة بالقوة وتغيير مظاهر الحياة المعاصرة والعودة بها إلى عصر النبوة والخلفاء الراشدين. لذلك فهم يحرمون التلفاز والسينما والتصوير ووضع الساعة في المعصم الأيسر، بل يحرم بعضهم الصلاة مع الآخرين ويبطلون معاملاتهم الشرعية. وقد تمثل خطابهم في بعض الساحات العربية في رفع شعار التكفير والهجرة وفي مظاهر سلوكية إجرامية نالت من الابرياء وأشاعت التخريب والفزع والفوضى. أما الذين تسللوا منهم إلى الخارج، فقد شكل بعضهم فصائل ممن احتضنهم الغرب في حربه ضد الروس ـ كما تقدم ـ ثم غدوا جزءاً من تنظيم القاعدة المعروف. (انظر3/127ـ129، و5/73ـ111).

ولئن كان الإرهاب الذي مارسته تلك التنظيمات هو تعبير بليغ صارخ عن موقفها من أنظمة الحكم الداخلية والدولية الكبرى، ومن أوضاع الفوضى والتخلف وقهر الإنسان المسلم وضياع حقوقه وكرامته وثرواته، فهو أسلوب ما كان له أن يسلك، واستنير بهدي الإسلام في معالجة مثل هذه الأمور. ذلك أن هذا النوع من الخطاب العلمي المتهور أساء كل الإساءة إلى الإسلام والمسلمين في كل مكان، ولم يحقق ذرة من خير.

صور الخطاب:

قدمنا أن للخطاب صوراً متعددة، بين مقروء

ومسموع ومرئي. ولما كان للأداة المختارة لتقديم الخطاب أهميتها في إيصاله إلى الآخرين وإقناعهم به، فقد صار من الضروري مراعاة هذه الحقيقة دائماً. ومن هنا فلا بد من أن يكون المقروء مطبوعاً بعناية فائقة وإخراج جذاب مغر للاقتناء والقراءة، وأن يكون المسموع أو المسموع المرئي مختاراً بعناية أيضاً، في مادته وإخراجه وأسلوب تقديمه، وكذلك في ملاءمته للمخاطب من حيث سنه وثقافته ومهنته وظرفه. فإذا كان المسموع أو المرئي شخصاً يتحدث أو يحاور، فيجب أن يختار بعناية ـ إضافة إلى ما سبق ـ في مظهره واستئناس النفوس به، وفي طلاقة لسانه وقوة حجته،إلى جانب تمكنه من موضوعه وتميزه في مجاله. ولنحاول ان نستعرض صور أو أساليب الخطاب وأبرز ملامحها في واقعنا المعاصر:

1 ـ **خطبة الجمعة**: وهي وسيلة فعالة إذا ما أحسن استخدامها. لكنها تشكو اليوم من الكثير من المآخذ، كاعتمادها في بعض القرى والأرياف على كتب عتيقة، قد تجاوزها الزمن بأجيال وأجيال، أو تركيزها على الترهيب والتزهيد في كل ما يتصل بالحياة، أو توظيفها في بعض البيئات لأغراض النظام. أما الذين يتولونها فهم مستويات متفاوتة، ما بين تقليدي شكلي، متحفي في أفكاره ولغته وطريقة أدائه، أو ثرثار مبالغ في الإطالة كحاطب ليل، أو متهور غير كيس يؤلب السلطات عليه فيعطل رسالته ويفسد على نفسه وعلى الآخرين، أو بوق للنظام يردد ما يملى عليه. وقلما نجد خطيباً تام الشروط موفقاً في رسالته. ولهذه الأسباب ولغيرها نجد أن خطب المساجد الآن هي في معظمها شعيرة شكلية لا روح فيها وليس لها أي صدى. (انظر 1/ 16ـ18)

2 ـ **الوعظ والإرشاد**: وهو وسيلة على ما بها من العيوب، ظلت تلبي حاجة أساسية في الحياة العامة، وبقيت شائعة لها حضورها المتميز في البلاد العربية والإسلامية عدا بعض ساحات انكمشت فيها هذه الوسيلة نتيجة ظروف سياسية، فاضطر إلى هجرها كثير من ذوي الكفاية العلمية والأسوة الصالحة وتولاها غيرهم من ذوي المعرفة الممزوجة بالأساطير والأوهام، أو من ذوي التأهيل الذاتي، أي بالوجادة دون أستاذ وبغير منهاج سليم. لذلك فهذا الضرب من الخطاب الديني مثقل بسلبيات كثيرة، هي انعكاس لشيوع الأمية ومستوى وعي الناس ومدى ثقافتهم.

3 ـ **الصحف والمجلات**: عرفت أمتنا على امتداد ساحاتها من المحيط الأطلسي غرباً إلى أرخبيل الملايو ولا تزال تشهد مئات من الصحف والمجلات الإسلامية المتخصصة والعامة. وهي منابر لكل التيارات والمذاهب والأحزاب والاتجاهات الجماعية والفردية، الرسمية وغير الرسمية. ومن هنا تعددت فيها ألوان الخطاب وتتفاوت درجاتها ما بين متزمت ومعتدل ومتساهل. لذلك فهي خير ممثل وأصفى عاكس لتلك المظاهر التي استعرضناها على الصعيد الداخلي أو المحلي. والحق أن كثيراً من هذه المنابر الورقية قد أثارت كثيراً من القضايا المهمة، وحاولت جهدها في الإسهام في خدمة رسالة الإسلام والرد على منتقديه وتوعية المسلمين وتحليل أوضاعهم ودراسة مشكلاتهم واقتراح الحلول من زوايا نظرها الخاصة والمتفاوتة. ولكن نتيجة غياب مرجعية إسلامية عليا تقدم رؤية علمية شاملة، وتضع استراتيجية كاملة للعمل الإسلامي، وتحدد المعايير العامة التي يحتكم إليها عند الخلاف والاجتهاد وإصدار الفتاوى في مختلف وسائل الفكر والعقيدة والمعاملات وسائر شؤون الحياة، ضاعت مصلحة الإسلام أولا ثم مصلحة المسلمين، وضاعت الجهود في الاختلاف العقيم، وتعددت

جبهات الصراع، وخرج الأمر في بعض الأحيان إلى أساليب التبديع والتفسيق والتكفير.

ولعل على رأس المآخذ التي تتخلل بعض تلك الصحف والمجلات إسناد التصدي أو تولي الرد على انتقادات أو كتابات المناوئين للإسلام إلى أقلام قاصرة بل هزيلة أمام خصومها. وأكتفي هنا بالإشارة إلى مثال واحد على هذا، وهو أنه عندما صدر كتاب «الحكومة الهاشمية» للقمني، اندفع أحد الكتّاب في غيرة شديدة، فدبج مقالاً حامياً مشبوباً بالعاطفة والاحتداد، ونشره على القراء. ولما كان هذا المقال بعيداً عن المستوى المردود عليه منهجاً ولغة ومصطلحاً وثقافة، فقد منح الفرصة لصاحب الكتاب لكي يجعل منه هزؤة يتندر بها ويضحك عليها القراء في مقال بكتاب له صدر بعد ذلك. وتتكرر هذه الواقعة كثيراً في صحافتنا العربية، لتعطي انطباعاً بضعف كثير من المدافعين عن الإسلام وضحالتهم بسبب تخلفهم عن ثقافة العصر وعلومه ومناهجه، وتمكن المنتقدين واقتدارهم في ذلك.

عرفت أمتنا على امتداد ساحاتها مئات من الصحف والمجلات الإسلامية المتخصصة والعامة. وهي منابر لكل التيارات والمذاهب والأحزاب والاتجاهات الجماعية والفردية، الرسمية وغير الرسمية. ومن هنا تعددت فيها ألوان الخطاب وتتفاوت درجاتها ما بين متزمت ومعتدل ومتساهل.

ولعل من أسوأ المجابهات التي يصطدم بها عامة الخطاب الإسلامي إذا لم يكن على المستوى المطلوب وعلى الدرجة المناسبة أن يترصد له المنتقدون والمتسقطون للأخطاء ونقاط الضعف والصائدون في الماء العكر، فيحكموا محاصرته وينهالوا على صاحبه بكل ما أوتوا من أساليب النيل والدحض والتندر والسخرية، بل ربما استعانوا عليه بالرسم الساخر«الكاريكاتير»، وهو ما يحدث خلال الضجة الكبرى التي قامت حول رواية «وليمة لأعشاب البحر» مثلا.

4 ـ الكتب: وهي ألوان من الاتجاهات والاجتهادات والانتماءات التي تتناول الإسلام في مختلف جوانبه وأبعاده وقضاياه، بالتعريف و التقديم والعرض والتأمل والتحليل، وبمحاورة الآخرين وبالرد على خصومه ومنتقديه. فهي تشكيلة فسيفسائية كبيرة، تتفاوت في منطلقاتها وأهدافها، وفي مناهجها وأساليبها. ولعل أبرز خصائصها إنها متفاوتة بين العمق الشديد والتبسيط المخل والعناية أحيانا بموضوعات هامشية تجاوزها الزمن، وهو ما لاحظه د. جعفر عبد السلام بقوله عن الكتاب الإسلامي: «نجده يتراوح بين العمق الشديد والتبسيط المخل والاهتمام في الغالب بموضوعات أهملها التاريخ... هامشية وغير أساسية في الدين... كاللحى واللباس والسحر والجن، وتردد في العادة أحاديث ضعيفة وضع أغلبها للترهيب من المعاصي، وغالباً لا تهتم بقضايا المسلمين الحقيقية» (1/ 20ـ21).

ومن الكتب التي غزت الأسواق ومعارض الكتب في السنوات الأخيرة تلك التي استهدفت قذف العلماء والدعاة المعتدلين وتسفيه اجتهادهم، وإحياء الخلافات القديمة وإذكاء أوارها، واتهام المخالفين بالعمالة والنفاق والفسق، وقد يصل الأمر إلى التكفير أحياناً. وفي المقابل تموج المكتبات العربية الآن بعشرات الكتب التي تتناول الوحي والنبوة و الخلافة والتراث بعامة من خلال مفاهيم النص والتلقي والقراءة والتفسير والتأويل والرمز والأسطورة، متذرعة بمناهج الدراسة والتحليل النفسي

والاجتماعي والإنساني والإنتولوجي والأيديولوجي والأسطوري والبنيوي والتفكيكي..الخ، وهي حفريات في تاريخنا القديم وموروثاتنا الدينية والثقافية. على حين تخلو الساحة من الدراسات العلمية الرصينة التي تتكفل بمحاورة تلك الكتابات بهدوء وموضوعية واقتدار يكون في مستواها، يستوعبها ويناقشها بمصطلحاتها ومناهجها وأسلوب خطابها.

ولقد قدّم كثير من الغيوريون دراسات جيدة لترشيد الصحوة الإسلامية الواسعة، وتوعيتها بحقائق الدين وسماحته، وبخطورة غلو التطرف وغلو التصوف، وتوجيه الشباب في مواجهة مصادرة الحريات والحقوق ومواجهة التيارات الفكرية المنحرفة وألوان الانحراف والإرهاب، غير أن بعض هذه الكتب تتم مصادرتها أحيانا من قبل أجهزة النظام، مع أنها أفضل وسيلة لإقناع الشباب وحمايته من كل ما يؤدي به إلى خلخلة الأمن والاصطدام بالسلطة وبث الفوضى والتخريب في البلاد. بل ما أحرى أن تقرر هذه الكتب وتدرس في مراحل التعليم المتوسط والعالي في كل بلاد المسلمين. وبينما يجد القراء في بعض المساحات من وطننا الإسلامي الشاسع جميع أنواع الكتب بكل اتجاهاتها ومذاقاتها ومستوياتها مؤلفة ومترجمة ومحققة، يعاني القراء في ساحات أخرى من تحكم الرقابة ومصادرة أنواع من العناوين وأسماء من الكتب والمؤلفين، والأمثلة كثيرة ولا داعي لذكرها تجنبا للإحراج. وهو سلوك يدعو في عصر عوالم الإنترنت إلى الشفقة والرثاء. وترجع بعض أسباب هذه الظاهرة المتخلفة التي

ولعل من أسوأ المجابهات التي يصطدم بها الخطاب الإسلامي إذا لم يكن على المستوى المطلوب وعلى الدرجة المناسبة أن يترصد له المنتقدون والمتسقطون للأخطاء ونقاط الضعف والصائدون في الماء العكر.

طبقتها بعض الأنظمة الحاكمة إلى صدور بعض الكتب عن مفكرين كبار في أحزاب إسلامية تحمل اجتهادات وتطلعات كانت في حاجة إلى التريث واستشارة علماء الأمة الكبار ودراسة عواقب طرحها على الأمة في تلك الظروف. وقد مثلت هذه الكتابات ألوانا من الخطاب الحساس الذي عاد على الحركات الإسلامية بنتائج لم تتوقعها ولم تكن في صالح الإسلام والأمة. (انظر 3/67ـ71).

5 ـ **الأشرطة والأقراص الممغنطة:** هي من وسائل الخطاب الشائعة والمهمة التي وفرتها التقنية الحديثة. وقد أسهموا في إيصال المحاضرات والحوارات والمقابلات وكثير من الكتب المسجلة صوتيا، وكان لها دور كبير في إشاعة الثقافة الدينية الذاتية المعاصرة في أوساط الشباب بمختلف اتجاهاتها المتطرفة والمعتدلة. لذلك فبقدر ما أسهمت في توسيع موجة الصحوة الإسلامية، نجدها أنتجت أحيانا ألواناً من الغلو والتطرف الفكري والسلوكي، أخفه وأدناه ما يجري أحياناً من انشقاق وانهيار داخل الأسر والمساجد. والسبب في ذلك أن هذه الثقافة ليست مبنية في معظمها على أسس علمية، وإنما هي خليط هش من المعلومات، من غير أستاذ موجه ولا متخصص خبير.

6 ـ **القنوات المسموعة والمرئية:** وجد الخطاب الديني مجالاً مباشراً وجذاباً للوصول إلى كل الناس من خلال هذه القنوات. لكن نصيبه بين سائر ضروب الخطابات الأخرى محدود، ونوعه ومستوى أدائه لا يزالان مختلفين عن المطلوب. ومن بين ما يلاحظ على هذا الخطاب في بعض تلك القنوات تقيده بمذهب معين يفتي الناس على

ضوءه غير مقدر لمذهب السائل، وهو ما يؤدي أحياناً إلى وقوع المستفتي في حيرة من أمره. ويلاحظ على هذا الخطاب كذلك أن بعض الشخصيات التي تدعى للحديث باسمه ليست أهلا لذلك، حتى ليشعر أحياناً المشاهد المتتبع لبعض المواجهات أن ممثل هذا الخطاب قد اختير قصدا ليكون أمام محاوره في موقف الضعف المزري، وليقع في روع الناس أن الآخر هو الذي على الصواب والأحق بالإتباع. (انظر 1/26_27)

7- **الشبكة الدولية للمعلومات «الإنترنت»:** وهي الأداة الأحدث والأوسع، غير أنها ليست في متناول كل الناس، نتيجة ما تكابده الفئات المسلمة في أكثر ديار المسلمين من فقر ومن تضخم في العملات المحلية ومن حرمان من ثرواتها الوطنية وحقوقها المدنية. وتمثل المواقع الإسلامية في هذه الشبكة امتدادا لتلك الأنواع أو الألوان من الخطاب. ومن المواقع المعتدلة البناءة:

ISLAM ON LINE/ ISLM TODAY ومن المواقع التنصيرية الخطيرة على سبيل المثال موقع **Answering Islam** وهو في الأصل اسم لموقع إسلامي جيد، وذلك للإيقاع بالقراء المسلمين في براثن التنصير. ومن الضروري أن توجد جهود مكثفة لتوعية الشباب بمضمون هذه المواقع ومناهجها وبواعث المشرفين عليها حتى يستطيعوا التمييز بين غثها وسمينها ومعرفة خيرها من شرها، وهذا من صميم العمل الإسلامي المطلوب. (انظر 1/29_30).

8- **اللقاءات العلمية:** (انظر 1/30 ـ 31) وهي من وسائل التواصل الفكري المهمة بين المشتغلين بألوان الخطاب الإسلامي أنفسهم وبينهم وبين أصحاب الخطابات غير الإسلامية على اختلافها داخل الإطار المحلي أو الداخلي، ثم بينهم وبين نظائرهم من أصحاب الخطابات الأجنبية على اختلاف مجالاتها ومذاهبها ومناهجها وأهدافها. وهنا نجد أن المحلي منها على الصعيد العربي هو أكثر نسبيا مما هو على الصعيد الإسلامي، ولا سيما بين السنة والشيعة. أما ما يتصل بالصعيد الدولي أو الخارجي أي العالمي فهو محدود جدا، ومن أمثلته ملتقيات الحوار الإسلامي المسيحي التي سبق الحديث عنها هنا، وملتقيات مركز الدراسات العربية في باريس، ومن أهمها ما كان حول الفرانكوفونية، وملتقيات قضايا السكان والمرأة التي عقدت في طوكيو والقاهرة ونيويورك وغيرها. والملاحظ ّن وجود الخطاب الإسلامي فيها إما خافت الصوت والتأثير، أو لا وجود له البتة.

7 ـ **الدراما:** (انظر 1ـ16) وهي المادة التي تقدمها تلك القنوات في صورة تمثيليات أو مسلسلات ، أو تلك التي تقدمها الخيالة العربية أو الإسلامية كما في إيران وتركيا مثلاً. فالدراما وسيلة من أكثر الوسائل قبولا عند الناس وتأثيرا فيهم. ويكفي أن نذكر هنا بعض الأعمال العالمية المتميزة مثل: شريط الرسالة العربي وشريط مريم ابنة عمران الإيراني وشريط ابن سينا التركي، فهي تمثل لونا من الخطاب الديني المتقدم الذي يمكنه اختراق الثقافات وتحقيق أهدافه السامية بكل ثقة ونجاح. ولاشك ان الخيالة العربية التي أبدعت عشرات الأعمال التاريخية المبدعة مثل: صلاح الدين الأيوبي وعمر المختار والجوارح والأشرطة المذكورة وغيرها.. يمكنها أن تخدم الخطاب الإسلامي خدمات جليلة وبأساليب درامية بعيدة عن المباشرة والسطحية، لتوصل دعوة الإسلام بحقائقها الناصعة إلى كل الشعوب.

تلك هي أبرز ألوان الخطاب الإسلامي، وأهم صوره التي يتواصل بها مع الجماهير. وقبل أن نعرض لما ينبغي أن يكون عليه هذا الخطاب ليستطيع مواجهة الواقع وما يموج فيه من أحداث وأفكار، يحسن بنا أن نقارن بينه وبين خطابنا الإعلامي العربي. (انظر 2/69ـ88).

مقارنة بين الخطابين العربي والإسلامي

واضح تماماً أن معظم مؤسسات الإعلام العربي، ولا سيما الرسمي منها لا تعطي للخطاب الإسلامي عناية متميزة، بل تتعامل معه غالباً من باب مجاملة المستمعين أو المشاهدين أكثر من كونها رسالة من أجل الإصلاح والنهوض بالأمة. ولذلك فإن ما يقدم ومن يقدم لا بد أن يكون محل رضا الاتجاه السياسي القائم، ولا بد من أن يوظف لخدمة أفكار هذا النظام وتوجهاته. وخلال العقود الأخيرة كان من ملامح الخطاب السياسي والإعلامي العربي في موقفه من الخطاب الإسلامي تسليطه الضوء ـ كما يقول الأستاذ فهمي هويدي ـ على الأداء الشاذ للتنظيمات الإسلامية الرافضة والمهددة، ومهاجمة الإسلاميين كلهم دون استثناء بجريرة هذه التنظيمات. وقد اصطبغ «ذلك الجهد بمبالغات ومزايدات إعلامية قلبت الصورة رأساً على عقب، فأصبح الاستثناء قاعدة، وأصبح الشذوذ والانحراف أصلاً. ومثلما حمل الإسلام بوزر انحطاط الدولة العثمانية عقب الانقلاب الكمالي، عاد الإسلام يحمل مرة ثانية بوزر شذوذ بعض الشباب وتطرفهم او إرهابهم، حتى بدت الحملة الثانية مماثلة للأولى، ومستخدمة نفس عبارات الكماليين... وتجاوز خطاب الحملة المكثفة حدود الإسلام الرجعي» الذي كان محور قضية الكماليين، وأضافوا إليه صفات أخرى مثل الإرهابي والمتعصب...(4/116ـ117). وقد عبَّر عن هذا الموقف كثير من المثقفين أمثال د. كمال أبو المجد وزير الإعلام الأسبق في مصر بقوله عن المثقفين المهيمنين على وسائل الإعلام: «فإن أولئك المثقفين يتخلون في خطابهم عن قواعد العلم والمنطق والأعراف السائدة، ومنهم من يذهب إلى حد التخلي عن اعتبارات اللياقة والذوق السليم».(4/242). وقد لاحظ الأستاذ هويدي أن على الرغم من وجود هذا النوع من الاتجاهات المتطرفة فإن «أحداً لم يقل ما حجمها أو وزنها ولا من هم دعاتها ومن أين جاءوا ولماذا ظهروا في هذه المرحلة دون غيرها. لم يقل أحد أنهم نتوء شاذ في المجتمع...أكثر من ذلك الجهد الهائل الذي يوجه لمواجهة الشذوذ والتطرف، لم يعرف عشر معشاره لدفع حركة الاعتدال، بل لم يذكر أصلاً أن هناك اعتدالاً يختلف عما يقدمه المتطرفون. وحرص البعض على تأكيد الادعاء بأنه ليس هناك اعتدال أو تطرف في الساحة الإسلامية، ولكن الجميع جزء من مؤامرة تختلف فيها الأدوار، ولكن» السيناريو «يظل واحداً». (3/117).

الخيالة العربية التي أبدعت عشرات الأعمال التاريخية المبدعة يمكنها أن تخدم الخطاب الإسلامي خدمات جليلة وبأساليب درامية بعيدة عن المباشرة والسطحية، لتوصل دعوة الإسلام بحقائقها الناصعة إلى كل الشعوب

وقد امتد رد الفعل هذا إلى التضييق على الدراسات الإسلامية في بعض الساحات العربية، وإلى التحرش بالشباب الملتزم إسلاميا، بل إلى منع بعض العلماء والوعاظ الذين لهم صيت واسع من الاتصال المباشر بالناس في المساجد أو عبر وسائل الإعلام. وفي الحق أن كثيرا من برامج الإعلام العربي هي معاول هدم لكل ما يحاول الخطاب الإسلامي المعتدل أن يبني به الإنسان ويوعيه به

ويحذره منه من تطرف وغلو وانحرافات. وتتجاهل تلك الأنظمة أن هذه السياسة إنما تعود بالوبال على استقرارها وأمنها وامن رعاياها.

إن مدى حركية الخطاب العربي المعاصر ـ كما يقول أحد الدارسين (انظر 112/2) ـ واستجابته للمتغيرات الواقعية والتحولات الحادثة في الواقع قليلة بحيث تصل إلى أن يقترب الخطاب من السكون أو التحرك ببطء خلف الواقع أو خلف الحركة الاجتماعية، كما أن الاهتمام المبالغ فيه بالتاريخ يكاد يستلب ذلك الخطاب من واقعه، فينشغل بالماضي على حساب الحاضر والمستقبل، ثم إن الصراعات الجانبية التي غدت (موضة) موسمية، جعلته يتسم بتشوش الرؤية وافتقاد الوجهة، وكل ذلك ينطبق على الخطاب الإسلامي إلى حد كبير،

ولعل السبب في ذلك أن الخطابين يشتركان في كثير من العوامل والظروف، ويصدران عن مكونات ثقافية وسياسية ونفسية واحدة تقريباً. (انظر 2/109ـ119).

الجهد الهائل الذي يوجه لمواجهة الشذوذ والتطرف، لم يعرف عشر معشاره لدفع حركة الاعتدال، بل لم يذكر أصلاً أن هناك اعتدالاً يختلف عما يقدمه المتطرفون.

التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي (انظر 1/88ـ98)

طبيعي أن توجد تحديات لهذا الخطاب، تختلف من بيئة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر، وهذه الحقيقة تقتضي أن يتسلح الخطاب بكل ما يؤهله لمواجهة تلك التحديات، وأن يطور من أدواته ومنهاجه باستمرار ، دون مساس بثوابته، ليكون في مستوى الأحداث والأفكار والمناهج الحديثة، وليكون قادراً دائماً على التبليغ والإقناع. وبدخول العالم هذه الألفية الجديدة بكل مستجداتها المادية والمعنوية، يمكننا الإشارة إلى أهم تلك التحديات على الصعيدين أو الفضاءين الداخلي والخارجي:

1ـ ففي الفضاء الداخلي أو المحلي هناك تحديات عدة منها: الآتية:

أ ـ أجهزة الثقافة والإعلام العربية بمختلف وسائلها، فهي أولاً لسان الأنظمة القائمة، ولها كل دعم سياسي ومادي، وليس عليها أي حظر. لذلك فهي الأداة الأولى في غسل الأدمغة وحقنها وتحفيز النفوس وتوجيهها. وأسوأ عيوبها في مواجهة الحركات الإسلامية تعميم الأحكام أحياناً دون تفريق بين المعتدلين والمتطرفين، وعدم تمكين العلماء والكتاب المتخصصين والمعتدلين من نشر كتاباتهم أو تقديم برامجهم في أجهزة بعض الأنظمة لتوعية الناس ومحاورة أولئك المتطرفين. ثم هي ثانياً مسخرة ـ وبنية مبيتة غالباً ـ لإلهاء الناس ولا سيما الأطفال والشباب بمختلف أنواع التفاهات والمشغلات التي تقضي على الوقت أو تثير الغرائز، وتصرف الهمم عن الهموم والقضايا الجدية لتنمية المعارف والمهارات وخدمة المجتمع والدين والأمة. لذلك فضمناً لتحقيق كل هذا تحرص الأنظمة كل الحرص على انتقاء المسؤولين على هذه الأجهزة ممن لهم ولاء السياسة والقبيلة والاستماتة في سبيل المناصب والمصالح. ونتيجة لهذه السياسات يحدث رد الفعل عند الجماعات المتطرفة. فبدلاً من أن تستدرك تلك الأنظمة نفسها وتصلح أخطاءها وتعدل في معاملة رعاياها، نجدها تمعن في أسلوبها المعتاد، وتصر على اتخاذ القمع والإرهاب المضاد حلاً لذلك.

ب ـ منع المؤسسات الإسلامية المتخصصة في بعض أوطاننا العربية أو التضييق عليها والتحرش بها وهي التي تعد المتخصصين في مجال التدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد والتوعية الدينية العامة. وكذلك غياب الثقافة الحديثة المتنوعة والجهل

بالقضايا الإسلامية الحديثة والمعاصرة في التعليم العام والعالي. وقد أدى ذلك إلى وجود فراغ كبير وجهل فادح سائد، فاضطر الشباب بخاصة إلى الاتجاه نحو الاعتماد الذاتي في تلقي المعلومات الدينية من الأشرطة ومواقع الإنترنت وكثير من الكتب دون موجه أو أستاذ، وبذلك اكتسبوا ثقافة مضطربة هي سبب التطرف والانحراف.

ج ـ استفحال ظاهرة الكتابات العلمانية على اختلاف مشاربها ومنطلقاتها وأهدافها. وقد واتتها الظروف لتنشط وتجد منابر لأقلامها وأصواتها، ومن أبرز هذه المنابر مجلات معروفة مثل: الناقد اللندنية ـ وقد توقفت عقب وفاة أحد أقلامها البارزة وهو صادق النيهوم ـ، وروز اليوسف، وأدب ونقد القاهريتان، والكشكول اللبنانية وغيرها. ومن الكتاب عبد الله القصيمي وأدونيس وصادق العظم وعبد الله العروي ونصر أبو زيد وسيد القمني ومحمد أركون (عرقون) وهشام جعيط وأحمد عبد المعطي حجازي وغيرهم كثيرون.

ويتجلى تحدي هؤلاء وأمثالهم في انهم ينطلقون من اطلاع واسع وروافد ثقافية متعددة عربية وأجنبية ويستخدمون مناهج ومصطلحات حديثة، يفتقدها كثير من الكتاب الإسلاميين. من هنا فإن هذه الظاهرة تشكل ضروبا من التحدي الخطير الذي يستغل قصور كثير من الإسلاميين المعتدلين، وتغييب القادرين منهم، وتهور الغلاة المتطرفين، ومواتاة الفرص للعلمانيين في منابر الثقافة والإعلام العامة.

د ـ حدة لهجة المتطرفين ـ على قلتهم ـ في خطابهم، وضيق أفقهم الفكري، ورفضهم أشكال الانفتاح الواعي والمنتقي لما عند الآخرين، ونكرانهم مبدأ الاختلاف، وافتقاد كثير منهم القدرة على الحوار والإقناع. لذلك فهؤلاء المحسوبون على الخطاب الإسلامي يشكلون مصدر تشويش وتشويه للخطاب المعتدل، وعامل إعاقة وتضييع للجهود. وقد آثر بعضهم تسخير قلمه للتهجم على عدد من العلماء والكتاب المعاصرين المجتهدين بمثل هذه العناوين:

ـ معالم التيار الفكري عند القرضاوي.
ـ إسكات الكلب العاوي في الرد على...
ـ الأفعى تتلوى في كتب...
ـ السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة.
ـ المثنوي والبتار في نحر العنيد المثار.
ـ اللاحق الماحق المنقض على إيقاف الزاهق.

إن خطابنا الإسلامي له وضعه الخاص، فهو لا يتغير ولا يتبدل في جوهره، أي في ثوابته الأساسية المرتكزة على مكونه الشرعي المقدس مهما تغير الزمان والمكان والمتلقي.

وهناك غير هذه كثير. وهي جهود تعبر عن أزمات أخلاقية ونفسية في ما يبدو لدى أصحابها أكثر من كونها تستهدف الحق والصواب، ولا تعود على الإسلام والمسلمين بخير، وما أحرى أصحابها بأن يوظفوها في توحيد صفوف المؤمنين وفي توعيتهم بأخطار أعداء الإسلام الحقيقيين، بدلاً من هذا التجريح المخزي والعبث المضحك.

2 ـ أما أهم تحديات الفضاء الخارجي أو العالمي، فهي تواجهنا من خلال المصادر الأجنبية الآتية:

المصادر العلمية والثقافية، وهي:

أ ـ قنوات البث المرئي.
ب ـ مواقع شبكات المعلومات.
ج ـ الخيالة (السينما).

د ـ الكتب والمجلات والصحف.

هـ ـ الدراسة في المعاهد والجامعات الغربية.

و ـ المشاركة في الملتقيات العلمية المشبوهة.

ولا شك في أن لهذه المصادر إيجابيات كثيرة إذا ما أحسن استخدامها، وكان المستخدم قوياً في عقيدته مؤمناً بأصالته وهويته، محصناً ضد كل أنواع الدس والتشويه ومطاعن الاستشراق والتنصير وسموم الاستعمار بأساليبه الجديدة، وضد كل أنواع الإفساد الأخلاقي. وهي مصادر تكفلت وسائل الإعلام العالمية الحديثة بتوصيل معظم وقائعها ومضامينها إلى كل عقل يجلس إلى الجهاز المرئي في كل أقطار الأرض. ويتمثل تحديها للخطاب الإسلامي في كونها بعيدة عن الارتجال والفوضى، وأنها تعتمد في ما تقدمه من معارف وثقافات وفنون ودعايات على دراسات علمية ونفسية لشخصية المستهدفين بالخطاب. وإذا تذكرنا أن هذا الإعلام العالمي تموله وتوجهه قوى الصهيونية العالمية العلنية منها والسرية كالماسونية وما يتفرع عنها من نواد للروتاري والليونز ومن علمنة أمريكية وفرانكوفونية للقضاء على الأخلاق والمثل والهويات والأديان، أدركنا بشاعة هذا الغزو وضخامة أخطبوطه وإمكاناته المذهلة في التخطيط والتنفيذ والمتابعة، وأدركنا أيضاً ضآلة جهودنا وتأخر مناهجنا وتخلف وسائلنا في هذا المعترك العظيم. (انظر 127/1)

إن صورة المسلم النموذجية الراهنة كما تقدمها وسائل الإعلام العالمية هي في الغالب صورة الرجل المتخلف القادم من عصور الكهف، في فكره ومنطقه وشكله وسلوكه، الذي اختار التكفير والهجرة مبدأ والتخريب والإرهاب منهجاً. الرافض لكل انفتاح (انظر 92/1) أو صورة البدوي المترف المتهالك على ملذاته في دور القمار وعلب الليل. ولما كان مهماً جداً أن يختار النموذج الذي يقدم الخطاب إلى الآخرين، ليقع موقع القبول النفسي قبل الاقتناع العقلي ، فإن خطابنا الإسلامي في حاجة إلى أن يقدمه أشخاص عصريون في مظهرهم وتفكيرهم، لكي يدرك الآخرون أن المسلم إنسان متحضر ونموذج جذاب في مظهره ومخبره. (انظر 102/1).

المصادر السياسية: وهي تتمثل في مجموعة الاجتماعات و التصريحات التي قام ويقوم بها كبار رجال السياسة في أمريكا وأوروبا عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر المعروفة، والتي تشكل حملة صليبية جديدة على الإسلام والمسلمين بحجة الحرب على الإرهاب الدولي. وقد اتخذت هذه الحملة عدة مظاهر: دبلوماسية واقتصادية وعسكرية ـ تمخضت حتى الآن عن احتلال العراق، وإحداث منعطفات سياسية جديدة في بعض الساحات العربية، كما طالبت الأنظمة الحاكمة بإجراء تعديلات في المقررات الدراسية الإسلامية وتكييف الخطاب الإسلامي المباشر وغير المباشر بما يخدم مصالح إسرائيل والأنظمة السياسية الغربية. (انظر7/21ـ28)

خصائص الخطاب الإسلامي الأمثل

تعددت جهود المفكرين والكتاب في تحديد هذه الخصائص. وذلك راجع إلى تباين الأفهام واختلاف زوايا الرؤية والقدرة على استكناه أبعاد الخطاب والإحاطة بها. ولقد وقفت على كثير من تلك الجهود لعدد من الكتاب منهم د. القرضاوي، ود. عبد الملك منصور، والأستاذ محمد عدنان سالم، ود. عصام أحمد البشير، ود. سعيد إسماعيل علي، ود. سعيد مراد، ود. علي عجوة، وغيرهم. ويرى هؤلاء ـ على تباين في ما بينهم ـ أن الخطاب الإسلامي الأمثل الذي يمثل الإسلام الحق البريء من شوائب الغلو والتطرف ومن ممالأة السلطان ومطاوعة الأهواء،

والذي يواكب تطور الحياة ويطبعها بروحه ومنهاجه وشريعته، لا بد من أن يتصف بالخصائص التالية، وهي: ربانية المصدر والغاية ـ عالمية التوجه ـ إنسانية المنطلق ـ أخلاقية المحتوى ـ اقتران العقل بالروح ـ الجمع بين المثال والواقع والأصالة والمعاصرة والمحلية والعالمية ـ التوازن والشمول ـ الانفتاح ـ التخيير ـ التعدد ـ التدافع ـ التوسط والاعتدال ـ الحوار ـ التنوع ـ النمو والاطراد ـ وهو يدعو إلى الاجتهاد ولا يتعدى الثوابت ـ يتبنى التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة ـ يستشرف المستقبل ولا يتنكر للماضي ـ يؤمن بالشورى والتريث في اتخاذ القرار ـ يدين التخريب والإرهاب، ويحض على الجهاد ـ يرفض الانغلاق والتحجر والتطرف والغلو، ويؤمن بالاختلاف والمرونة والتسامح. (1/42ـ55 و 7/53ـ197 و 8/80ـ82 و 9/379ـ384).

ولا ريب في أن هذا الخطاب المتكامل الذي نتطلع إليه بكل هذه الخصائص، لن يكون له وجود في دنيا الواقع الراهن بسبب ما هي عليه عقلية معظم الذين يمارسون الخطاب الإسلامي بمختلف صوره ومستوياته محليا وعالميا. ذلك أنها عقلية هي نتاج مؤسساتنا التربوية والإعلامية، وثمرة تنشئتنا الأسرية والاجتماعية والثقافية التي لا تزال في معظمها مثقلة بكثير من المثالب ومتخلفة عن العصر.

ترى ما الذي يعوقنا عن أن نتقدم ونرتفع إلى مستوى العصر ؟ إن الإجابة واضحة وضوح الشمس، ويعرفها الجميع.

الخطاب الإسلامي المطلوب واستراتيجية إعلامه (1/99ـ108)

لقد نادى كثير من العلماء والمفكرين والكتاب والدارسين بضرورة الإسراع بتطوير خطابنا الإسلامي من واقعه الحالي والانطلاق به من خلال خطة علمية عصرية شاملة وجادة لتتحقق له تلك الخصائص التي تقدم ذكرها (69/1). وهذا لن يتحقق إلا إذا التقى عدد كبير من الغيورين المشتغلين بقضية الخطاب في الدول الإسلامية والعربية ووحدوا جهودهم في برنامج علمي جاد يلتزم بإنجاز التوصيات الآتية:

1ـ تكوين هيئة إسلامية عليا من رجال الفكر والدعوة المشهود لهم بالعلم والجدية وإخلاص العمل لله، لتضع خططاً وبرامج علمية شاملة لتطوير الخطاب الإسلامي بكل مستوياته وصوره وأساليبه، بما يمكنه من مواجهة الحاضر والمستقبل، مواجهة واعية متمكنة، ويتم هذا أولاً بإجراء مسح شامل للطاقات القادرة والجادة، وثانياً بتوحيد جهود كل المؤسسات العلمية والدعوية الرسمية وغير الرسمية.

2ـ محاورة هذه الهيئة العليا للجهات الرسمية المسؤولة عن أجهزة الإعلام والثقافة العربية لإقناعها بضرورة تنقية برامجها من مظاهر الميوعة وإفساد الأخلاق، وإتاحة الفرص الكافية للعلماء والمفكرين المعتدلين لتقديم الإسلام الصحيح. فهذه أول خطوة جادة للقضاء العلمي على جيوب التطرف والانحراف والإرهاب.

3ـ محاولة هذه الهيئة العليا محاورة أصحاب الخطاب المتطرف وتعريف الناس به من خلال وسائل الإعلام العامة لتوعية الشباب بحقيقته وتحذيرهم من عواقب الانضمام إليه، وإصدار فتاوى بمرجعية المجلس الأعلى للفقه الإسلامي وسائر المؤسسات الإسلامية الكبرى للرد الشافي على هذا الخطاب.

4ـ تخصيص أقسام أو شعب في كليات الإعلام الكبرى وكليات الدعوة لتدريس مجموعة من المواد التي تعد وتخرج متخصصين في مجال

الإعلام الإسلامي قادرين على أداء رسالتهم بما تمليه مستجدات الحياة وتتطلبه مواجهة العصر.

5 ـ التأكيد على مبدأ الوسطية والاعتدال كما يراه الإسلام، وذلك من خلال المقررات الدراسية، والأنشطة الثقافية والاجتماعية الترفيهية، ومن خلال الخطب الجمعية. (1/54ـ55).

6 ـ الاهتمام بتعويد الناشئة على النقاش وآداب الحوار وحسن الاستماع وقبول الاختلاف، وغرس مبادئ السماحة والمرونة فيهم، وذلك عن طريق التربية الأسرية والمدرسية، ومن خلال الأناشيد والتمثيليات والمقررات الدراسية والمجلات والبرامج المسموعة والمرئية. كل ذلك لتنشئة أجيال بعيدة عن الغلو والتطرف، ولا تنحدر في منزلق الرفض والتخريب والإرهاب.

7 ـ ضرورة قيام الحكومات العربية والإسلامية بإعادة النظر في آليات الخطاب الديني عامة والخطاب الإعلامي بخاصة، وإسناد أمانات هذه المواقع الحساسة إلى أهلها المتخصصين القادرين ممن يخشون الله في علمهم ويعملون لصالح الأمة والوطن والدين، من كتاب ومؤلفين وخطباء ومنتجين ومخرجين ومقدمي برامج ومديرين ومسؤولين كبار.

8 ـ الاهتمام بالآداب الإسلامية وترجمتها إلى لغات الشعوب الإسلامية، وكذلك الاهتمام بالأعمال الدرامية التي تخدم الدعوة والقضايا الإسلامية والعمل على تمكينها من منافسة النتاج الدرامي العالمي المعاصر.

9 ـ إعداد موسوعة إسلامية شاملة بكل لغات العالم الحية، وذلك بأقلام طائفة من المتخصصين المسلمين، لتعرف الباحثين والدارسين بالإسلام الحق، بدلاً من اعتمادهم حتى الآن على موسوعات المستشرقين. وفي الوقت نفسه حصر الموسوعات والكتب المؤلفة عن الإسلام وذات المستوى الرفيع والصيت الذائع، لإعادة نشرها وترجمتها إلى عدة لغات حية وتوزيعها على مؤسسات التعليم والبحث العلمي ومؤسسات الثقافة والإعلام في كل دول العالم. ويشمل هذا البرنامج أيضاً كتابات الأجانب المنصفة والمتميزة عن الإسلام.

10ـ ضرورة قيام الخطاب الإسلامي المعتدل بالتواصل والحوار مع مؤسسات الأمم الأخرى العلمية والثقافية والدينية والتربوية والسياسية، والحرص على متابعة أنشطتها والمشاركة فيها، من خلال كفايات علمية متمكنة ومخلصة واعية.

المراجع

1 ـ الإسلام وتطوير الخطاب الديني ـ سلسلة فكر المواجهة 3 ـ رابطة الجامعات الإسلامية، دار البيان،القاهرة: 2002 م.

2 ـ إشكالات الخطاب العربي المعاصر، د. كمال عبد اللطيف، ود. نصر محمد عارف، دار الفكر المعاصر، بيروت: 2001 م.

3 ـ الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة، د. فؤاد زكريا، دار قباء، القاهرة: 1998 م.

4 ـ إحقاق الحق، فهمي هويدي، دار الشروق، القاهرة ـ بيروت: 1994 م.

5 ـ الخطاب الديني بين التجديد والتبديد الأمريكاني، د. محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة:2004 م.

6 ـ ظاهرة التطرف ـ الأسباب والعلاج، د.محمد أحمد بيومي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: 1999 م.

7 ـ خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة: 2004 م.

8 ـ مجلة الرسالة، الصادرة عن مركز الإعلام العربي، القاهرة /العدد 5، ص 80 ـ 82 .

9 ـ محمد سعيد رمضان البوطي؛ بحوث ومقالات مهداة إليه، دار الفكر المعاصر، بيروت: 2002 .

10 ـ مقدمة إلى الحوار الإسلامي ـ المسيحي، الأستاذ محمد السماك، دار النفائس، بيروت: 1998.

التلاحم الثقافي العربي - الأفريقي في مواجهة العولمة

د . علي الطاهر عريبي*

سأحاول في هذا البحث ربط ماضي التلاحم الثقافي العربي الإفريقي بحاضره وأبين بعجالة أثر الإسلام في ترسيخه، ذلك لأن لهذا التلاحم أثراً في خلق تكتل عربي أفريقي عبرعدة قرون على الرغم من تأثره بمحاولات المستعمر المتكررة لقطع هذا التلاحم وإجتثاثه من جذوره بإستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني وذلك في العهد الإستعماري للقارة . إلا أن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح لقصر عمر الإستعمار ولتحرر معظم الدول الأفريقية من نيره في الستينات من القرن الماضي، ولعمق الروابط الثقافية بين العرب والأفارقة، أما في القرن الواحد والعشرين وفي ظل العولمة والنظام العالمي الجديد فإن افريقيا تتعرض من جديد لمخاطر الاستلاب الفكري والغزو الثقافي، إذا لم تتدارك الشعوب الأفريقية هذا الخطر فإنها ستسلب إرادتها وستفقد هويتها.

إن ما يعنينا في هذا السياق التعرف على كيفية إنتقال المؤثرات العربية الإسلامية إلى افريقيا وأثرها في تعزيز الروابط الثقافية والإقتصادية ومن المعابر الرئيسية التي إنتقلت عبرها، وما نتج عنها من نشوء حضارة عربية إفريقية متميزة في خصائصها واضحة في معالمها، وذلك لأن الشعوب الأفريقية أخذت نصيباً كبيراً من الحضارة العربية الإسلامية التي وجدت فيها أساساً يصلح لبناء مستقبلها، سواء كان ذلك سياسياً أو إجتماعيا، فتطبعت هذه الشعوب بالروح والثقافة العربيتين طوعاً لا قسراً، والدليل على ذلك بقاء اللهجات الوطنية إلى جانب اللغة العربية التي احتفظت بمركزها لغة للتعامل والثقافة قبل سيطرة المستعمر وفرض ثقافته ونفوذه. والمعابر الرئيسية الثلاثة هي:

أولاً الساحل الشرقي لإفريقيا الذي لعب دوراً في نقل المؤتمرات العربية الإسلامية إلى أواسط القارة وتوثيق الروابط بين سكان الخليج العربي والجزيرة العربية من جهة وشعوب شرق افريقيا من جهة أخرى.

أما المعبر الثاني فهو مصر التي أدت دوراً مهماً في توثيق روابط شعوب وادي النيل، والمعبر الثالث موانئ الشمال الإفريقي ومدنه التي أدت إلى إزدياد الروابط بينها وبين شعوب غرب افريقيا، وذلك عن

---

* استاذ جامعي / ليبيا

طريق الصحراء الكبرى التي كانت حلقة هامة من حلقات الإتصال الثقافي والإقتصادي والحضاري بين شمالها وجنوبها من بلاد غرب السودان.[1]

وتعد مصر في طليعة الاقطار العربية تمثلاً للعقيدة الإسلامية والثقافية العربية وتجسدت فيها كل مظاهر الحضارة الإسلامية والثقافية العربية وبذلك تبوأت مركز الصدارة في الوطن العربي في كثير من الأحيان في العصر الحديث، ومنها تسريب كثير من المؤتمرات العربية بفضل موقعها الجغرافي المميز والذي جعلها تؤثر في افريقيا وتتأثر بها فكانت بمثابة الجسر الذي تعبر عليه الثقافة العربية والعقيدة الإسلامية إلى قارة افريقيا فضلا عن علاقاتها التجارية بها حتى امتد التأثير المصري إلى منطقة البحيرات الإستوائية وبلاد الحبشة جنوباً.

إن تدفق المؤثرات العربية الإسلامية عن طريق مصر إلى سودان وادي النيل، أدى إلى نتيجتين تمثلتا في غلبة الثقافة العربية واللسان العربي في أجزاء كبيرة من البلاد، ثم انتشار الإسلام بين الوطنيين الذين كانوا يدينون بالمسيحية والمعتقدات الأفريقية الأخرى، وصار الإسلام عامل ربط إجتماعي مهماً بين شعوب سودان وادي النيل ذات الجذور العرقية المتباينة والثقافات المتنوعة واللغات المتعددة، كما أن تفاعل الثقافة العربية مع موروثات تلك الشعوب خلق مراكز قوى جديدة إقترنت بقيام دول إسلامية كالعبد لاب والفونج والفور وتقلي، ونشأ جيل جديد من المولدين أخذوا على عاتقهم نشر الإسلام في المناطق التي لم تبلغها الدعوة بعد، كما تفاعل العرب القادمون من مصر مع المجتمع الجديد، ودخلت بعض المفردات الحبشية إلى لغتهم الفصحى مثل منبر ومحراب...وغيرها [2].

صار الإسلام عامل ربط إجتماعي مهم بين شعوب سودان وادي النيل ذات الجذور العرقية المتباينة والثقافات المتنوعة واللغات المتعددة.

إن التواصل العربي القادم من مصر أو عبر البحر الأحمر من افريقيا، أدى إلى نشأة الثقافة السواحلية واللغة السواحلية التي ظهرت في القرن الثامن المسيحي، وتمركزت في منطقة شرق افريقيا وبعض جزر المحيط المجاورة، فاللغة السواحلية من أهم اللغات المستعملة في الشرق الإفريقي من حيث الإنتشار وعدد الناطقين بها، وهي اللغة الرسمية لجمهورية تنزانيا الإتحادية واللغة الرسمية لجمهورية كينيا، وتستخدم على نطاق واسع في جنوب الصومال وأوغندا وفي رواندا وبوروندي وفي شرق زائير وشمال الموزامبيق وجزر القمر، ويقدر عدد الناطقين بها حوالي 40 مليون نسمة، وتدرس في الجامعات ومعاهد اللغات في افريقيا وأوروبا وأمريكا وآسيا. وتذاع برامج دولية بالسواحيلي من عدة منظمات، وهي اللغة التي اعتمدتها اليونيسكو كلغة عمل في نشراتها.

يعود ارتباط اللغة السواحلية باللغة العربية منذ بزوغ فجر الإسلام إذ ما فتئت اللغة العربية تطعِّم السواحلية بمفرداتها حتى قال بعض المفكرين إن السواحيلي ما هو إلا صيغة للغة العربية [3].

وكان لوجود العرب الثقافي والإداري على طول

1ـ قاسم جمال زكريا: الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الإستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشر، ضمن كتاب العلاقات العربية الأفريقية دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية سنة 1987، ص867.

2ـ حسن يوسف فضل، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، العرب وافريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية . الطبعة الثانية يناير 1987 ص 35.

3ـ عريبي، علي الطاهر، ملامح العرب الثقافية، بإفريقيا، الشرقية أعمال مؤتمر التعليم من أجل التحرير في افريقيا منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية الجزء (3) سبها،1988م، ص229.

الساحل الشرقي للقارة الأفريقية آثره الواضح. إذ قدر اللغويون بأن الكلمات الأجنبية التي دخلت السواحلية 20٪ من السواحلية المكتوبة و 50٪ في لغة الشعر السواحيلي القديم. وقد كتبت السواحيلي بالحرف العربي إلى أن خضع شرق افريقيا إلى الاستعمار الذي عمل على إستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني[4].

واستأثرت الثقافة الدينية في تلك الأماكن بأكبر جزء من المفردات العربية، إذ اعتمدت مجموعة من الألفاظ لها وظيفتها في أداء الفرائض الدينية مثل: ديني (دين) صالا «صلاة» إماني (إيمان) عبودو (عبادة) زاكا (زكاة) (صدق) (تضحية) (صالي) (صلى) (تويو) (تابا) تويا (توبة)...الخ.

أما أوقات الصلاة مثل الفاجيري بمعنى الفجر الظهوري والعاصري، أما أيام الأسبوع (الجمعة) لوما موزي (السبت) لومايلي (الأحد) لوماتاتو (الإثنين)... إلخ.

وتوجد مفردات عربية كثيرة التداول في شؤون المنزل والحياة العائلية الأفريقية مثل ساقافو ـ وكصالا (الطهارة)، وبرزا (شرفة) وغرفة منزل كذلك في وصف علاقات الشخص بالأسرة مثل عامي (ابن العم أو العمة أو الخال أو الخالة) بنتي (بنت) رفيقي (صديق) عادني (عدو) الحياة الاجتماعية مثل ماهاني (مهر) وادابو (لباقة) وأمالي (قلابة)...الخ.

وكذلك في المجالات التجارية فقد اعتمدت عدة مصطلحات تجارية مثل سيتا (ستة) وسابا (سبعة) وايدشرا (أحد عشر) وتنينا شرا (إثنا عشر) وكذلك مفاهيم البيع والشراء مثل بيع ثمن (منادي) بيع بالمزاد العلني وفايدا (ربح) وفي الإدارة مثل عقيدة (الحكم البلدي) وكلمة ليوالي (زعيم) ودجامبي (شيخ القرية) وأيضا في الصوتيات والمقومات النحوية والأعمال الأدبية.[5]

وعلى الرغم من أن عدداً من اللغات الأجنبية ساهمت في نمو السواحيلي❖ وتطويره، فإن اللغة العربية أثرت تأثيراً أساسياً وتبوأت مكانة خاصة في هذا الصدد، ويعترف السواحيلي بأهمية اللغة العربية في هذا الصدد والدين الإسلامي.

يعود ارتباط اللغة السواحلية باللغة العربية منذ بزوغ فجر الإسلام إذ ما فتئت اللغة العربية تطعم السواحلية بمفرداتها، حتى قال بعض المفكرين بأن السواحيلي ماهو الا صيغة مبسطة للغة العربية.

تمتد العلاقة الأفريقية بسكان جزيرة العرب والعراق إلى زمن طويل قبل الإسلام، ولكن مجيء الإسلام أدى إلى نقلة نوعية في تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة، حتى صار الإسلام الدعامة الأساسية للثقافة العربية، وأصبحت اللغة العربية لسان العقيدة الإسلامية، ومستودع الفكر الإسلامي، وصاحب إنتشار الإسلام نشر وأنماط من الثقافة العربية، وإكتسبت العربية أو العروبة معنى جديدا، إذ أصبحت العروبة هي عروبة اللسان والثقافة، ومصر أولى الأقطار الأفريقية التي تأثرت بالعقيدة الإسلامية، وتأصلت فيها الثقافة العربية، فتصدرت الأقاليم الأفريقية في نشر الإسلام والثقافة

---

4 ـ حسن، يوسف فصل، مرجع سبق ذكره، ص35.

5 ـ باتيبو (هـ.م) إسهام اللغة العربية في إنماء اللغة وتطويرها، الإسلام اليوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة العدد 2، لسنة 2 رجب 1404 أبريل 1984 ص 45, 44, 43.

❖ السواحيلي يدل على الجنس الخليط ونعني به المولد من أهل الساحل ومن العرب فالشعب السواحيلي هو ثمرة الزيجات التي تمت على مدى طويل بين قبائل البانتو الأفريقية وبين الجاليات العربية والفارسية التي استقرت في افريقيا الشرقية.

العربية في أجزاء كبيرة من القارة، وكان سودان وادي النيل بعد مصر أولى البلاد المطلة على ساحل البحر الأحمر ممثلا للثقافة العربية [6].

أكدت بعض الدراسات الحديثة أن السواحلية وأدابها شديدة الإرتباط باللغة العربية وبالدين الإسلامي، فيرى بعض الباحثين أن فهم الأدب السواحيلي ـ خاصة الديني منه ـ يتطلب إلماماً بالمسائل الدينية، مثل تفسير القرآن والفلسفة الإسلامية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى الاتصال الوثيق بين اللغة العربية التي هي لغة الإسلام ومعارفه والتي عن طريقها تلقى الأفارقة قديماً هذه المعارف، فاللغة السواحلية ما هي إلا صيغة مبسطة للغة العربية.

إن العناصر القادمة من الجزيرة العربية ومنطقة الخليج إلى الشرق الإفريقي قبلت التنازل عن وعائها اللغوي في سبيل إنتاج لغة تناسب نشاط سكان تلك المناطق. وسمحت اللغة العربية لنفسها بأن تكون هجيناً بين العربية و«البانتو» وتولدت من هذا التلاقح اللغة السواحلية التي كتبت بحروف عربية، مما سهل الاتصال والتفاهم بين العنصرين، إلى جانب تلقي التعاليم الإسلامية، هذا ومن الملفت للانتباه أن العرب المدنيين في مملكة النوبة بوادي النيل في شمال السودان حملت نفس سمات التهجين بين العربية و«البانتو» التي تولدت منها السواحلية [7].

إنتشرت اللغة السواحلية انتشاراً واسعاً فضمت الصومال وكينيا وملاوي وموزامبيق وورواندا وزائير ومدغشقر وجزر القمر، وإنتشرت أخيراً في جنوب السودان، وتتفاوت إستخداماتها بين أن تكون لغة أولى كما في جزيرة زنجبار، والساحل الشرقي لكينيا، ولغة ثانية لغالبية سكان تنزانيا، ومستخدمة على نطاق ضيق كما في أوغندا وزائير وإستعمالها لدى بعض المجموعات التي تسكن الصومال وموزامبيق [8].

تدل الدراسات اللغوية المقارنة على أن الصلات بين اللغة الأثيوبية والعربية القديمة «السبأية أو الحميرية» ترجع إلى ما قبل بعثة الرسول ﷺ بقرون. إذ كانت أوجه الشبه بين اللغات السامية الأثيوبية واللغة العربية «القديمة» في مجال التركيب والبناء الصوتي والقاموس توضح أن تلك الصلة كانت قوية وذات جذور تاريخية بعيدة. وقد أطلقت كلمة أثيوبيا ثم الحبشة على تلك المناطق الواقعة على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وتشمل أثيوبيا والسودان وأرتريا الحالية [9].

إنتشر الإسلام في افريقيا بدرجة سريعة، وتدفق إلى قلب الهضبة الحبشية، وتخطى ساحل شرق افريقيا إلى المناطق الداخلية إلى كينيا وتنجانيقا.

إنتشر الإسلام في أفريقيا بدرجة سريعة وتدفق إلى قلب الهضبة الحبشية وتخطى ساحل شرق أفريقيا إلى المناطق الداخلية إلى كينيا وتنجانيقا [10].

ظل البحر الأحمر وما يزال ممراً دائما يصل بين جنوب الجزيرة العربية وشرق أفريقيا ما كما أن هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة دليل على التبادل الاجتماعي بين العرب والأفارقة الذين سبق وأن اختلطوا معهم تجارياً وسياسياً. وكانت أكثر

---

6 ـ حسن ن يوسف فضل مرجع سبق ذكره،ص14 أيضا عريبي، علي الطاهر ن مرجع سبق ذكره،ص230، حسن إبراهيم حسن إنتشار الإسلام في القارة الأفريقية مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية،1963 م.ص.

7 ـ محمد، عبدالله عمر ن الخليج العربي وشرق افريقيا، حسابات الماضي وآفاق المستقبل العربي 499 يونيو 2000،ص 30.

8 ـ محمد، عبدالله عمر، المرجع السابق،ص34.

9 ـ محمد، عبدالله عمر، المرجع السابق،ص28.

10 ـ محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا ن دار النهضة العربية،1967م،ص8.

المناطق تعاملاً مع العرب، وكان إتصالهم بالعرب قوياً، بل توحدت افريقيا حول عقيدة واحدة عقيدة ولغة واحدة ألا وهي الثقافة العربية الإسلامية [11].

إن ظهور الإسلام على الساحة الأفريقية في العصر الإسلامي كان له هدف سام هو نشر العقيدة الإسلامية، وتبعه بسط النفوذ السياسي والمعنوي ونشر اللغة العربية والحضارة العربية. وهكذا قامت مع الفتح وبسببه روابط عميقة مع أفريقيا شمالها وغربها وشرقها في المجالات الدينية والثقافية [12].

ويؤكد التاريخ الإسلامي أن المسلمين الأوائل هاجروا إلى الحبشة هجرتين عبر البحر الأحمر قادهما عثمان بن عفان. ولقي المسلمون كل ترحيب من النجاشي الذي رفض تسليمهم وإعادتهم إلى قريش، واشتملت هاتان الهجرتان على عدد من النساء، مما يدل على تأكد المسلمين بموافقة الحبشة على إيوائهم وإستضافتهم. ولم يكن هذا التأكد إلا نتيجة، تردد المسلمين أكثر من مرة على هذا الطريق. وكان هذا الشعور صحيحاً، إذ كان المهاجرون في الحبشة يلقون كل ترحاب طيلة ست عشرة سنة، ومن أجل هذا ظلت العلاقات الحبشية تربط كلاً من النجاشي والنبي ﷺ طيلة حياتهما، فتبادلا الهدايا أكثر من مرة. وكان النبي يحمل كثيراً من الود بل الحب للأحباش [13].

ونتيجة لتلك العلاقات العميقة، دخلت الألفاظ والمصطلحات إلى اللغة العربية من الحبشة على الرغم من أن معظم هذه الألفاظ أصلها ذات جذور سامية، يؤكد علماء اللغة بأنها دخلت عن طريق الحبشة. ومن بين الألفاظ على سبيل المثال ما يعود إلى مسائل دينية كالحوارين ومنافق ومنبر ومحارب وصحف وبرهان : ومنها ما يدل على أسماء الحيوانات كالحريش والزرافة والبغل والهرماس وصيغة أفعول الدالة على الجمع في اللغة العربية دخلت الحبشية (مباشرة عن طريق اليمن مثل أخدود وأمعور واحبوش وأركوب (جماعة الركاب) الخ [14].

إن إنتشار الإسلام عزز ورسخ الروابط الثقافية في شمال وغرب أفريقيا. ولقد أكد أحد الباحثين أن الروابط الثقافية المتبادلة بين شمال أفريقيا ووسطها وغربها تعمقت بدرجة كبيرة في عهد الدولة الحفصية، وأثرت تأثيرا قوياً في جنوب الصحراء الكبرى، وذلك للعلاقات الطيبة بين سلاطين بني حفص وأمراء برنو. ومما دعم هذه الصلات التجارة والحج والتزاوج وتبادل الزيارات والسفارات والهدايا والهجرة من مكان إلى آخر.... الأفارقة المغاربة بصفة عامة والتونسيون بصفة خاصة في الملبس والتطيب والمأكل وسعوا للحصول على الخيول العربية والسيوف التونسية واقتناء الكتب وطلب العلم[15].

اهتم المغاربة بنشر اللغة العربية في الأقطار الأفريقية وذلك من خلال تعريب الدواوين الرسمية، واعتماد اللغة العربية في تسجيل العقود، وفي فض المنازعات القضائية، وفي كتابة المخطوطات والوثائق.

نشطت الدعوة للإسلام بعد سقوط غرناطة واقصاء المسلمين منها ودرس بعض علمائهم في المدارس الأفريقية. فبانتشار الإسلام في أفريقيا إزدادت الأواصر وتوطدت العلاقات وترسخت، فقد

---

11 ـ عريبي، علي الطاهر، ملامح صلات العرب الثقافية بإفريقيا الشرقية، مرجع سبق ذكره، ص277.

12 ـ الحمارنة، صالح، العلاقة بين افريقيا والعالم العربي الإسلامي في ضوء مصادرنا التاريخية والجغرافية المجلة الثقافية الجامعة الأردنية ص123.

13 ـ عريبي، علي الطاهر، ملامح صلات العرب الثقافية بإفريقيا الشرقية، مرجع سبق ذكره،ص.

14 ـ حسن، يوسف فضل، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الأفريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985،ص 39، أيضا عريبي، علي الطاهر، مرجع سبق ذكره ن ص228.

15 ـ حسن، يوسف فضل، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1985،ص19.

اجتاز الإسلام الصحراء واتجه صوب الغرب والشرق في حكمة سريعة أذهلت المؤرخين، واعتنقه الأهالي بسرعة فائقة، إذ وجد الإسلام في مناطق ـ كانو ـ برنو منذ سنة 46 هـ 666 (مسيحي). وفي هذه السنة وصلت طلائع عقبة بن نافع إلى (كادار)، والمرجح أن الطريق الذي سلكه عقبة وجنوده كان يربط طرابلس وكانو، وهذا الطريق كان له تاثيره إذ تدفق خلاله التأثير الإسلامي من (كانو ـ برنو) إلى مناطق أخرى في السودان الأوسط.

بدأ التأثير الإسلامي فعلياً منذ القرن الحادي عشر مسيحي عندما إعتنق حاكم (برنو) الماي هيوم جلمي الإسلام، ثم أمراء غانا وتكرو ومالي إلخ.. وهكذا تواجدت جماعات إسلامية في كل المراكز التجارية في الساحل الغربي أمثال الفلاني، دالماندنغو الهوسا). قام حكام برنو بتأدية فريضة الحج فكان لذلك تأثيره إبتداءً من القرن الثاني عشر مسيحي، وأتاحت فرصة ثمينة لبناء علاقات فكرية وثقافية ودبلوماسية بين سكان الشمال الإفريقي وبين حكام (كانو ـ برنو).

ويعد الحاكم المسمى (الماي دوناما دابالمي) الذي خلف «الماي هيوم جلمي» في الحكم أول من أنشأ علاقات ثقافية وسياسية مع حكام طرابلس ومصر أثناء ذهابه للأراضي المقدسة وعودته منها في القرن الثاني عشر وتوطدت في الثالث عشر [16].

العولمة: هي المفهوم الدال على نظام جديد للعالم في دور الإنجاز، لينظر إليه من الزاوية الإقتصادية على أنه قمة التطور التي وصلت إليها الرأسمالية، حيث تسعى العولمة إلى أن تستبدل رأس المال الوطني برأس المال العالمي، وما يترتب على ذلك من انقلاب جوهري في شبكة المعلومات التي تربط الإنسان بواقعه وبالآخر من جهة وبتاريخه وميراثه الثقافي أوالحضاري بصفة عامة من جهة أخرى.

إنتشر الإسلام في بلاد المغرب (ليبيا تونس والجزائر والمغرب) على يد المسلمين العرب الذين جاؤوا فاتحين المنطقة حتى سواحل المحيط الأطلسي، واختلط المسلمون الذين قدموا من الجزيرة العربية بالعرب المستعربة الذين كان جلهم وثنيين فدخلوا الإسلام وإتخذوا اللغة العربية لساناً لهم، وبذلك ظهر جيل من المستعربين الذين حملوا لواء الإسلام والثقافة العربية عبر الصحراء الكبرى. ولم تكن الصحراء حاجزاً بل كانت بمثابة البحر المحيط يربط بين ساحلين، هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤتمرات الثقافية العربية والإسلامية التي حملها العرب من أقاليم شمال أفريقيا إلى وسطها وغربها دخلت عبر أربعة منافذ كان للتجارة فيها أثر واضح، وأولها الطريق الذي يربط ليبيا وتونس بمنطقة بحيرة تشاد، وثانيها يربط تونس ببلاد الهوسا، وثالثها يربط الجزائر بأواسط نهر النيجر، ورابعها يربط المغرب الأقصى بأعالي نهر النيجر ونهر السنغال.

لقد اختلط الوافدون بالمقيمين وتشبعت المصالح والعلاقات في ما بينهم وصاهروهم، مما أدى إلى نشر الإسلام في «السودان» الأوسط مثل التكرور والفلاتة والولوف والسوننكة والديولة والصنغاي والماندفو والهوسا والكانوري والكانميون. وعلى النمط نفسه انتشر الإسلام في سودان وادي النيل. فالتجار جمعوا بين التجارة والدعوة إلى الإسلام وإنتشرت الثقافة الإسلامية باللغة العربية والحرف العربي.

16 ـ أبو سعد، عبدالسلام، العلاقات الثقافية بين الشعوب الأفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها، أعمال ندوة التواصل الثقافي، والإجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء مراجعة وتقديم عبدالحميد عبدالله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998، ص 19-20.

وكان من بين أهم المدن التي أنشئت مدينة تنبكت (تنبكتو) التي تقاطر عليها التجار وأمها العلماء من المغرب والأندلس ومصر، وإزدهرت تنبكتو إلى حد كبير فأصبحت مركز إشعاع للعلوم الإسلامية والآداب العربية وإشتهر بعض أبنائها بالتأليف أمثال أحمد بابا، والسعدي، والقاضي محمود كعت. ولعبت مدينتا (جني، وكذاجاو) دوراً مماثلاً في نشر الثقافة العربية وتغلغل النفوذ الإسلامي بغرب افريقيا وأواسط بلاد السودان ونشر الإسلام في هذه المناطق.

لقد مر تأثير العرب بسكان أفريقيا بمراحل ثلاث:

أولاها: مرحلة الاحتكاك السلمي وكان التجار العرب والعرب المستعربة دعامته. ثم مرحلة جهاد المرابطين وكانوا سنداً للنفوذ الإسلامي في تلك البقاع. والمرحلة الأخيرة جمعت بين السلم والجهاد وتركزت على الدعوة للعقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها. وفي هذه المرحلة إنتلقت الزعامة الدينية إلى أهالي السودان المقيمين بعد تشبعهم بالروح الإسلامية، فضلاً عن قيام الممالك الإسلامية السودانية التي تعاقبت على حكم المنطقة بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر مثل مالي وصنغي وإمارات الهوسا، فممالك أواسط بلاد السودان تشبه الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا حيث تغلب عليها مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، وجمعت في نظمها الإدارية بين النظم الإسلامية وتتصف بسماتها المغربية ويسود فيها المذهب المالكي. وصارت اللغة العربية لغة العبادة والعلم والتجارة والدبلوماسية [17].

ومن بحيرة تشاد بدأ الإسلام يأخذ في الإنتشار بفضل الدعاة المخلصين من التجار والجاليات العربية والعلماء المتجولين إلى أن عم هذه المناطق وانضوت الشعوب تحت لوائه في القرن الثالث عشر.

ترسخت الصلات بين العرب والأفارقة لعاملين هما: المصالح التجارية من ناحية وأخوة الإسلام من ناحية أخرى التي صارت من أقوى الأواصر التي أكدت التواصل الثقافي ورسخته.

دخل الإسلام من الغرب أرض الهوسا، أما كانو وبرنو فدخلها الإسلام من الشرق. ويعزى دخول الإسلام إلى جماعة (الوانجروا) الذين نزحوا إلى إقليم «كانو» إبان حكم الساركي الحادي عشر إليها وهو ياجي بن تساميا (1349 ـ 1384 مسيحي).

ومنذ القرن الخامس عشر مسيحي بدأت «الهوسا» تحظى بإهتمام علماء الشمال الإفريقي، فوجهوا اهتمامهم نحوها، ويروى أن عالماً كبيراً قدم من مصر مع تلاميذه لأرض الهوسا من أجل تعليم الطلاب حاملا معه مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي. وفي الربع الأخير من القرن الخامس عشر مسيحي ظهرت حركات إصلاحية ونهضة في التعليم في أرض الهوسا على أيدي حكام: برنو- كاتسينا ـ زازوا وغيرهم.

اهتم علماء الشرق بأرض الهوسا «الحوصة» حيث ألف السيوطي (ت911هـ) كتاباً عن الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في أرض التكرور وخاصة منها الهوسا. وزار السيوطي تلك البقاع إلى جانب ما كان يسمعه من الطلاب الوافدين إلى الأزهر والحجاج الذين يذهبون لمكة عند مرورهم بالقاهرة [18].

ولا يفوتنا أن نذكر أثر سجلماسة* كمركز تواصل ثقافي، التي عدت منذ زمن طويل مركزاً لاستقطاب

17 ـ حسن، يوسف فضل، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، مرجع سبق ذكره، ص40.

18 ـ أبو سعد، عبدالسلام، مرجع سبق ذكره من ص22.

العلماء، فضلاً عن التجار وأصحاب الأموال، فساهمت بشكل فعال في النهضة الدينية والعلمية بل وكانت إحدى الركائز الأساسية في بناء الحضارة المغربية. فسجلماسة كانت كعبة لتبادل الرأي ولحرية الاعتقاد وللتسامح الديني [19].

لقد اهتم المغاربة بنشر اللغة العربية في الأقطار الأفريقية وذلك من خلال تعريب الدواوين الرسمية واعتماد العربية في تسجيل العقود وفي فض المنازعات القضائية وفي كتابة المخطوطات والوثائق[20].

انتشر الإسلام في المنطقة الأفريقية من السنغال غرباً إلى كانو شرقاً، وقامت ثمة مراكز للعلم والتعليم. كان التاجر المغربي يعتبر الكتاب المنسوخ «طبعاً» بضاعة مهمة وقد حُملتْ من هذه الكتب التي تعود إلى فترة القرنين الثامن والتاسع للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر مسيحي) على الديار الأفريقية، وقد عثر على الكثير منها في مكتبات تلك المناطق الخاصة والعامة، وكان الحرف العربي هو الغالب في كتابة اللغات الأفريقية كالهوساوية والفلاتية [21].

إن الإنتماء إلى عروبة الإسلام، كان كافياً لكي يساهم في خلق ومد جسور التواصل والحوار الحضاري بين العناصر الأفريقية المسلمة، ويتأكد لنا ذلك في بقاء اللغات واللهجات الأفريقية المحلية إلى جانب اللغة العربية التي احتفظت بمركزها كلغة للثقافة والتعامل. بل إن كثيراً من المفردات العربية دخلت اللهجات الأفريقية المدونة بالحرف العربي [22].

إن الغرب أدرك عناصر قوة الحضارة العربية الإسلامية وأسباب بقائها، فبدأ بوضع برنامج لمحاربتها، وذلك بزرع المفاهيم الخاطئة لدى النخبة المتعلمة من ذوي الأصول الأفريقية محاولا محو الأثر الثقافي العربي والإسلامي [21].

قاوم سكان زنجبار تلك السياسة الاستعمارية فقاطعوا التعليم الحكومي لمدة طويلة عندما قررت السلطات البريطانية استخدام الحروف اللاتينية في كتابه السواحلية مستندين في ذلك على استخدامات المبشرين والقساوسة لها في مجال التعليم لمدة خمسين سنة، متجاهلين بذلك تجربة خمسة قرون متواصلة من استعمال الحرف العربي، هذا، ومن اللافت للنظر أن الحرف العربي ظل يقاوم حتى النصف الأول من القرن الماضيْ إلا أن الحماسة الوطنية لم يكن في مقدورها الاستمرار طويلا في مقاومة الحرف اللاتيني نظراً لمخطط الدول الإستعمارية الأوروبية، ورصد المبالغ المالية

ان الغرب أدرك عناصر القوة للحضارة العربية الإسلامية وأسباب نقائها، فبدأ بوضع برنامج لمحاربتها، وذلك بزرع المفاهيم الخاطئة لدى الالنخبة المتعلمة من ذوي الأصول الأفريقية محاولاً محو الأثر الثقافي العربي والإسلامي..

❖ سجلماسة ثاني مدينة إسلامية تشيد بالغرب الإسلامي بعد القيروان وعاصمة لأول دولة مغربية مستقلة عن الخلافة بالمشرق والمتمثلة في إمارة بني مدرار الخارجية الصفرية وهذه المدينة بنيت 140هـ / 757م وقد أهلها موقعها الإستراتيجي كهمزة وصل أساسية بين مختلف مناطق شمال افريقيا وبلاد السودان الغربي من جهة المشرق الإسلامي من جهة ثانية.

19 ـ تاوشيخت، لحسن سجلماسة، كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء كلية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى 1998، ص230.

20 ـ تاوشخت، لحسن، المرجع السابق، ص232.

21 ـ زيادة، نقولا، صانعو الحضارة العربية الإسلامية، العربي العدد 513 أغسطس 2001م ن ص 55.

22 ـ حنفي، مصطفى، ثقافة الصحراء أو العمق الإفريقي للهوية الحضارية العربية الإسلامية جامعة ناصر الأممية، المائدة المستديرة للأساتذة العرب بالجامعات والمعاهد العليا داخل الوطن العربي وخارجه الدورة الحادية عشرة 1969 ـ2001 إفرنجي ص 15.

23 ـ محمد، عبدالله عمر، مرجع سبق ذكره ن ص30-31.

الكافية لمحاربة الحرف العربي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصومال بعد إستقلالها في الستينات من القرن الماضي طلبت من الدول والمؤسسات العربية المساعدة في كتابة اللغة الصومالية بالحرف العربي [24].

إن الخطر علينا نحن العرب والأفارقة يكمن في نظرتنا إلى الثورة العلمية والتقنية والتقدم الصناعي وثورة المعلومات بنوع من الحيادية الساذجة أو التجهيل، وإزاء ذلك يمكن طرح السؤال الآتي: هل تعرضت قارتنا الأفريقية وعالمنا العربي إلى غزو ثقافي؟ الغزو: مفردة تعني سلسلة متعددة الحلقات من الأفعال تبدأ حلقاتها بالنية والقصد تم التخطيط والإعداد لما يقتضيه هذا الغزو من وسائل، ومن ثم المواجهة مع الجانب المغزو لاجتياح حصون هذا الغزو ومواقعه بكل ما يتطلبه من وسائل هدفاً تردده وسائل الإعلام لدينا، وما يصر عليه بعض من يضعونها الإبداع والإشعاع في أفقنا الفكري والثقافي[25].

إن ما نشهده في هذه الآونة من محاولات محمومة للغزو الثقافي لقارتنا ولعالمنا العربي يدعونا إلى تجنيد كافة إمكاناتنا من أجل الحفاظ على هويتنا باتخاذ السبل الكفيلة للحفاظ على ذواتنا وعدم التفريط بقيمنا الروحية، وأنا لا أعني الابتعاد عن أسباب التقدم، ولكني أرفض سياسة الغالب والمغلوب، إذ صارت الثقافة العربية والفكر العربي والمسلم مرفأ للاستيراد لا للتصدير، وسوقاً للاستقبال لا للإرسال، إننا نستقبل حتى ما يتعلق بصناعة الكلام ومذاهبه والنقد وأساليبه، لذا علينا أن نأخذ بكل أسباب التقدم لمواجهة الغزو الداهم لقارتنا..

وما نواجهه الآن في القارة الأفريقية وفي عالمنا العربي خاصة في هذا العصر المتميز عن الماضي أي عصر العولمة يدعونا إلى مراجعة الماضي الإفريقي والعمل على التخلص من هيمنة الثقافات الغربية التي جلبها المستعمرون، بالبحث من جديد عن الشخصية الأفريقية ومقوماتها بالرجوع إلى التاريخ والتراث الإفريقيين التقليديين المرتبط ببدايات الدعوة الإسلامية والعلاقات مع العرب بكل ما يشتمل عليه من أساطير وأمثال وحكايات وأفكار إنسانية عميقة، والعودة إلى هذا التراث وإلى الثقافات الوطنية لأنها الطريق الوحيد للتخلص من هيمنة الثقافات الغربية التي جلبها المستعمرون الأوروبيون والارتباط بالتالي بالجذور الأفريقية الثابتة الراسخة.

أبرز ما يميز العولمة أنها تسعى إلى انتزاع الإنسان من انتمائه الأصلي من جهة، وتعمل على تفتيت وعيه بالتاريخ من جهة أخرى، كما أنها لا تعترف بالهوية الوطنية أو القومية أو الدولة، بل تقف نقيضاً لهذه المفاهيم، كما أنها تقدم على الهيمنة وتكريس علاقة السادة بالعبيد.

إن الزعماء الأفارقة الذين حققوا استقلال أوطانهم في الستينات من القرن الماضي تميزت دعوتهم إلى الاستقلال على الخصوص بإتخاذها بعداً ثقافياً إلى جانب البعد السياسي تمثل في الدعوة إلى التمرد على الثقافة الفرنسية التي كان الفرنسيون يفرضونها بالقوة على الشعوب المستضعفة ويريدون إحلالها ـ هي واللغة الفرنسية ـ محل الثقافات واللغة الوطنية، وقد لجأت فرنسا إلى اتباع إسلوب متميز

24 ـ محمد، عبدالله، المرجع السابق، ص31.

25 ـ المبارك، راشدي، محاولة للفهم، الغزو الثقافي وهم أم حقيقة العربي العدد 507 فبراير 2001م،ص21.

وذلك بإرسال شبان أفارقة إلى باريس لتلقي العلوم وبدمجهم في المجتمع الفرنسي لاعتناق الأفكار السياسية والفلسفية الفرنسية، إلا أنها فشلت في مخططها، حيث حدث العكس في كثير من الأحيان، وتبلور في ظهور الدعوة إلى العودة إلى الأصول الأفريقية والاعتزاز بإفريقيا الوطن الأم والانتماء إلى ثقافتها التقليدية [26].

إننا في القرن الحالي في أمس الحاجة إلى العودة إلى الأصل ومواجهة الثورة المعلوماتية بشيء من الحذر والاستفادة منها وتوظيفها للحفاظ على تراثنا ولا يعني ذلك الارتماء في أحضان الماضي والانقطاع بالتالي عن العالم الحديث، بل لكي يكون نقطة للانطلاق إلى العالم الفسيح الرحب على كل المستويات، ولابراز مكامن القوة في الشخصية الأفريقية وفرضها على العالم وذلك بالاستفادة من التقنية الحديثة وثورة المعلومات «الإنترنت».

ولعل أبرز ما يميز العولمة أنها تسعى إلى انتزاع الإنسان من انتمائه الأصلي من جهة وتعمل على تفتيت وعيه بالتاريخ من جهة أخرى، كما أنها لا تعترف بالهوية الوطنية أو القومية أو الدولة، بل تقف نقيضاً لهذه المفاهيم، كما أنها تقوم على الهيمنة وتكريس علاقة السادة بالعبيد، ولهذا علينا أن نتبع كل السبل التي قد تحفظ هويتنا من الضياع[27].

إن الانترنت والقنوات الفضائية ستملي على الجميع أفكارها، كل ذلك استعداداً للقضاء نهائياً على ما كان يسمى الاقتصاد الوطني والثقافة الوطنية وخضاع كل ذلك لنظام العولمة الجديد الذي لا مكان فيه للكسالى والضعفاء.

لقد أكد بعض الباحثين أن العلاقة بين العرب والأفارقة في إطار ما أسماه «بالفقه الإفريقي الموحد» أن العرب أفارقة لأنهم استوطنوا أفريقيا منذ القرن السابع الميلادي ولأقدمية وجودهم بإفريقيا فحدث التمازج. وبينما قام العرب بتعريب شمال أفريقيا فإن العرب قد إسيوعيوا في حضارة البانتو في شرق افريقيا [28].

فالسؤال الذي يطرح نفسه: هل بإمكان الدولة العربية والأفريقية من خلال الاتحاد الإفريقي تنمية وتعميق التلاحم الثقافي الموروث والتأكيد عليه ثم الإستفادة منه في المستقبل لصالح الأفارقة ؟

آن الأوان لنا، ـ نحن الأفارقة ـ التطلع إلى أن تكون لنا عولمتنا الخاصة بنا لا عولمتهم التي تعمل على زعزعة ثقتنا بأنفسنا واستلابنا وتحويلنا إلى أمة مستهلكة لا ذاكرة لها بعد أن كنا أمة منتجة تقود ولا تقاد. فنحن مستهدفون وعلينا أن نرفع شعار «أن نكون أو لا نكون» ونحققه بالفعل لا بالقول لكي نسهم في ركب التنوير العقلاني والوجداني والعلمي، وإن الفضاء الإفريقي الواحد كفيل بإخراجنا من أزمة العولمة، وإن التغلب على العقبات التي تعترضنا كأفارقة لا يمكن أن تحقق في إعتقادنا إلا فى ظل وعي عربي أفريقي جديد.

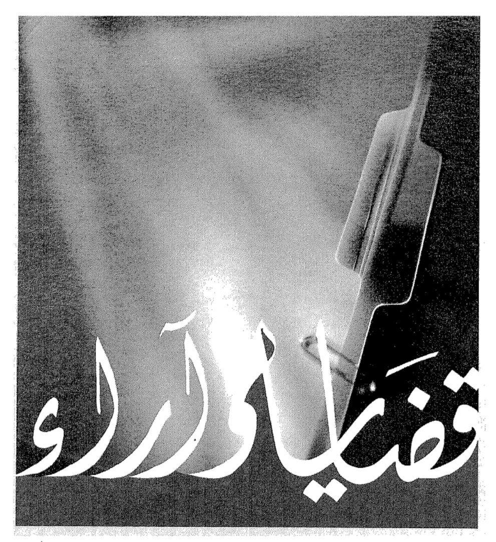
---

26 ـ أبو زيد أحمد، هكذا تعني سيزير، أنا إبنك بإفريقيا، مجلة العربي العدد 507 فبراير، 2001م ص26. العولمة نقيض العالمية التي تكرس التواصل بين أبناء البشر من أحل تحقيق أهداف إنسانية معرفية ومادية عامة.

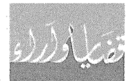
العولمة كلمة جديدة أدخلت على اللغة العربية وأصبحت متداولة بين كثير من الناس وفرضت معناها وأصبحت تثير الخوف لدى من يجهل مدلولها والعولمة تعني فرض نظام عالمي لا تكون فيه إلا قوة واحدة تسير العالم وتقوم بدور الشرطي الذي لا يقبل إلا بالإتجاه الذي يقبله ويتبناه.

27 ـ إسماعيل ، عزالدين، العولمة وأزمة المصطلح العربي العدد 498 المحرم 1421هـ مايو 2000، ص177.

28 ـ القرعي، أحمد يوسف، قضية العلاقات العربية الأفريقية مجلة السياسة الدولية، العدد 98، أكتوبر 1989م، ص127.



الإسلاموفوبيا.. الكراهية والحصاد المرّ



لماذا الخوف من الإسلام؟!

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل *



عندما قررنا اثارة قضية: مرض الخوف من الإسلام أو (الاسلاموفوبيا) لم نكن نرمي الى أكثر من إيضاح بعض النقاط من أهمها: محاولة الاقتراب من الذهنية التي تصر على أن تظل - بعد أن تقع - في دائرة غريبة لم يعرفها تاريخ العقائد...

إعتقد البعض أن القضية بكل أبعادها ستكون محصورة في عرض بعض المؤلفات، وحفنة من أشرطة الخيالة، وبعض الرسوم الساخرة.. لكن هذا الاعتقاد لم يصمد طويلاً...

جغرافياً وجدنا أن هذه الظاهرة (الإسلاموفوبيا) موجودة بشكل أوضح في أوروبا وأمريكا الشمالية واستراليا...

تاريخياً بدأت هذه الظاهرة المرضية من مكة حيث جسدها بعض من عتاة قريش، أما في المدينة فقد أصيب بها أغلب اليهود...

اتجه رأينا نحو محاولة حصر التناول في استعراض بعض المؤلفات، وفاقت النتيجة كل توقعاتنا: مئات - إن لم نقل آلاف - الكتب والمقالات في الصحف والمجلات، مئات أشرطة الخيالة، رسوم ساخرة لا تكاد تحصى، أشرطة كرتونية، ندوات ومؤتمرات...

❖❖❖

السؤال الذي لا بد وأن يطرح: لماذا يصاب بعض الناس وبعض المدنيات بمرض الخوف من الإسلام؟!

في مقدمة الذين يصابون بهذا المرض ربما يكونون من الذين لم يدركوا حقيقة هذا الدين، أو حيل بينهم وبين إدراك أبعاده ومراميه، ربما لم يقدم لهم كما ينبغي... لم يجدوه كما هو دون شوائب، وهؤلاء ربما رأوا الإسلام من خلال ظواهر ومظاهر أريد لها أن تكون من بنيته رغم أنه يرفضها ويحاربها ولا يقبلها.

ولعل المرء يلتمس عذراً لمثل هؤلاء الذين حالت الشوائب والظواهر والمظاهر بينهم وبين إدراك حقيقة الإسلام، وبراءته مما يلصق به، سواء من قبل معاديه أو من قبل من لم يفهموه أو من قبل بعض أتباعه الذين أساءوا إليه... لكن التماس العذر لغيرهم ممن أصيب بمرض الخوف من الإسلام يحتاج جهداً غير عادي، ولعلها من أغرب المفارقات أن يختار المرء وبملء إرادته مرضاً ما ويصرّ على عدم الشفاء منه، إضافة إلى صعوبة التفريق بين العقيدة وبين مظاهر وظواهر تتقاطع مع أسس تلك العقيدة...

بعض من الذين يصابون بمرض الخوف من الإسلام لا يدركون حقيقة الوضعية المرضية التي يعانون منها، وهم يرفضون الاعتراف بذلك إن هم اكتشفوا أنهم مسكونون بفيروس انتقل إليهم من المدنية التي ولدتهم، وهي مدنية تسعى لأن تشيع ثقافة الغلو والتطرف والانحراف.

مدنيات ترى في الإسلام بديلاً غير مرغوب فيه من شأنه أن يوقف العبثية والانحراف عن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، فهو ضد الظلم والاستعباد والاستغلال، وهي ظواهر مرضية تعاني منها مدنيات وحضارات لا تزال على قيد الحياة.

❖❖❖

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي/ ليبيا

وما دمنا قد قرّرنا إثارة قضية مرض الخوف من الإسلام: الإسلاموفوبيا فلا بأس من الإشارة إلى أن (فيروس) هذا المرض لا يفرق بين فرد وشعب وأمّة ما دام هذا الفرد وذاك الشعب وتلك الأمّة لم يدركوا ـ أو لم يقبلوا ـ أنهم في أمس الحاجة إلى عرض أنفسهم على أطباء الحضارات، ليس بهدف البحث عن مصل يجدون فيه الشفاء فقط، بل، وأيضاً حتى يمكن الحيلولة دون انتشار هذا المرض (أو الفيروس) المسبب له في ساحة أكبر وعدد أكثر..

المشكلة لا تكمن فقط في تشخيص المرض وطبيعته، بل تتعدى ذلك إلى مرض آخر هو التناقض الواضح بين أبناء المدنية والحضارة الواحدة فيما يتعلق بمرض الخوف من الإسلام، صحيح أن الاختلاف ظاهرة بشرية، لكن أي اختلاف؟... ومن هنا يمكن ان نسأل: لماذا لم يصب جلّ المفكرين الغربيين بهذا المرض؟ بل إنهم يسعون جاهدين إلى اكتشاف مصل واق يحول دون أن يصاب أبناء جلدتهم بهذا المرض...

إن جل المفكرين الغربيين من ذوي النظرة الثاقبة والفكر السوي لم يصابوا بهذا الفيروس لأنهم وجدوا أنفسهم أمام عقيدة تشيع كل ما هو إيجابي، وتدعو إلى كل ما هو خير للإنسان، أي إنسان، بغض النظر عن لون أو عرق أو دين...

❖❖❖

هل سنضطر إلى التساؤل حول مدى تأثر أبناء المدنية الغربية ببعض النبوءات والتوقعات التي يعلنها بعض من أبناء جلدتهم؟

هل أن نبوءات عدد لا بأس به من مشاهير الحضارة الغربية وهم الذين ربما يعتبرون (أطباء حضاريين) شكلت صدمة لم يستطع المصابون بمرض الخوف من الإسلام تحمّلها؟

هل كانت توقعات نوستراداموس والتي ذهبت إلى أن باريس ستصبح عاصمة إسلامية كابوساً يقض مضاجع أبناء الحضارة الغربية؟ هل كانوا وهم يحللون تلك الرؤيا أو ذلك التوقع في وضع سليم وصحي فكرياً بحيث يتمكنون من التحليل بعمق وتريّث بعيداً عن أن يصبحوا مسكونين بتوقع لا يقبلونه بأي حال؟!

هل أن نبوءة الكاتب الإيرلندي جورج برنارد شو أدخلت الخوف في نفوس بعض من أبناء المدنية الغربية؟! وهي نبوءة أعلنها سنة 1936 مؤكداً أن الإسلام سيكون له شأن، وأي شأن، لا في بريطانيا فحسب، بل في كامل أوروبا خلال عقود قليلة...

هل أن الشهادات التي يدلي بها عدد من المثقفين والأدباء والمفكرين والسياسيين والاوروبيين والتي تتزايد يوماً بعد يوم ينظر إليها وكأنها نبوءات سلبية من شأنها أن تتحول إلى واقع يقض مضاجع من لم يتسع صدره للتنوّع الإنساني؟

لقد اخترنا أن ننشر آراء عدد من أشهر كتاب العالم ومفكّريه وفلاسفته في العدد الثالث وهذا العدد الذي بين أيديكم وهي تشير وبكل وضوح إلى المكانة الإيجابية التي يتميّز بها الإسلام في عقول وقلوب رجال أمثال: جورج برنارد شو، ادوارد جيبون، الفونس دي لامارتين وغيرهم، لا لأننا نبحث عمن يضيف للإسلام شيئاً، أو يعطي له شهادة بحسن السيرة والسلوك، بل لنؤكد على أن معنى الخوف من الإسلام ناجم عن حالة من الضياع والتفكك والفراغ التي يعيشها أبناء المدنية الغربية أو الحضارة الغربية إن شئتم...

❖❖❖

الغريب في الأمر أن التاريخ لم يقص علينا أن عقيدة ما غير الإسلام تعرّضت لهجوم قوي لا هوادة فيه مثلما هو الحال مع الإسلام، والأغرب من كل ذلك أن يتحول الهجوم والذي لم يترك وسيلة إلا واتبعها إلى مرض نفسي أصاب أقواماً معدودين وحاولوا نشر (فيروسه) في كل ركن من أركان المعمورة..

❖❖❖

لن ندّعي اننا أحطنا بهذه القضية من كل جوانبها؛ إنه أمر لا سبيل إلى بلوغه، ولكن يمكننا القول أننا طرقنا بابها في محاولة منا للفت الاهتمام إليها ليس أكثر...

❖❖❖

ختاماً لا بد من الإشارة إلى الجهد المتميز الذي بذله الاستاذ الصديق بشير نصر في سبيل توفير المادة التوثيقية المتعلّقة بهذه القضية إعداداً وترجمة فله منا كل التقدير...



الإســلاموفوبيا
الجــذور التاريخيــة

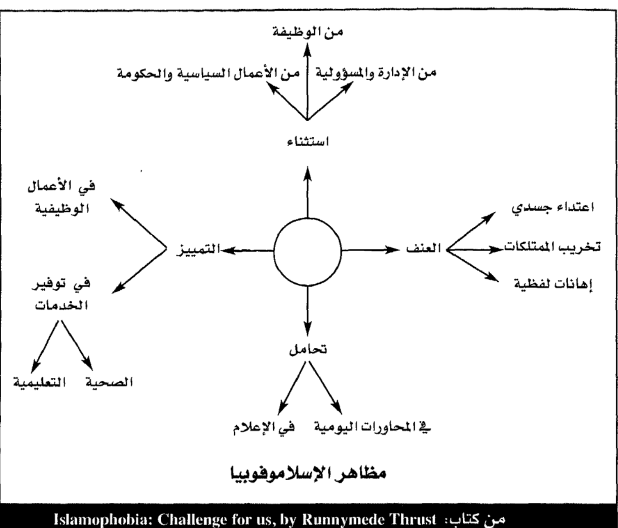
الإسلاموفوبيا Islamophobia كما تُعرّفها الموسوعات ودوائر المعارف الغربية مصطلحٌ شاع في ثقافة الغرب، ويعني الخوف من الإسلام وكراهية المسلمين. وهو مصطلحٌ تمّ وفق عملية نَحْت Neologism من مصطلح آخر قديم هو Xenophobia، أيّ الرُّهاب (على وزن فُعال،كزُكام، وَعُطاس، وصُداع) أيّ الخوف من الأجانب، أو كلّ ما هو غريب. وتلك حالةٌ مرضيّةٌ تتلبّس الشخصَ عندما يتوجّسُ خيفةً من الغريب. وأصل كلمة Phobia يوناني. وقد كثر في العقود الأخيرة استخدام هذه اللفظة لاستحداث تراكيب جديدة مثل: Acrophobia الخوف من الأماكن المرتفعة، وAtaxophobia الخوف من الفوضى، Autophobia الخوف من الوحدة، و Doxophobia الخوف من إبداء الرأي.

والإسلاموفوبيا هي أيضاً وصفٌ للمسلمين بالتعصّب الديني، وميلهم إلى العنف نحو غير المسلمين، ورفضهم لكلّ ما هو مخالف للإسلام، مثل: المساواة Equality، والتسامح Tolerance، والديموقراطية Democracy.

والإسلاموفوبيا شكلٌ جديدٌ من أشكال العنصريّة Racism ، حيث إنّ المسلمين جماعةٌ إثنية دينية Ethnic religious group. أيّ أنهم ينتمون إلى أعراق مختلفة، فالمسلمون إذاً ليسوا جنساً واحداً، ومع ذلك يُنظر إليهم في الثقافة الغربية وكأنهم جنسٌ واحد. وبسبب ارتباط العرب بالإسلام، قد يُرادُ بالإسلاموفوبيا شكلٌ آخر من أشكال العنصرية التي تعني معادة العرب. وهنا نجد الإسلاموفوبيا والعربفوبيا بمعنىً واحد (Arabphobia = Islamophobia)، بالرغم من أن العرب ليسوا جميعهم مسلمين، وأن الغالبية العظمى من المسلمين ليسوا عرباً. ونرى ذلك واضحاً في الاعتداءات التي تعرّض لها بعض العرب غير المسلمين، وبعض السيخ بسبب العمامة التي يرتدونها، والتي ترمز في ثقافة الغرب إلى الإسلام والمصطلح نفسه مبتَكَرٌ، ويعكس تأثيرات الحركات التي حدثت في التسعينات، مثل: نزعة الثقافة المتعددة أو التنوّع الثقافي Multi-Culturalism، وسياسات الهُويّة Identity Politics، وهي تظهر في الغالب عند الكلام عن المهاجرين المسلمين الذين يعيشون كأقليات في الغرب.

وتقوم الإسلاموفوبيا على ثمانية مكوّنات حدّدتها Runnymede Thrust، وهي :

1 - النظر إلى الإسلام على أنه كتلةٌ متراصةٌ Monolithic bloc، وأنه ثابتٌ غير قابل للتغيير.
2 - النظر إلى الإسلام باعتباره كائناً منفصلاً وشيئاً آخر، وليست له قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى، وغير متأثر بها أو مؤثّر فيها.
3 - النظر إلى الإسلام باعتباره ديناً وضيعاً، وأدنى من



من كتاب: Islamophobia: Challenge for us, by Runnymede Thrust

الغرب Inferior، وبربري Barbaric وغير عقلاني Irrational، وبدائي Primitive، وشهواني Erotic.

4 ـ الإسلام عدوانيّ Aggressive، وعنيف Violent، ومُهدِّد Threatening، ومؤيّد للإرهاب Supportive of Terrorism، وفي صدام مع الحضارات In a clash of civilization .

5 ـ الإسلام أيديولوجية سياسية Ideology Political، ويُستخدَم لمصالح سياسيّة وعسكريّة.

6 ـ انتقادات الإسلام للغرب مرفوضة.

7 ـ المعاداة المُوجَّهةُ للإسلام تُستخدمُ لتبرير عمليات التمييز ضد المسلمين واستثنائهم من المجتمع السائد.

8 ـ النظر إلى معاداة المسلمين على أنها عادية وطبيعية.

ويزعم البعض أنّ السببَ في ظهور مصطلح (إسلاموفوبيا) هو تزايد الحركات الإسلامية المعادية للغرب، التي إما أن تكون قد تسلمت السلطة في بعض البلدان، مثل: إيران، والسودان، وأفغانستان، أو مارست تأثيراً قويّاً على سياسة الحكومة في بلدان أخرى.

ويزعم البعض أنّ السببَ في ظهور مصطلح (إسلاموفوبيا) هو تزايد الحركات الإسلامية المعادية للغرب ، التي إما أن تكون قد تسلمت السلطة في بعض البلدان ، مثل : إيران ، والسودان ، وأفغانستان ، أو مارست تأثيراً قويّاً على سياسة الحكومة في بلدان أخرى .

ويُزعَمُ أحياناً أنّ تزايُدَ عدد المسلمين الأمريكيين والأوربيين عاملٌ يقود إلى الإسلاموفوبيا . ولعلّ أهمّ العوامل التي ساهمت في تشكُّلِ موجَاتِ الرُّهاب الإسلاميّ الموجودة حالياً منذ عام 2003 ذلك التأثير الهائل الذي يقوم به الإعلام الغربي والأمريكي في مُتابعةِ ما يُسمّونه الإرهابِ الإسلاميّ إذا ما قيس بالعمليات الإرهابية التي يقوم بها غير المسلمين ، ولا تلقى القَدْرَ نَفْسَهُ من الاهتمام.

الإسلام .. الصورة كما رسمها الغرب

الصورة التي يرسمها الغرب (الأوروبي / الأمريكي) حديثاً عن الإسلام والمسلمين ليست جديدة. إنها صورة قديمة متجدّدة ، صورةٌ تنحدر من القرون الوسطى ، بظلامها القاتم ، وروائحها العفنة. صورة قاتمة مشبعة بالكراهية والحقد. تلك الصورة التي يعبّر أحياناً عنها الباحثون في التاريخ الثقافي للشعوب بـ (الشرق). أو الشرق كما يرتسم في الخيال الجمعي Collective Imagination للغرب ، أوكما ينعكس على صفحة مرآته.

الشرق لا باعتباره الجغرافيّ ، لأن تلك مسألة نسبية، إذ إنّ كلّ شرقٍ هو غربٌ لشرقٍ آخر. الشرق في ثقافةِ الغرب ، منظومةٌ فكرية، تراث، تاريخ بلغ أوجَهُ في الحضارة الإسلاميّة. الشرق في ثقافة الغرب قديماً وحديثاً يختزلُ كلّه في الإسلام.

وبأسلوبٍ بعيدٍ عن التعقيدات الجدلية، الشرق مرادف للإسلام عندهم، وإن حاولوا أن يُظهروا غير ذلك، وهذه حقيقة. ويمكن أن نتبيّن ذلك بإلقاء نظرة سريعة على جهود المستشرقين التي يفترض أنها تنصبّ على الشرق الجغرافي، ولكنها في واقع الحال يدور معظمها حول الإسلام والمسلمين، وكأنه لا شرق ولا مشارقة غير الإسلام والمسلمين. وليس ذلك من باب المصادفة، بل لأنّ الغرب يدرك تماماً أن الإرث الإنساني يقاس بمقدار تأثيره في الواقع الحي. وهذا لا يُعرفُ في ثقافاتِ الشّرق إلا في الإسلام، لا لأنه ثقافة بل لأنه دين. والدين أشمل من الثقافة ولذلك ظلّ الدين واندثرت الثقافة. ومع ذلك فإن تراث الإسلام، بشقيه الروحي ويمثله الوحي، والمادي وتمثله الحضارةُ الإسلاميّة، هو التراث الشرقي الوحيد الذي لا يزال ينبض بالحياة، وتسري روحه في مفاصل أهلِه. لا شكّ أنّ الشرقَ كان يحفلُ بميراثٍ كبير، لكنّ ذلك لا يعدو كونه ثقافةً ميّتةً لا تُحْدِثُ أثراً يُذْكَرُ في حياة الناسِ الراهنة، من كونفوشيوسية، وزرادشتية، وبوذية، وكذا فرعونية، وبابلية، وآشورية. كلّ ذلك تراثٌ محنّطٌ داخل صناديقَ زجاجيةٍ مودعة في رُدهات المتاحف، يتمتع برؤيته الزوّار من حين إلى آخر من باب الفضول.

لقد رَسَمَ الغَرْبُ (الثقافيّ)، باعتباره منظومةً فكريّةً تبدو إلى حدّ ما متجانسة، صورةً لهذا الشّرق كما رأوه، أو كما أحبّوا أن يروه على رأي إدوارد سعيد.

هذه الصورة التي تشكّلت في رحِم العصور المظلمة، هي بواكير الإسلاموفوبيا التي نراها اليوم. المنظر نفسه، والألوان نفسها. فالقرآنُ : افتراءات، وأباطيل، وآيات شيطانية. ونبي الإسلام : مخبول، ومصروع، ومهووس بالجنس، ومفتر، ومخادع، وكذّاب، ومسيح دجّال. والمسلمون والعرب على وجه الخصوص : بدو، وهمج، ورعاع، وأكلة لحوم البشر، قذرون، ويشربون الدم، ويتطيّبون بالنجاسة. والإسلام: محمديّة، وهاجريّة، وفي أحسن الأحوال هو نسخة مشوّهة من اليهودية والمسيحيّة.

من صنع هذه الصورة القاتمة ؟

هذه الصورةُ اشتركت في إبداعها مؤسّساتٌ متعدّدة، وعلى مستوياتٍ زمانيةٍ ومكانيةٍ مختلفة. فهي مزيجٌ من رؤى لاهوتيةٍ، وأيديولوجيةٍ، وأدبيّة فنيّة، وانثروبولوجية.

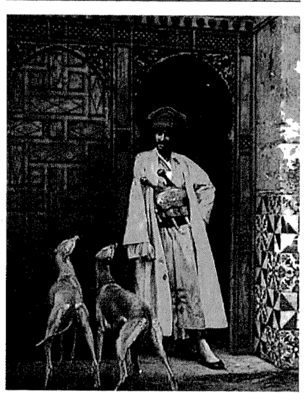
فالصورة اللاهوتية Theological image هي أقدم الصّور، وتمثلها فئةٌ متطرّفة من المؤسسةِ الكنسية من

قساوسة ورهبان قديماً، وبمنصّريها وإرسالياتها التبشيرية حديثاً. وهذه الصورة انطلقت من موقفٍ دفاعٍ عن المسيحيّة التي يرى بعضُ القساوسةِ أنّ الدّينَ الجديدَ يتهدّدُها. وأمعنوا في تشويه الدّين الجديدِ بسبب ما يراه البعضُ إخفاقاً في مواجهته عقدياً من جهة، وبسبب الخوف من تصدّعِ الكنيسةِ في نفوسِ عدد كبير من رعيتها، وخوفاً من أن يتحوّلوا إلى أريوسيين جدد إذا لم ينقلبوا إلى الإسلام من جهة أخرى. ولذلك جيّشت الكنيسةُ الجيوشَ وزحفت إلى بيت المقدس تتقدمها راياتُ الصليب، بحجة تحرير الأرض المقدّسة من أتباع الدين الجديد عبّاد الصنم، بالرغم من أنّ أوّلَ أهداف هذا الدين تحطيمُ الأوثانِ، ونبذُ الشّرْك.

وظلّت الرؤيَةُ الكنسيّة القروسطية للإسلام سائدة حتى وإن تدثّرت بلبوسٍ أخرى تحت مسميات متعدّدة. فصورة الإسلام والمسلمين في نظر المتطرّفين من النصارى هي هي لم تتغيّر منذ الحروب الصليبية إلى الآن، فهي قاتمة مظلمة، متوحّشة، بدائية، شيطانية...الخ.ولعلّ أوضحَ شَاهدٍ على ذلك تلك المؤتمرات المتواصلة، والتي لم تنقطع، لتنصير العالم الإسلامي، وربما كان أقربها إلى يديّ المؤتمر التبشيري الذي عُقِدَ في مدينة جلين آيري بولاية كلورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1978. وهذا المؤتمر، كما تفصح البحوث التي ألقيت فيه وقد قام بترجمتها إلى العربية ونشرها مركز دراسات العالم الإسلامي، يُعبّر عن مخططٍ منظّمٍ لتنصير العالم الإسلاميّ لا سيّما في تلك البقاع التي يصفونها بأنها ز معاقل الشيطان الحصينة كشمال أفريقيا، حيث تستعصي هذه البلدان على التنصير، لتمتعها بدرجة عالية من المقاومة كما ورد في بحوث المؤتمر المشار إليه (أنظر، بحث ك. م. ليفنجستون : مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في شمال أفريقيا). وقد أكّد كثيرٌ من الباحثين في هذا المؤتمر إخفاق









العربي الدموي الذي لا يعرف الشفقة

الكنيسة في تنصير المسلمين بالوسائل المعتادة، بل ذهب أحدُهم، وهو آرثر.ف. كلاسر إلى أنّ المنصِّرين أنفسهم:

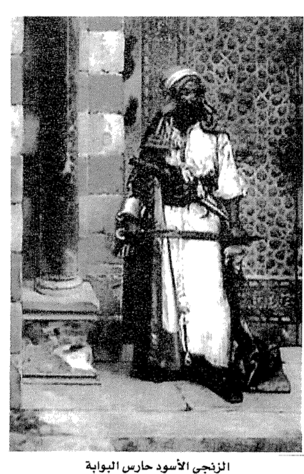
«وقفوا بكلّ رهبة أمام المسلم المنهمك في عبادة الله، وقوته، وعظمته. وتجاوبوا مع التزامه المحسوس للخضوع لرغبة الله الغامضة. إنهم يحسدون غيرة المسلم على عبادة الرب الواحد الذي يتصرّف في ملكوته، ليس كما يفعل شيخ مستبدّ من الصحراء... من المؤكد أن يقول هؤلاء الرجال : إن مثل هذه القوة والخشوع لله تفوق تقواهم هم ».

ونتيجةً للإخفاق المتكرر للمتطرفين من أتباع الكنيسة في هدم معاقل الإسلام من خلال ترويجها لـ(اللاهوت الكنسي) عمدت إلى أساليب القرون الوسطى لتشويه الإسلام ودمغه بكل شائبة ونقيصة. ولم تراعِ تلك الأساليب المتحاملة أدنى أشكال الموضوعية، وهي الموضوعية الأخلاقية Ethical Objectivity التي تقرّر أنّ الكراهية وعدم المحبة إن أجازا تَسَقّطَ عيوبِ الخصم، فإنهما لا يجيزان أخلاقياً الافتراء عليه بما ليس فيه، لأنّ ذلك يقع في دائرة الكذب.

ومن هنا لم يترك المتطرفون من أتباع الكنيسة سبيلاً للنيّل من الإسلام، حتى بلغَ ببعض رؤوس قساوستهم أن نادوا علناً بإبادة الإسلام بإبادةِ أهله، زاعمين أن ذلك واجب إنسانيّ إن لم يكن دينيّا، من أجل تخليص العالم من شرور هذا الدين. ولذا ظلّت صورة المسلم والعربي في عين الرجل الأوروبي قاتمة، وقبيحة، كما رسمها أسلافهم، رهبان الكنيسة وقساوستها منذ قرونٍ خلت. فهو الزنجيّ الأسود، حارس البوّابة، أو القصر، أو الحريم. وهو الغبي، والنتن، والدمويّ الذي لا يعرفُ الشفقة. وهو حليف الشيطان، ونصير الشرّ الذي يجب أن يطرد من ملكوت الله ورحمته. فتحوّل كلّ ذلك إلى نوعٍ من الإسلاموفوبيا.

وأمّا **الصورة الأيديولوجية**، فقد رسمها المستشرقون بمدارسهم المختلفة. وهي صورةٌ تتراوح ما بين الغلوّ وبعض الاعتدال، وإن كان الاعتدال فيها قليلا. والاستشراق القديم أكثر سطوةً وتحاملاً على الإسلام، ربما لأن الاستشراق القديم متداخلٌ مع التنصير، وأكثر المستشرقين كانوا قسيسين ورهبانا. والاستشراق أكثر تأثيراً من التنصير، الذي يُعلنُ فشلَه في كلِّ مناسبة، ربما لأنه أكثر استعدادا، وأحسنُ تجهيزا. والمجتمعات الإسلامية من المنصّرين، وهم أيضاً أكثر معرفةً بلغة العرب. وأوشك الاستشراق في الربع الأخير من القرن العشرين أن يكون أكثر قرباً من الإسلام لولا تسارعُ الأحداث، فالمستشرقون أعلمُ بالإسلام في العالم، تلك الأحداث التي تركت آثارها بشكل أو بآخر على المؤسسة الاستشراقية التي أعلن أربابُها في آخر مؤتمرٍ للمستشرقين (موتَ الاستشراق).

والصورة التي رسمها الاستشراق للإسلام ذات ملامح سلبية، فالعقلُ الإسلاميّ غيرُ منتجٍ وهو عَدُوُّ الإبداع والابتكار، وهو رهين التقليد، وأنّ أحسن ما في الإسلام ليس إلا بضاعة مستوردة من مصادر يهودية



الزنجي الأسود حارس البوابة



القصور والحريم.. نظرة استشراقية

ومسيحيّة. فالفقه الإسلاميّ بعضه يهودي، وبعضه الآخر وثني جاهلي على رأي (شاخت) وتلاميذه، وأنّ سيرة نبي الإسلام وسننه ليست إلا موضوعات اختلقتها الأجيال اللاحقة على رأي عمدتهم جولدتسيهر، وأن القرآن الذي يتباهى به المسلمون ويعدونه معجزة محمد التي لا يمكن معارضتها ليس إلا صناعة بشرية من تأليف محمد نفسه، وأنه ذو نسيج

متفكك، ومشحون بالأغلاط اللغوية والتاريخيّة على رأي نولدكه وغيره. بل ذهب بعضُ المستشرقين إلى القول بأن محمداً نفسه أسطورة، وأن الإسلامَ خرافة لا وجود له على حد هذيان (مايكل كوك وباتريشيا كرونه)، وأنه مجرد هاجرية Hagerism نسبةً إلى السيدة هاجر أم إسماعيل عليه السلام، جدّ العرب.

ولم ينفرد المستشرقون بصناعة الصورة الأيديولوجية للإسلام، بل شاركهم في تلوينها بعض المفكّرين ممن يصعب إدراجهم في سلك الاستشراق من طبقة أرنست رينان الفرنسي، الذي يردّ كلّ فكر مبدع إلى العقل الآري. لأن العقل السامي، ومنه العقل الإسلامي، عقلٌ متبلّد كليل. واهتمام رينان بتاريخ الفكر الإنساني وحده جعله يلتفت إلى الإسلام، وهو لولا ذلك ما اهتمّ به، لأنه في نظره عالم فاسدٌ لا يستحقُّ أن توجّهَ إليه العنايةُ كما توجّه إلى عبقريات الفكر الإنساني القديم، كاليونان، والهند، والتراث اليهودي. وهذا الموقف المتحامل من الإسلام يرجع إلى وقوع رينان تحت تأثيرات نفسيّة لم يستطع مغالبتها، ويفسر ذلك اعترافه في مذكّراته (المطبوعة ضمن الجزء الثالث من أعماله الكاملة) بأنّ الإسلام قد أحدث فيه انفعالاً عميقاً لدرجة أنه ما من مرّة دخل إلى مسجد إلا وتأسّف لأنه لم يكن مسلماً.

وأمّا **الصورة الأدبية** فقد رسمها فنانون وأدباء ورحّالة، شُغفوا بالشرق الإسلامي فصوروه كما يروق لهم، وكما يشبع نهمهم. فلم يروا في الشرق إلا الفنتازيا، والسحر، والشعوذة، والبخور، والجنس، والشذوذ، وليالي ألف ليلة وليلة، وعالم الرق والعبيد، والحريم، والحجاب، والحمامات البخارية، والعمامة، والطاقية المغربية، والطربوش التركي، وسيف



عالم الحريم كما يراه الغربيون

الـجـلاد، والـمـزهـر والمزمـار، والجمـل، والخيـام، والصـحــراء. ولـعــلّ رحــلات ريــتشــارد بيرتـون Richard Burton إلى مصر والحجاز، وروايات وليام بيكفورد William Beckford، وترجمة أنطوان غالان Antoin Galland لقصة ألف ليلة وليلة، ورسائل لورنس العرب Lawrence of Arabia وأعمدة حكمته السبعة، وغيرها كثير لعبت دوراً في رسم الصورة النمطيّة للإسلام والمسلمين. وربما كانت الرسومات الإستشراقية أكثر تأثيراً في العقل الأوروبي من الأدب، حيث تفننت في تعرية المرأة الشرقية المسلمة، وتصويرها في حالة شبق وفجور، كما تفننت في كسر أسوار عالم الحريم، وصوّرت ما يجري في داخله من شبق وفجور.

كما صوّرت الشرق الإسلامي المتوحّش كما يبدو في أسواق النخاسة، ومن يتأمّل في لوحات جان ليون جيـروم، ويـوجـين دي لاكـروا Eugene Delacroi، وهنري رينيو Henry Regnault، وجـون فـريـدريك لـويس John Frederick Lewis، وجــان اوغست دومينيك انغر Jean Auguste Dominique Ingres الذي لم يزر الشرق أبداً ولكنه استوحى رسوماته من كتب مونتيسكيو ورسائل الليدي مونتاغو.

ولعلّ كتاب رنا قباني «أساطير أوروبا عن الشرق Europe's Myths of Orient» من أحسن الكتب التي عـالـجت مـوضـوع الصـورة المشـوهـة عـن الإسـلام والمسلمين وأمتعها.

وأمّا الصورة **الأنتروبولوجية** (الإناسة) وإن بدت في الظاهر صورةً ذات سمت علمي، إلا أنها تخفي في باطنها عداءً لاهوتياً. وليس بمستغربٍ أن يكون ذلك من علمٍ وصفه بعضُ الباحثين الغربيين بأنه قـرين الاستـعـمـار، وأن أكثـر الإنـاسـيـين هـم ربـائب الاستعمار. وقد عنوا بدراسة مجتمعات أُطلقَ عليها وصف (البدائية) حيناً، و(المتوحشة) حيناً آخر. أيّ أنها بمعنىً ثانٍ صالحة لسيطرة الاستعمار، وأنها



سيف الجلاد كما رسمها فنان أوروبي



من فيلم لورنس العرب

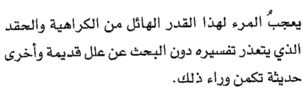


حقول خصبة للتجارب، فضلاً عن استغلال مواردها وثرواتها تحت حجج ومبررات واهية. ولعلّ كتاب (الأنثروبولوجيا والاستعمار) لجيرار لوكلرك Gerard Leclerc من أحسن ما كُتب في إماطة اللثام عن العلاقة بينهما.

ولذلك ليس غريباً أن نجد أشهر أنثروبولوجي هو كلود ليفي شتراوس يصنّف الإسلام في كتابيه المشهورين (الفكر المتوحش) و (المدارات الحزينة) ضمن الديانات البدائية.

لماذا الخوف من الإسلام ؟

لم يعرف التاريخُ القديمُ ولا المعاصرُ عقيدةً تعرّضت للتشويه المنظّم كما تعرّض الإسلام. وقد



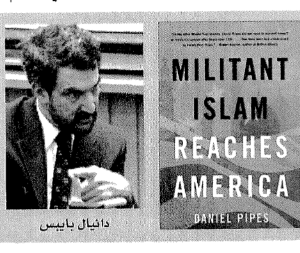
يعجبُ المرء لهذا القدر الهائل من الكراهية والحقد الذي يتعذر تفسيره دون البحث عن علل قديمة وأخرى حديثة تكمن وراء ذلك.

من الواضح أنّ الإسلام ليس ديناً ميّتا، أو عقيدة معطّلة. إن تداعي الأحداث وتسارعها في العقود الأخيرة ينبئ بأنّ المستقبل لهذا الدين. دعك مما يُلصقُ بِهِ من افتراءات مشينة سواء بسبب سلوك بعض أهله، وأكثره سلوكٌ جاء ردّاً على ما تعرّض له هؤلاء من قمْعٍ واستبداد، أو بسبب برامج منظّمة تخطط لها مؤسسات، ومنظّمات، وحكومات، ودول، قديماً وحديثا. لقد أدرك خصوم هذا الدين جملةً من الحقائق :

الأولى: أن هذا الدين عصيٌّ على الانقياد. وقد برهنت تجارب الغرب العملية على ذلك.

والثانية: تنامي هذا الدين وتعاظمه في أرجاء المعمورة بشكلٍ يثير الانتباه.

والثالثة: إفلاس البدائل. وأنّ العالم اليوم في شوقٍ شديد للتجديد لا سيما بعد أن يئِسَ من حضارة العصر الحديث التي باتت تُعْلِنَ عن (موت الإنسان)، وأن قيمة الإنسان بدأت تتدنى إلى مستوى مريع يستوي فيه الآدمي مع الدواب. والأمر الذي حيّر الباحثين زحف الإسلام على أمريكا وأوروبا بشكلٍ مذهلٍ حتى أخذ بعضهم يقرع نواقيس الخطر منبّهاً، وبعضهم يكتب في ذلك كُتُباً تحمل عناوين، مثل : (الغزو الإسلامي: مجابهة أسرع الأديان نمواً في العالم



دانيال بايبس

(Islamic Invasion: Confronting the Word's Fastest Growing Religion) لروبرت موراي Robert Morey، و(الإسلام المسلّح يصل إلى أمريكا Militant Islam Reaches America لدانيال بايبس Daniel Pipes، و (فرنسا تحت خطر الإسلام) للكاتب الفرنسي روني مارشان. وهذا ما جعل سياسياً فرنسياً من المروّجين للإسلاموفوبيا وهو جـان مـاري لوبـان Jean Marie Le Pen، يحذّر من خطر توالد المسلمين في فرنسا، حيث يقول في مقابلة أجرتها معه أخبار هآريتس اليهودية News Ha'aretz بتاريخ 22/4/2002: «إنهم، المسلمون، يتزايدون سكانياً، سواء بالإنجاب الطبيعيّ أو بالهجرة إلى فرنسا، ممّا يُقوي من عزلتهم العرقيّة العنيدة، وطبيعتهم المستبدّة. هذا هو عالم الإسلام بكلّ زيغه وضلاله».

والرابعة: انتصار الغرب تكنولوجياً، وهزيمته ايديولوجياً.

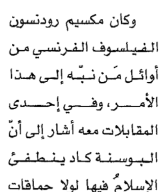
والخامسة: الإسلام دين ديناميكي (حركيّ) بطبعه.

وقد أخطأ الغرب إذ هيّجه فأخرجه من دائرة السكون إلى دائرة الحركة. لأن الإسلام كلما استُفِزّ قَوِي، والتفّ أهلُه حوله حتى غير الملتزمين منهم. ومن يتأمل في تاريخ الإسلام يكتشف أن أكثر حركات التحرر الإسلامي جاءت بعد رقادٍ طويل انقطع بفعل التّحرّش به.





روبرت موراي



ماكسيم رودنسون

وكان مكسيم رودنسون الفيلسوف الفرنسي من أوائل مَن نبّه إلى هذا الأمر، وفي إحدى المقابلات معه أشار إلى أنّ البوسنة كاد ينطفئ الإسلامُ فيها لولا حماقات الصرب.

وقد أثار انتباهه يوماً دخولُ أحد الطلاب البوسنيين الذين يدرسون على يديه بعد انتهاء الحرب البوسنية وقد أطلق العنان للحيته وكان من قبلُ ماركسياً لا يؤمن بدين. فسأله عن ذلك، فأجاب الطالب : إنهم يقتلوننا لأننا مسلمون. فسعيت لمعرفة هذا الذي يقتلوننا من أجله، فاكتشفت عالماً قد غُيّب علينا منذ أمدٍ بعيد.

هل الإسلاموفوبيا خير وسيلة لمحاربة الإسلام ؟

ليس ثمة شكّ البتة في أن الغرب وأمريكا يعرفون عن الإسلام الشيءَ الكثير، وربما أكثر مما يعرفه عنه المسلمون أنفسهم. وقد توسلوا سبلاً متعددة ومتنوعة لمجابهة ما يظنونه خطراً داهماً. فذهب بعضهم إلى أنّ الأولى في معالجة هذا الأمر تجاهله وعدم إثارته لأن الاصطدام به مباشرة سيولّد في معتنقيه حالةً من التحدي والاستنفار ما لا قِبَلَ لخصومه به. ورأى فريقٌ ثانٍ أنّ التعاملَ مع هذه الظاهرة يكون بالإمعانِ في تشويهه وحرقه، ووصمه بنعوتٍ سيئة، كالإرهاب، والأصوليّة، واستعباد المرأة، وبالتشكيك في القرآن، وما شابه ذلك. ورأى فريقٌ ثالثٌ أن لا سبيل لوقف مدّ الإسلام إلا بشنّ حربٍ كونيّةٍ عليه يقسّم فيها العالم إلى محورين: الخير والشر. وهذا الأخير هو مطلب بعض السّاسة الأمريكيين والأوروبيين الواقعين تحت تأثيرات الصهيونية ـ الإنجيليّة التي شرعت في تهويد

الكنيسة، وتبرئة اليهود من دم المسيح، والاعتراف بالتراث التوراتي وإدخاله في التراث المسيحي، والإسراع بعودة المسيح التي لن تتحقق إلا بعد إقامة دولة صهيون وبناء الهيكل المزعوم على أنقاض الأقصى. وحتى تتحقق نبوءة يوحنّا اللاهوتي التي جاءت في الإصحاح السادس عشر من رؤياه الملحقة بكتاب العهد الجديد، لا بد من حرب مدمّرة تحدث «زلزلة عظيمة لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض، وتصير المدينة العظيمة ثلاثة أقسام، وتسقط مُدنُ الأمم، وتسقط بابل العظيمة، وتهرب الجزر، وتباد الجبال، وينزل بَرَدٌ عظيم من السماء على الناس»، وتفسّر الصهيونية ـ الإنجيلية هذه الرؤيا بأنها حربٌ نووية مدمّرة يعقبها شتاءٌ نووي وهو المراد بالبَرَد في الرؤية.

كلّ ذلك سيحدث في موضعٍ بفلسطين اسمه (هرمجدّون). لم تلبث هذه الأوهام، والهوس لإشعال العالم، أن تحوّل إلى أعمال دراميّة لتهيئة النّاس لما قد يدبّره هؤلاء المهووسون تحت شعار تخليص العالم من الشرور التي يتصدرها الإسلام وقد روّجت شبكة الثالوث المقدس التلفزيونية TBN لشريط يحمل اسم شفرة أوميغا Omega Code يحمل النبوءات الإنجيلية، ويصوّر تفجير المسجد الأقصى.

ويزعم أن سرّا محكوماً بشفرة يوجد بالأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم، ومن يضع يده عليه سوف يُسيطرُ على العالم. وكتابات هال لندسي Hal Lindsey التي تحوّل بعضها إلى أفلام سينمائية، من هذا القبيل، وهي كتب لها رواجٌ عند بعض المهووسين بتدمير العالم. ومن أهمّ كتب لندسي:

❖ الأرض، ذلك الكوكب العظيم الأخير:
The Late Great Planet Earth، وقد طُبِعَ 108 طبعات، وبيعت منه 18 مليون نسخة.

❖ كوكب الأرض: الفصل الأخير:
Planet Earth: The Final Chapter.

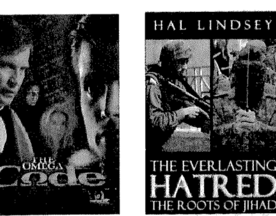
❖ العدّ التنازلي لـ(هرمجدّون):
Countdown to Amageddon

تمثّل هذه النزعة المحمومة لتفجير العالم باسم النبوءات التوراتية والإنجيلية، وإدخال العالم في حالة من الفوضى مرحلة من المراحل النفسية التي تنظمها قوى الشر الخفيّة لمحاربة الإسلام والتخويف منه. ولذلك لا نعجب من هال لندسي إذ يقول في كتابه كوكب الأرض: الفصل الأخير ص 5: «إن الخطر الأعظم الذي يتهدد الحرية والسلام العالمي اليوم هو الأصولية الإسلامية.. وأن السلم مع إسرائيل يمكن أن يتحقق، فقط إذا سلّم العرب بأن طموحاتهم العسكرية والاقتصادية لن تتجاوز إسرائيل وهذا يحتاج إلى معجزة».

ومن أهم كتب هال لندسي التي تدعو إلى تأجيج الحقد والبغضاء كتابه الذي يحمل عنوان (الكراهية الأبدية: جذور الجهاد:
(The Everlasting Hatred: The Roots of Jihad)

ولا يرى هذا الكاتب بأساً من أن يقول إن هذه الكراهية عمرها أكثر من 4000 سنة، وأنّ هدف الأصولية الإسلامية تغيير النظام العالمي اليهودي المسيحي بنظامٍ عالمي إسلامي، وأنه ينبغي لكلّ أمريكي أن يدرك فداحة هذا الخطر الذي نواجهه ولماذا.

وبهذا الكتاب استحقّ هال لندسي بجدارة أن يُطلقَ عليه لقب (كبير دعاة الإسلاموفوبيا).





الإسلاموفوبيا الجديدة هدف استخباراتي

(الإسلاموفوبيا الجديدة)

La nouvelle Islamophobi

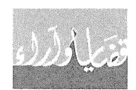
عنوان دراسة للمفكر الفرنسي فانسن جيسير Vincent Geisser, من منشورات لاديكوفيرت، 2003. في هذا البحث يفضح الكاتب مافيا الثقافة في فرنسا، التي تقوم بخدمة أهداف استخباراتية محض. ويرى فانسن جيسير أن اصطلاح (الإسلاموفوبيا) من اختراع كتّاب ومفكّرين لهم ارتباطات وثيقة بأجهزة الاستخبارات، وقد عملوا في سلكها مقدّمين خدمات متعددة لها سواء في تجميع المعلومات، أو تحليلها، أو تتبع الظواهر السياسية المختلفة، أو تقديم البحوث والاقتراحات لمعالجة بعض القضايا، وكلّ ذلك يجري تحت مسميات مختلفة، وتحت ستار العلم، والبحث العلمي. ويفضح الكتاب رؤوساً كبيرة في حقل المعرفة تورطت في مثل هذه الوظائف القذرة، مثل: ميشيل تريبالا، تاغييف، تريغانو، وغيرهم. ومن الكتاب الذين لمع نجمهم بشكلٍ سريع بفعل تسليط الأضواء عليه من قبَل بعض المؤسسات الكسندر ديل فال. وهو كاتب فرنسي يميني مغمور. في سنة 1997 نشر أوّل كتاب له بعنوان (الإسلامية والولايات المتحدة. تحالف ضد أوروبا)، ويتحدث فيه عن تحالف مزعوم بين الأصولية الإسلامية وأمريكا من أجل القضاء على أوروبا، وهي مزاعم كذبتها الوقائع الراهنة. ويحذّر فانسن جيسير من خطورة محاربة المفكرين المتخصصين في فهم الإسلام، والذي يُطلَق عليهم اسم (الإسلامولوجيون)، من خلال اتهاماتٍ توجهها إليهم مافيا الثقافة في فرنسا لأنهم ينادونَ بدراسة الإسلام موضوعيّاً. وبذا أصبح البحث عن الحقيقة التي غابت في زوبعة محاربة الإرهاب العالمي تهمة قد تطاول أي مفكر حر مستقل. ويرى جيسير أن بعض المؤلفات التي صدرت حديثاً لثلّة من الكتاب الفرنسيين تندرج تحت مسمى (إسلاموفوبيا)، ومن هؤلاء: ف. إنسيل في كتابه (الجغرافيا السياسية ليوم الفناء: الديموقراطية تحت بلاء الإسلاميين) وهو من منشورات دار فلاماريون، بباريس سنة 2002. يقول إنسيل في كتابه هذا (ص 157): «في موقع جيوسياسي، وبتركيب اجتماعي، تحتل فرنسا صدارة المعركة ضد الإسلاميين. ويشكّل ملايين المواطنين المسلمين ذوي الأصل العربي أهدافاً مفضّلة من النوع الرفيع لدعاية محليّة أو قادمة من الخارج لا يتوقف نشاطها. وليس أدلّ على ذلك من انتماء عشرات الفرنسيين المسلمين إلى تنظيم القاعدة، وبعضهم يوجد في قلب النواة الأفغانية».

وإذا انصرفنا قليلاً عن مافيا الثقافة في فرنسا كما يصوّرها فانسن جيسير إلى مافيا الثقافة في أمريكا، أو بريطانيا، أو استراليا سنجد النغمة نفسها تصدر عن أبواق مماثلة، وربما نجدها أكثر إعلاناً عن انتماءاتها لمؤسسات أمنية.

أخيراً.. لماذا الإسلاموفوبيا ؟

الإسلاموفوبيا من الظواهر السياسية التي لا يعجز المرء، بصرف النظر عن تكوينه الثقافي، عن فهم أسبابها، وكشف عللها. بل ربما ليس من المغالاة إذا قلنا إنها أكثر الظواهر الجيوسياسية عرياً. ويكاد يُجْمِعُ الباحثون على أنّ أسبابها هي :

- البحث عن عدو جديد بعد انهيار المعسكر الشيوعي، وتفكك جمهوريات الاتحاد السوفياتي.
- نهوض المجتمعات الإسلامية، وحدوث صحوة أقلقت العالمين الغربي والأمريكي، حيث يشكّل هذا عائقاً أمام مصالحهما في بلاد الإسلام التي تتمتع بأكبر مساحات جغرافية، وأغنى مناطق نفطية، وأخطر مواقع استراتيجية.
- تكاثر أعدادَ المسلمين في أوروبا وأمريكا، وتزايد معدّلات اعتناق الإسلام بشكل ملحوظ.
- صعوبة انقياد المسلمين، وتعذّر تذويبهم في المجتمعات الغربية، لأن المسلم حريصٌ على المحافظة على هويته الدينية والثقافية. ولذلك يشق على الغربي أن يرى مسلماً يسير بجلبابٍ في شارع اكسفورد بلندن، أو أن يرى محجّباتٍ يسرن في الشانزليزيه بباريس.



الإسلاموفوبيا

الصورة النمطية (المقولبة) في الإعلام الغربي

الصورة النمطية Stereotypical Image/ Portrayal هي الصورة التي يرسمها فرد، أو مجتمع، أو مؤسسةٌ ما للآخر سواء أكان إنساناً، أو ثقافة، أو ديناً، وفق الموروثات التي يحملها المصوّر بصرف النظر عن كونها مطابقة للواقع أم مغايرة له. والصورة النمطية صورةٌ سلبية في الغالب لأنها لا تعكس إلا ما يحبّ مصوِّرُها أن يرى. وبمعنىً آخرَ هي الصورة الموروثة غير القابلة للتغيير. وقد لعب هذا التصوير النمطي Stereotyping دوراً سيئاً في رسم ملامح الإسلام والمسلمين، محدثاً أثراً قبيحاً في نفوس الآخرين. وتكمن خطورة الصورة النمطيّة عندما يُوظّف لترويجها الأدوات الإعلامية الجبارة من: إذاعة، وتلفزيون، وخيالة، وصحافة، وإنترنت، ورسوم أطفال، ورسوم ساخرة. فتشيع في الناس وكأنها حقائق لا يرقى إليها أدنى شك.

وقد أحسّ كثيرٌ من المفكّرين بخطورة هذا التنميط الذي يساهم في خلق الكراهية، وتزايد الحقد بين الشعوب والثقافات والأديان، الذي يفضي في نهاية المطاف إلى اتساع رقعة العنف، فكتبوا في ذلك كتباً قيّمة، مثل كتاب:

❖ الرؤية المتشظية (المنقسمة): صورة العرب في الإعلام الأمريكي:

Arab and Muslim Stereotyping in American Popular Culture

قام بتحريره البروفيسور إدموند غريب Edmund Ghareeb، وقد صدر عام 1983 عن مجلس الشؤون العربية الأمريكية.

ومن أهمّ ما كُتِبَ في هذا الموضوع مؤلّفات البروفيسور جاك شاهين Jack Shaheen الذي صرف وقتاً طويلاً من عمره في بحث هذه الظاهرة وتحليلها. ومن مؤلفاته التي تُعدّ مراجعَ مهمّةً في رصد الظاهرة وتتبعها:

1ـ عرب التلفزيون The T.V Arab

2ـ التصوير النمطي للعربي والمسلم في الثقافة الأمريكية الشعبية:

Split Vision: The Portrayal of Arabs in the American Media

3ـ العرب الأشرار: كيف تشوّه هوليوود سمعة شعب.

Reel Bad Arabs: How Hollywood Villifies a people

يقول د. جاك شاهين في مقدمة كتابه (التصوير النمطي):

«ما زلت أتذكر الأسلوب الذي بسط فيه جيمس بيرغ James Paerg مدير البرامج في تلفزيون CBS يوم جئت لمقابلته لأسمع رأيه في عملية التنميط (القولبة) Stereotyping في سنة 1974، حيث قال: «أعتقد أن تصوير العرب بصورة نمطية مسألةٌ جذّابةٌ لعدد من النّاس، والقيام بذلك أمرٌ سهل. وأنّه الشيء الأكثر قبولاً عند عدد كبير من المستمعين، وهذا الشيء يشبه توظيف الجنس، والعنف، عندما تكون الأحداث رتيبة». ولم يتغيّر شيءٌ كثير منذ ذلك

الحين، فالدراسات تثبتُ أنّ الأوصافَ والصّورَ الشنيعةَ والماكرة للعرب هي ضريبة السلعة. فالعرب والمسلمون ما زال يُنظَرُ إليهم باعتبارهم «الآخر» الثقافيّ المُهَدِّدَ. يقول جون ايسبوزيتو John Esposito في كتابه (التهديد الإسلامي: حقيقة أم أسطورة) ص 5 : «والراية الخضراء (واللون الأخضر رمز الإسلام) قد تكون بديلاً عن الراية الحمراء (واللون الأحمر رمزٌ للشيوعية)... والإسلام يصنّف في الغالب مع التعصّب والكراهية، والعنف، وعدم التسامح، وقمع النساء». وفي مقابلات أجراها بولستر لويس هاريس Pollster Lewis Harris مع 3000 شخص: آسيويين، وسود، ولاتينيين، وبيض سألهم عن الصورة النمطية السلبية، فكانت النتائج على النحو الآتي: 42 ٪ يتفقون مع عبارة «المسلمون ينتمون إلى دين يغتفر الإرهاب أو يؤيده»، 47 ٪ يتفقون في أن «المسلمين معادون للغرب، ومعادون لأمريكا»، 62٪ يتفقون مع مقولة أن المسلمين «يعزلون النساء ويضطهدونهن». ويعرّف كتّاب التقارير الإعلامية وصنّاع الصورة الجهاد بأنه «حرب مقدّسة» وهو تعبير صليبيّ تولّد في رحم الكنيسة. وثمة اصطلاحٌ آخر أسيءاستخدامه، وهو (الأصولية) Fundamentalism حيث لا يوجد مقابل دقيق له في العربية. يقول الأستاذ شاهين: «وبالرغم من أن (الأصولية) اصطلاح أمريكي يراد به البروتستانت الذين فهموا الإنجيل بشكل حرفي، إلا أن الصحافيين ينعتون المسلمين بأنهم أصوليون، والأصولية تصنّف في مستوىً واحد مع التعصّب». ويقول بيتر جينينغ Peter Jenning من تلفزيون ABC للأستاذ ستيوارت هوفر Stewart Hoover من جامعة كولورادو (في حوار شخصي في 5/ 10/ 1993) نقله الأستاذ شاهين في مقدمة كتابه (التصوير النمطي): «نحن وزملاؤنا لم نقم بعملٍ جيّد في التعامل مع الإسلام. وبشكل أشمل أظن أننا لم نتعامل بشكل جيّد مع الدين. ونحن في قناة لم نتعامل بشكل جيّد مع الدين. وفي قناة ABC لم نستعمل مصطلح «أصولية إسلامية» لأننا نرى أن ذلك استعمال مغلوط Misnomer، والآخرون يستعملونه. ونحن جميعاً نحتاج إلى وعي أكبر بالدين عموماً». وقد تم التعامل مع المسلمين على أنهم كتلة واحدة دون تمييز، وجاءت توقعات الغرب على أساس نمطي أكثر منها تجريبيّ على حد قول ايسبوزيتو (التهديد الإسلامي ص 203). وربط الحوادث المختلفة التي استهدفت فيها مصالح أمريكية، مع اختلاف أسبابها وجنسيات من كان وراءها، والتعامل معها على أنها حزمة واحدة شجّع على تزايد المشاعر المعادية للإسلام، حتى إن الأمريكيين يظنون أن إيران دولة عربية. وبالرغم من أنّ أكثر المسلمين ليسوا عرباً إذ لا يشكلون أكثر من 12 ٪ من مجموع المسلمين إلا أن كثيراً من الأمريكيين يحسبون أن العرب هم المسلمون فقط. وفي استطلاع عام أجري سنة 1980 إبان أحداث الرهائن الأمريكيين في إيران أظهر أنّ 70 ٪ ممن استطلعت آراؤهم من الأمريكيين يعرّفون إيران بأنها قطر عربي، و 8 ٪ لا يعرفون هل هي عربية أم لا.

(Shelly Slade, The Image of Arab in America Middle East Journal, Spring 1991, pp. 143-162)

نقلاً عن جاك شاهين: التصوير النمطي.

وقد نبّه لخطورة الصورة النمطية الصحافي والتر ليبمان Walter Lippmann قبل سبعين عاماً إذ قال: «أكثر المؤثرات خبثاً هي تلك التي تخلق مستودعاً من الصور النمطية. فقد أُخبِرنا عن العالم قبل أن نراه، وقد تخيّلنا أكثر الأشياء قبل أن نختبرها. وتلك التصورات تتحكم بعمق في عملية الإدراك».

(Walter Lippmann: Public Opinion New York: Free Press1983,p22)

لهذا عملت الزينوفوبيا عملها في طمس الحقيقة، فصوّرت الثقافة الأمريكية في مطلع القرن

العشرين الآخر على شاشاتها بصور سيئة، فظهر الآسيوي حقيراً Sneaky ، والأسود سامبو، والإيطالي مافياوياً Mafioso، والإيرلندي سكّيراً Drunk، واليهودي طمّاعاً Greedy، والهنديّ متوحشاً Savage، والأسباني ذهنياً لزجاً كالشحم Greasy. ومع تقدّم الزمن بدأت هذه الصور الكاريكاتورية تختفي إلى حدّ ما، واستعيض عنها بنموذج آخر يمكن أن يُركبَ عليه كلّ الأقنعة. هذا البديل هو(العربي/المسلم). النموذج الذي يصور بأنه 3B's Character وهو اختصار لثلاثة أوصاف كل واحد منها يبدأ بحرف B. فشخصية العربي في السينما لا تخرج عن هذه الأوصاف الثلاثة: البليونير Billionaire، المتفجر Bomber ، ذو الكرش الراقص Belly dancer.

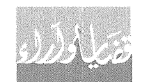
يقول سام كين Sam Keen في كتابه (وجوه العدو of the Enemy Faces ص 29): «يمكنك أن تضرب عربياً مجاناً، إنهم أعداء بلا مقابل، أوغاد بلا ثمن. بينما لا يمكنك أن تفعل ذلك مع يهودي، أو حتى مع رجل أسود».

لقد ظلّت الخيالة تصنع الأساطير والخرافات الدرامية على مدار القرن العشرين. وعملَ صنّاعها على استغلال ضحالة ثقافة المشاهد، والمستمع، والقارئ. حتى إنهم ما عادوا يكترثون إذا قدّموا صوراً مستحيلة التصديق، ليقينهم أنه لا أحد سيسأل : من ؟ لماذا ؟ كيف ؟ أو متى ؟

وينحدر إلى هذا المستوى المسفّ أن القناة الإنجليزية الرابعة بثت في سنة 1992 شريطاً لمدة دقيقتين أو ثلاث بلا تعليق يصوّر مواطنين ليبيين يرتدون الزيّ الوطني يحملون هراوات وينهالون على عجل البحر (الفقمة) Seal تحت نخلة. فهل يجهل المواطن البريطانيّ وهو أقرب جغرافياً إلى شمال أفريقيا من الأمريكيين أن عجل البحر لا يعيش إلا في الأصقاع الباردة، بل المتجمّدة !! وأن ثلاثة أرباع ليبيا صحراء. ربما لو استبدل الجمل بالفقمة لكان أقربَ إلى التصديق إن صحّ ذلك. لكنه من الواضح جداً أنّ ميكانيزم التصوير النمطي يعتمد كثيراً على لا مبالاة المتفرّج، وسرعة تصديقه. يقول جاك شاهين في (التصوير النمطي): «لقد تتبعت من سنة 1986 إلى سنة 1995 ما يعرض على التلفاز في ولاية سان لويس، وميسوري، وعلى قنوات الشبكات والكابل فوجدت أنّ نحواً من 15 إلى 20 شريطاً يُعرض فيها أسبوعياً يزدري العرب والمسلمين ويحقّرهم». وإذا علمنا أن أكثر شرائح المجتمع الأمريكي متابعةً لأفلام الإثارة هم جيل المراهقين، وهم الأكثر سطحية، والأكثر انفعالاً بما يشاهدون، تبيّن لنا خطورة الصورة النمطية وتحولها إلى مصدر من مصادر الإسلاموفوبيا. وفي عدد كبير من الأشرطة التي لا تعالج موضوعاً يتعلق بالعرب أو المسلمين لا من قريب ولا من بعيد، يحرص المنتجون والمخرجون على إقحام العربي والمسلم في تلك الأشرطة، فيظهر في خلفيات الشريط كالشبح، إمّا مترنحاً في حانة، أو يتهادى ببطنه المنتفخ بين أحضان مومسات في بهو الفنادق، مطلقاً قهقهات مقززة.

في عدد كبير من الأشرطة التي لا تعالج موضوعاً يتعلق بالعرب أو المسلمين لا من قريب ولا من بعيد، يحرص المنتجون والمخرجون على إقحام العربي والمسلم في تلك الأشرطة،

وأمّا الألفاظ التي تجري على لسان الأبطال في شتم العرب وسبهم فيمكن أن يصنع منها قاموس خاص، من قبيل : «كيس نفاية Scumbag» و «ابن العاهرة Son of a bitch»، و«ذبابة على غائط a fly in a piece of shit »، و «حيوانات Animals»، و«نغل/ابن زنا Bastard»، و«خنازير.. F-in pigs»، و«متوحشون Savage»، «يذبحون الأطفال Children Massacre».



هـولـيـوود
صناعة الإسلاموفوبيا

م منذ أحكم اليهود قبضتهم على مؤسسات الإعلام في العالم وفي أمريكا على وجه الخصوص وصورة العربي والمسلم لم تتغيّر، تلك الصورة التي أمعن في تشويهها ذلك الإعلام على مدى قرنٍ من الزمان. وكانت الدراسة التي أعدّها البروفيسور جاك شاهين عن الإفساد الذي أحدثته هوليوود في حق العرب والمسلمين إدانة حقيقية لتلك المؤسسات. وقد أحدث كتابه الأخير الذي يحمل عنوان :

العربي الشرير، أو كيف شوّهت هوليوود شعباً

Reel Bad Arab, How Hollywood vilifies a people

دويّاً هائلاً في أوساط النخبة المثقفة في أمريكا والعالم حيث أماط اللثام عن ظاهرة خطيرة وهي توظيف وسائل الأعلام في رسم صور مشوّهة لأمم وشعوب من أجل تحقيق مآرب سياسية دنيئة. وهذا الكتاب فجيعة حقيقية كشفت الوجه القبيح لمؤسسات إعلامية تزعم أنها تنتمي لشعوبٍ تقود العالم.

يقول دكتور شاهين في كتابه (عرب التلفزيون The T.V. Arab) «أن تكون عربياً، فإنك عرضة للازدراء والسخرية في التلفزيون تحت معنى الاستمتاع. وأرى أن الصورة المعادية للعرب تكشف عن نفسها في السياسة الأمريكية». وبالرغم من أن أكثر العرب يعيشون في مدن بعيدة عن الصحراء

كالرباط والجزائر وتونس وطرابلس والقاهرة ودمشق وبيروت والقدس وبغداد إلا أن الصورةَ التي رسختها مؤسساتُ الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة، وتلفزيون تظهر العربَ بدواً همجاً يعيشون في قلب الصحراء حيث الرمال المترامية الأطراف، وحيث الإبل والخيام. ومن عجيب أثر هذا التشويه على الساسة أن السواد الأعظم من الأمريكيين يظنون أن منظمة أوبك العالمية لتصدير النفط OPEC منظمة عربية يقودها شيوخ النفط العرب، بالرغم من أن ستةً فقط من ثلاثة عشر عضواً من أعضاء المنظمة هم من العرب.

لقد اكتشف صنّاع الإسلاموفوبيا في أمريكا والغرب أهمية توظيف المؤسسات الإعلامية لا سيما السينما التي تلعب الدور الأكبر في تشكيل ثقافة الإنسان المعاصر الذي يعزف عن القراءة والبحث بسبب تعقّد الحياة، وتفاقم مشاكل العيش. ولذا عمل اليهود على اختراع هوليوود.

ويبين كاتب يهودي هو نيل غابلر Nail Gabler في دراسة له صدرت سنة 1988 بعنوان: (الأمبراطورية التي تخصهم : كيف ابتدع اليهود هوليوود).

(An Empire of their own:

How the Jews Invented Hollywood)

أن اليهود أسسوا جميع الاستوديوهات الأمريكية السينمائية الكبرى بما فيها صناعة السينما الأمريكية متمثلةً في كبرى الشركات العالمية مثل: كولومبيا Colombia، مترو غولدوين ماير Mayer-Metro Goldwyn، ورنر براذرز Warner Brothers، باراماونت Paramount، يونيفرسال Universal، تونتيث سنشري فوكس Twentieth Century Fox.

لقد تأسست هوليوود عقب الحرب العالمية الأولى، وقام بإدارتها يهود من أوروبا الشرقية ، ثم لم تلبث أن غزاها كتّاب يهود معظمهم شرقيون. ويقول نورمان كانتور Norman F. Cantor في دراسته الصادرة سنة 1994 عن جامعة نيويورك تحت عنوان (السلسلة المقدسة تاريخ اليهود)

(Sacred Chain: A History of Jews)

إن إنتاج الأفلام وتوزيعها في هوليوود كان في الغالب تحت السيطرة الكاملة لليهود المهاجرين في الخمسين سنة الأولى من تأسيسها، وظلت السيطرة على مستوى القمة في هوليوود لليهود. وفي أوائل التسعينات من القرن العشرين سقط آخر معقل في هوليوود كان يديره غير اليهود، وهو ستوديو ديزني.

وظلت هوليوود على مدار حقبة طويلة من الزمن قد تصل إلى ثلاثة أرباع القرن تعمل بدأب على تشويه العرب والمسلمين وتصويرهم بأنهم برابرة، همج، رعاع، خونة، قذرون، جبناء. وأن اليهود أكثر تمدينا، وتسامحا، وشجاعة. ذلك التقابل الذي يسميه مؤرخو السينما أفلام الطيب والخبيث God Guy /Bad Guy وفي الستينات وحدها نجد على الأقل أكبر عشرة أفلام أُنتجت لعب أدوار البطولة فيها أمريكيون يهود مثل: بول نيومان، توني كورتيز، كيرك دوغلاس، وآخرين غير يهود مثل: يول براينر، جون واين، جين فوندا، فرانك سيناترا، شارلتون هستن، جورج بيبارد، روك هدسون، ارنولد شفارتسنغر. ودور العربي يلعبه عادةً ممثلون كومبارس من الدرجة الثالثة والرابعة، ويستحسن أن يكون قبيح المنظر لا يتعاطف معه الجمهور. وفي أحسن الأحوال يؤتى بهم من أمريكا اللاتينية، وإسبانيا، وجنوب إيطاليا ممن تشبه ملامحهم ملامح العرب، مع عدد قليل من العرب الذين لا يلعبون دوراً رئيساً في الشريط، وإنما يشكلون عادةً خلفيةً للمشاهد السينمائية .

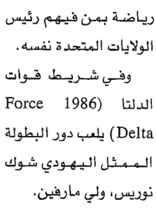
وفي مقابلة أجريت مع الممثلة جين فوندا Jane Fonda حول فيلم (Rollover) الذي عرض في عام 1981، وفيه يقوم العرب بتدمير النظام المالي العالمي، وقد لعبت فيه دور يسارية تقدمية، عبّرت بفظاظة عن موقفها المتعصب من العرب بقولها: «إذا لم نخش العرب، فمن الأفضل أن نختبر عقولنا. إن لهم سيطرةً استراتيجية علينا، وهم ليسوا متزنين، وهم أصوليون، ومستبدون، وأعداء للمرأة، وأعداء الصحافة الحرة».

إن الأفلام السيئة التي شوّهت العرب والمسلمين، والتي جذّرت الخوف من الإسلام، بلغت رقماً كبيراً جداً.

على مدار المائة عام الماضية. وقد تتبعها جميعها جاك شاهين في دراسته القيمة (العرب الأشرار: كيف شوهت هوليوود شعباً).

ونحن هنا، لضيق المقام، نكتفي بالإشارةِ إلى بعض هذه الأفلام.

ففي شريط (الهجرة أو الخروج Exodus) أنتج سنة 1960، يقتل العرب المتوحشون صبيّةً يهوديةً جذابةً في الخامسة عشرة من عمرها. وفي شريط (الأحد الأسود Black Sunday) أُنتج سنة 1977 يلعب اليهودي دور البطل بينما العرب أنذال وإرهابيون يريدون قتل متفرجين في ملعب رياضة بمن فيهم رئيس الولايات المتحدة نفسه.



وفي شريط قوات الدلتا (Delta Force 1986) يلعب دور البطولة الممثل اليهودي شوك نوريس، ولي مارفين.

وفي الشريط يظهر البطل الأمريكي الأسطوري الذي لا يقهر، ويقضي على الأعداء (العرب) المجرمين. وعلى غراره شريط (النسر الحديدي Iron Eagle 1986).

ويعد شريط (قواعد الاشتباك Rules of Engagement) من أسوأ أفلام هوليوود، ليس في أعين المسلمين فحسب، بل في أعين النقّاد الأمريكيين أنفسهم، بالرغم من أن الفيلم قد حصد مبلغاً يقدّر بـ 47 مليون دولار خلال سبعة عشر يوماً من عرضه. وقد دعت الهيئة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز ADC إلى الاحتجاج على الشريط أمام السلطات القضائية لأنه دعوى صريحة للتعصب وقتل العرب، حيث يصور حشداً من المتظاهرين حاصروا السفارة الأمريكية في اليمن . فأُرسل الكولونيل تيري شلدر من المارينز ليحرّر السفير وأسرته. فشن هجوماً على السفارة







واستطاع حماية السفير لكن ثلاثة من رجاله قُتِلوا. حينئذ أصدر أوامره بإطلاق النار على الحشود فقُتِل ثلاثةٌ وثمانون يمنياً، رجالاً ونساء. فكانت مذبحة مروّعة شرب الأمريكيون على اثرها الأنخاب مبتهجين بالنصر على المتظاهرين الذين يصورهم الفيلم وكأنهم إرهابيون قتلة لا يستحقون إلا الموت. يحكي الشريط أنّ أزمةً ديبلوماسية حدثت بين البلدين بسبب تلك المذبحة، مما استدعى الأمر أن يمثل الكولونيل تيري شلدر للاستجواب. وفي المحكمة يدّعي هذا الضابط ومحاميه أن المتظاهرين كانوا مسلّحين بمن فيهم الأطفال، ولأن بياناً صدر عن جهة اسمها الجهاد الإسلامي دعا لقتل الأمريكيين سواءأكانوا عسكريين أم مدنيين، ولذا كان قتلهم من باب الدفاع عن النفس. والشريط كما يتفق أكثر النقّاد على أنه تبرير لقتل العرب، وتهيئة الرأي العام الأمريكي لتقبّل مثل هذه الأمور إن حدثت. وها هي بالفعل تحدث في العراق، وفي أفغانستان، ولا يحرّك أحدٌ ساكنا. لأن ما يجري إجراءات مبرّرة، ودفاع عن النفس، أو بلغة بوش (عمليات استباقية).

وجاء في بيانٍ صدر عن الشركة المنتجة للفيلم: «Paramount Pictures» قواعد الاشتباك مجرد عمل درامي ورواية خيالية تبحث في عواقب التطرّف بجميع أشكاله، والفيلم ليس اتهاماً لأي حكومة، أو ثقافة، أو شعب. ولكنه استكشاف للمأساة الإنسانية والعواقب التي تحدث عندما يوضع شعبٌ من الشعوب في مواقف متطرّفة. «ولكن الطريف أن الشركة المنتجة لم تجب عن تساؤلات النقاد: لماذا سمَّت البلاد اليمن، ولماذا اليمن بالذات ؟

ويصوّر شريط أكاذيب حقيقية (True Lies) 1994 إرهابياً عربياً يحمل أسلحةً نووية، ويجب القبض عليه.

ومن الأفلام الرديئة المتحاملة على المسلمين شريط (الحصار) Siege The وفيه تقوم مجموعة من المسلمين الإرهابيين بهجومات بالقنابل على أمريكيين أبرياء، فتقوم السلطات الفدرالية بإعلان القوانين العرفية في البلاد، ومن ثمّ إلقاء القبض على المسلمين والعرب في جميع أنحاء الولايات المتحدة. وتبدأ قصة الفيلم عندما يلقي فرع من فروع الجيش الأمريكي القبض على مشبوه عربي يظن أنه العقل المدبّر للإرهاب واسمه الشيخ أحمد بن طلال. فيبلغ خبر اعتقاله إلى أصوليين إسلاميين. ولم تتلق الشرطة الأمريكية الفيدرالية إلا رسالة واحدة تقول: «أطلقوا سراحه»، ثم بدأت عمليات التفجير في نيويورك بتدمير حافلة يقتل فيها 25 مدنيّاً، ثم تفجير مسرح في برودواي Broadway، وأخذ رهائن في إحدى المدارس. يصف بعض النقّاد الفيلم بأنه نبوءة، لا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر.

ومن الأفلام الممعنة في التشويه شريط (هيدالغو Hidalgo شارك في بطولته عمر الشريف. وهو يحكي قصة سخيفة ملخصها أن أمريكياً ينحدر من أصول أسبانية ذهب إلى الحجاز ليشارك بجواده الهندي الأصل في سباق سنويّ للخيول كان ينظمه أحد شيوخ القبائل العربية يدعى الشيخ رياض (عمر الشريف). وكان للشيخ رياض جواد عربي أصيل اسمه (العتال) لم يُهزم قطّ في سباق. وكان الفرسان ينطلقون من قبيلة الشيخ، ويقطعون صحراء الجزيرة، إلى

بغداد، حتى دمشق وهي نهاية السباق. يخصّص للأمريكي مرافقٌ عربي ليقوم على خدمته قبل السباق . ينبه الخادم الأمريكي بأن الشيخ رياض لا يصافح أحداً، لأنه إذا مس أحدُهم يدَه فقد القدرةَ على التنبؤ بالمستقبل. ويتحدث الخادم مع الأمريكي عن نفسه ويقول له إنه راعي الماعز عند الشيخ رياض، وأنه ضُبِطَ مرّةً يسرق الحليب ولذلك عوقب بأن يخدم الأمريكي، وإذا لم يفعل ذلك قُطِعَ لسانه. وأنه في ليالي الشتاء الباردة تنام زوجته مع حصان الشيخ (عتال) داخل الإسطبل. وعند انتهاء المرحلة الأولى من السباق يُحرم الأمريكي وجواده من الماء بحجة أن البئر جافة، وفي الحقيقة اشترى أخطر منافسي الأمريكي في السباق ذمّة الأعراب الذين يقومون بالسقاية عند البئر. لكن الأمريكي الفطن لم يفته ذلك وقال لمنافسه: «كم ستدفع من أجل البئر الثانية عند نهاية المرحلة القادمة من السباق؟ اذهب واسرق الحُجّاج، فتلك صنعتك»، فيجيبه منافسه العربي بقوله: «الرسول كان قاطع طريق في وقته!!».

يكتشف الأمريكي أن للشيخ رياض بنتاً جميلة محجّبة، تقول إن أحداً لم ير وجهها غير أبيها والأمريكي الآن، لقد كشفت له عن وجهها لأنه أشعرها بآدميتها. والفتاة تريد الفوز للأمريكي، لأنه إن انتصر خصمه ويدعى (الحدّاد) فإنها ستزفّ إليه، وهو جلف من أجلاف البادية، وأنها ستضم إلى أزواجه الأخريات.. مجرد خادمة جديدة يشبع سيدها نزواته معها.

وأثناء هذا الحوار يفاجأ الأمريكي والفتاة بدخول الحدّاد وعصبة من أتباعه، فينهالون عليه ضرباً ويقيدونه ويسيرون به إلى الشيخ رياض الذي لوّث شرفَه هذا النجس. يصرخ الشيخ رياض:

«ابنتي أدخَلَتْ العارَ إلى بيتي»، فيقول له أحد أتباعه : «الزاني يُرجم، والأبُ يقتل ابنته. إنه الشرع يا سيد هوبكنز». ينظر إلى الأمريكي هوبكنز، ويقول له: «أمّا أنت أيها الكافر فسوف تُخصى». يخلو الشيخ رياض بالأمريكي، ويسأله:

ـ هل لطّخت شرف ابنتي ؟ ـ كلا يا سيدي.

ـ من يُصدّق كافراً ؟

وأثناء هذا الحوار ينطلق الرصاص، وتعلو الأصوات، ويصرخ الشيخ رياض: إنها غارة. تقول سيدة إنجليزية كانت تشارك بجواد لها في السباق لصاحبتها: « قتال القبائل مثل الرياضة الوطنية، وهذا ليس من شأننا». كان الحداد وراء الغارة.. يختطف بنت الشيخ لأنه أيقن من هزيمته أمام الأمريكي في السباق. يساوم الحداد الشيخَ رياض. ابنته مقابل جواده (العتال). يقول الحداد لبنت الشيخ رياض وهي أسيرة عنده في قبيلته: «إذا لم يصلني الحصان (عتال) قبل منتصف الليل فسأُرسِل رأسَك إلى أبيك ملفوفاً في حريرٍ بغداديّ ». وبطريقة خارقة يصل الأمريكي وأحد العبيد إلى قبيلة الحداد مع جواد آخر مزيف، وينجح السيد هوبكنز في إنقاذ الفتاة، ويُقتل العبد الذي كان معه، ويعود منتصراً حيث كان الشيخ رياض وأهل القبيلة بانتظاره.

ينطلق السباق من جديد لإكمال المرحلة

النهائية، ويتعرّض الأمريكي في الطريق للقتل بسبب خيانة وغدر منافسيه العرب، ومع ذلك يقوم بإنقاذ أحد أعدائه من الرمال الناعمة بالرغم مما أصابه منهم. يتعجّب العربي من عودة الأمريكي لإنقاذه بالرغم من كيده له، فيقول له: « لماذا عُدتَ من أجلي. لا توجد جائزة من أجل حياة إنسان؟» !!! يفوز الأمريكي في النهاية، ويهتف الجمهور في استقباله : كاوبوي، كاوبوي.

هذا الحوار آثرنا نقله هنا ليتبيّن القارئ مقدار التشويه والتزييف الذي تقوم بها المؤسسات السينمائية، وما ستحدثه هذه الصور القبيحة من آثار سلبية على المشاهدين الذين يصدّقون كلّ ما يشاهدون أو يقرأون.

ومن الأشرطة التي توظفّ الإثارة من خلال مشاهد الرعب والخرافة شريط المومياء Mummy الذي يصوّر الغربي الجريء، المستكشف، الباحث عن الحقيقة، بينما يظهر العربي في صورته النمطية المعتادة: الأناني، المخادع الذي لا يستأمن، الجبان، المنقاد للخرافات، الدموي، النهم الذي لا يشبع، القبيح المنظر. والعجيب أن بعض الكلام يأتي في الشريط باللغة العبرية، وكأن المخرج أراد أن يقول للمتفرّج إن تاريخ اليهود عمره الآف السنين قبل الميلاد، وأنهم هم من صنعوا حضارة مصر القديمة وليسوا الفراعنة، أو لعلّه أراد أن يقول إنّ اليهود هم الفراعنة.

وأشرطة الرسوم المتحركة (كارتون) لم تسلم أيضاً من تشويه، فالعربي والمسلم بعبع أو غول Bogeyman، وهو في الغالب شرير Evil-minded، أو قاتل Murderer، أو لص Thief ، أو غبي أحمق Foolish. حتى الشريط الذي قد يصور العربي أو المسلم في صورة بطل مثل شريط (علاء الدين 1992) المستوحى من ألف ليلة وليلة لم يخل من تشويه، ويكفي تلك الأغنية الوقحة التي يتغنى بها علاء الدين عن جزيرة العرب، وفيها يقول: «إنها بربرية، أووه.. ولكنها مع ذلك وطني». وفي شريط إليكتروني كارتوني اسمه Matrix يدور حول سيطرة البشر الآليين على العالم. فتقرر الحكومة تدميرهم، وفي النهاية يتم التخلّص من الشر. ويجتمع القادة في غرفة العمليات، وأمامهم خريطة العالم يحتفلون بالنصر.

فجأة تحط ذبابة على الخريطة، وفوق جزيرة العرب، فيهوي عليها أحد العسكريين بيده فيمسحها من على وجه الخارطة. والمتفرّج ليس محتاجاً لجهدٍ ذهني كبير ليستوعب الرسالة أو الخطاب المقصود.



الإســـــلاموفوبيا

الكراهية والبغضاء في المدارس الأميركية نموذجاً



إنّ زرعَ الأفكار المغلوطة في أذهان الناشئة جريمةٌ أخلاقية إن لم تكن جريمةً بالمعنى القانوني. وتتفاوت خطورة هذا النوع من الجرم لاعتباراتٍ مختلفة. فالفارق مثلاً كبيرٌ بين الخطأ الناجم عن قلة المعلومات، وندرة المصادر، والخطأ المتَعمّد الذي يراد من ورائه تحقيقُ هدفٍ ما أو الوصول إلى غايةٍ بعينها لا يمكن بلوغها إلا بذلك. وقد أثبتت الدراسات أنّ الكتب المدرسية في المدارس الأمريكية والأوروبية مملوءة بالأغلاط المستقبحة التي تساهم في زرع الكراهية والحقد في نفوس الأطفال. لقد أجريت دراساتٌ عديدةٌ للبحث في الصورة التي يتم بها وصف العرب والمسلمين في الكتب المدرسية بالولايات المتحدة. ففي سنة 1973 شكّلت رابطة دراسات الشرق الأوسط.

The Middle East Studies Association (MESA)

لجنة لدراسة صورة الشرق الأوسط في الكتب المدرسية للمرحلة الإعدادية. وقد أسفرت نتائج دراستها عن أن غالبية الكتب المدرسية أخطأت في مواضع كثيرة، وأنها تكرر الصور النمطية الموروثة عن الإسلام والمسلمين، وتعمل على استمرارها، مع التهوين من شأن المسائل الكبرى، وتضخيم المسائل التافهة. وكثيراً ما تركّز على النتائج وتهمل الأسباب.

راجع:

(W. Griswold, The Image of Middle East in Secondary School Textbooks, New York, Middle East Studies Association, 1975, P.2)

وفي سنة 1974 أجريت دراسةٌ على 36 كتاباً مدرسياً للمرحلة الإعدادية والثانوية بولاية كاليفورنيا في حقل العلوم الاجتماعية . وقد أثبتت هذه الدراسة أن البؤرة المركزية لتلك الكتب كانت مسلطة على تصوير الشرق الأوسط أنه مجتمع عربي بربري، يرتبط بالجمل والصحراء والبدو. وأنّ ركوب الخيل، والسلب والنهب، والقتل ما هي إلا سمات موروثة من حياة البداوة. وأن الإسلام محمدية كما هي تسميته عند المستشرقين، وأن موسى وعيسى هما من أنبياء الله، وأن محمداً راعي قوافل، وأن الإسلام انتشر في بلاد العرب بالسيف.

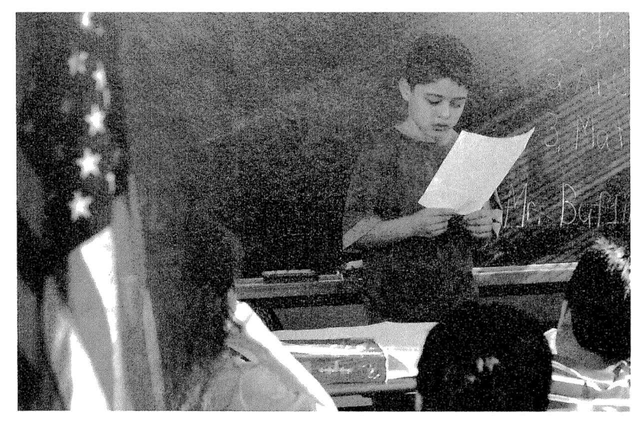
راجع :

(W.Gardner, The New World's Foundation in the Old. Bozton: Allyn and Bacon, P.287)

ولا تزال الكتب المدرسية الأمريكية تضع المرأة المسلمة في مكانة منحطة، وتزعم أن القرآن جعل النسا ءبيداً للرجال.

في سنة 1975 ظهرت دراستان أخريان:

❖ الأولى وعنوانها «معالجة الشرق الأوسط في كتب المدارس الأمريكية للمرحلة الثانوية» وقد قامت



بتحليل محتويات 20 كتاباً مدرسياً، وخلصت إلى أنّ :

(1) مصطلح (العرب) و(المسلمين) شيءٌ واحد، مع أن ليس كلّ المسلمين عرباً، وليس كلّ العرب مسلمين.

(2) الإسلام عقيدةً ومنهجَ حياة دينٌ مشوّش.

(3) إسرائيل ووجهات نظرها دائماً مفضلة على العرب ووجهات نظرهم. راجع :

(O. Perry , Treatment of the Middle East in American High School Textbooks, Journal of Palestine Studies. Vol. IV, No.3, April 1975, pp. 46-58).

❖ قامت الثانية وهي بعنوان «صور العرب في كتب العلوم الاجتماعية للمدارس الثانوية في الولايات المتحدة» بدراسة 42 كتاباً مدرسياً في حقول التاريخ، والجغرافيا، والاجتماع. وخلصت إلى النتائج نفسها تقريباً، راجع:

(S. A. Jarrar, Images of the Arabs in United States Secondary .
Schools Social Studies Text Books).

وفي سنة 1980 أعدّت الرابطة الوطنية للعرب الأمريكيين:

Association of Arab Americans (AAAN) National.

دراسة بعنوان «العالم العربي والإسلام في الكتب المدرسية بولاية واشنطن دي سي»، وخلصت فيها إلى النتائج الآتية:

❖ قياس التاريخ العربي والثقافة العربية بالمقاييس الغربية.

❖ المعلومات المستخدمة قديمةٌ جداً، وغير صحيحة.

❖ الصراع العربي ـ الإسرائيلي يُصوّر دائماً لمصلحة اليهود.

❖ الإسلام دينٌ سلبي. راجع:

(National Association of Arab Americans; "Treatment of the Arab World And Islam in Washington Metropolitan Area Junior and Senior Textbooks. Washington D.C., 1980).

ولم تتوقف الدراسات عن البحث في مؤثرات الصورة النمطية في الكتب المدرسية حتى اليوم لما تشكله من خطورة على تكوين العقل والسلوك. وكلّ هذا يتحوّل في نهاية المطاف إلى شكلٍ من أشكال الإسلاموفوبيا.

مؤتمـرات لمجابهـة الإسلاموفوبيا

الإسلاموفوبيا: الكراهية الأزلية

في جوّ مشحونٍ بالكراهية ومعاداة كلّ مظاهر الإسلام انعقد مؤتمر (الإسلاموفوبيا: الكراهية الأزلية) في اكتوبر 1997 بقاعة لوغان Lugan Hall بلندن، وشارك فيه عدد كبير من الأوروبيين والمسلمين. وقد تحدث المؤرخ الأسكوتلندي يعقوب زكي عن جذور الإسلاموفوبيا، وردّ ذلك إلى بواكير فجر الإسلام الأولى، وأن الغرب قد عرف موجات متتالية من الكراهية للإسلام، وقال: «إنّ الغرب يتعمّد نشر الإسلاموفوبيا لتحطيم الإسلام كما حطّم الشيوعية عن طريق تخويف العالم منها». وتحدّث عن ضعف المسلمين، والمآسي والمذابح التي قام بها الغرب في أراضي الإسلام منذ الحروب الصليبية إلى يومنا هذا.

وقد حمّل أحمد فون دينيفر الألماني الأصل، وممثل المركز الإسلامي في ميونيخ الإعلامَ الغربيَّ خطر انتشار الإسلاموفوبيا، وطالب بتوخّي الموضوعيّة مشيراً إلى أنّ التركيزَ كلّه منصبّ على المسلمين في المانيا. وقد دعا المشاركون في نهاية المؤتمر إلى الموضوعية، وتجنب التحيّز، وفتح قنوات الاتّصال الحر مع العالم الإسلامي بعيداً عن التعصّب والكراهية، والتشجيع على الحوار والفهم المستنير من أجل القضاء على ما ترسّخَ في أذهان العامة من الغربيين من أنّ الإسلام هو عدوّ الغرب الأوّل، وعدو الحضارة الإنسانية.

مؤتمر الإسلاموفوبيا في اسكوتلندا

وهو حلقة دراسية ليومٍ واحد انعقدت في اسكوتلندا بتاريخ 2004/6/14. أشرفت عليها الرابطة الإسلامية البريطانية، والمجلس الاسكوتلندي للأديان. وقد انعقد هذا المؤتمر عندما لوحظ تزايد حدّة التخويف من الإسلام، وأن ذلك بات يشكّل مشكلة خطيرة في أوروبا. وهذا المؤتمر هو الأوّل من نوعه في اسكوتلندا. وقد نُظّم

ليعالج القضايا التي تواجه الجماعة المسلمة اليوم، ولمواجهة المجتمع الاسكوتلندي بحقائق الإسلام والتعريف به. كما جاء المؤتمر لبحث معضلة التحيّز والتصورات المسبقة فضلاً عن تشجيع الفهم بين الجماعات وتسهيل العلاقات بينها على المدى الطويل.

وكان من المتحدثين في المؤتمر طارق رمضان، أستاذ الدراسات الإسلامية من جامعة فريبورغ. والأستاذ أنس التكريتي الرئيس السابق لرابطة المسلمين في بريطانيا MAB. والأستاذ بيل ميللر أستاذ العلوم السياسية بجامعة غلاسكو، والإعلامي هوف ميور من صحيفة الغارديان. والباحثة إيفون ستراتشان رئيسة وحدة المساواة باسكوتلندا.

وقد ناقش المؤتمر الموضوعات الآتية:

- ❖ جذور الإسلاموفوبيا
- ❖ الإسلام وأوروبا
- ❖ الإسلاموفوبيا في اسكتلندا
- ❖ المدارس الإسلامية
- ❖ قوانين محاربة الإرهاب
- ❖ الحجاب

مؤتمر استكشاف الإسلاموفوبيا

بتاريخ 2001/9/29 انعقد مؤتمر (استكشاف الإسلاموفوبيا: تعميق فهمنا للإسلام والمسلمين) (Exploring Islamophbia. Deepeningour understanding of Islam and Muslims) في كلية القانون بجامعة ويستمنستر بلندن. وقد قام بتنظيم هذا الملتقى منتدى مجابهة الإسلاموفوبيا والتعصّب ومؤسسة الخوئي بلندن.

وشارك في الملتقى ثلة من الباحثين، منهم: كريستوفر آلن Christopher Allen عنوانه: (الإسلاموفوبيا في وسائل الإعلام منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر: Islamophobia in the Media since September 11th.

ومنهم رئيس المنتدى (FAIR) جيرمي هنزل توماس Jermy Henzel - Thomas الذي شارك بمحاضرة قيّمة بعنوان (لغة الإسلاموفوبيا).

يقول كريستوفر آلن في بحثه: «عرضت علينا صحفنا، وشاشات التلفاز صور المسلمين وهم يحرقون الأعلام الأمريكية، وهم يلوّحون بمسدسات، ويقف إلى جانبهم صبية يصرخون خارج المسجد بشمال لندن. ويعرضون علينا صوراً لنساء أفغانيات قد تبرقعن من أعلى رأسهن إلى أخمص أقدامهن .يتبعهن نساء أخريات يرتدين الحجاب يهتفن خارج السفارة الباكستانية في لندن ضد الأعمال الحربية. ومن بين كلّ ذلك تُعرضُ علينا صورٌ لأطفال يحملون لوحات فيها صورٌ لأسامة بن لادن في شوارع إسلام آباد. وتحمل لنا المقالات عناوين، مثل: «هذا التعصّب الذي لا يمكن فهمه في الغرب»، «في قلب لندن يطالبون بالحرب المقدسة». فهذه العناوين والصور ليست استثناءً من القاعدة، ولا هي نتيجة سنوات من دراسة الإسلاموفوبيا

في وسائل الإعلام. إنها مجرد نماذج لأمثلة عديدة مشابهة زُيِّنت وزُخْرِفَت بشكلٍ مثمرٍ في الصفحاتِ الأولى، وعُرِضَت على الشاشات الصغيرة منذ أحداث سبتمبر الفظيعة. لقد أيقنت التجمعات الإسلامية وكذلك آخرون من المهتمين بهذا الشأن أنّ الصورة النمطية التي ترسمها وسائل الإعلام للإسلام من أكثر مصادر الإسلاموفوبيا في بريطانيا تفشياً وشيوعاً وخبثاً. ليس لنا أن نقول إن وسائل الإعلام هي سبب الإسلاموفوبيا، ولكن من المناسب أن نبيّن أنّها أكثر زرّاع بذورها انفتاحاً في عالمنا... الإسلاموفوبيا خطيرة لأنها لا تحترم الفرد. إنها إجحاف غير مميِّز يشوّه كلّ مسلم بغض النظر عن الاتجاه الثقافي، أو العرقي، أو الاجتماعي. وهي، وبقدرٍ مماثلٍ وصحيح، لها تأثيرها على دوافع ومواقف ملايين من الأفراد التي تحدد سلوكهم نحو المسلمين وعقائدهم».

جوائز الإسلاموفوبيا السنوية

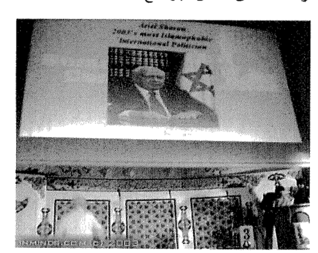
في 31 / 5 / 2003 عقدت الوكالة الإسلامية لحقوق الإنسان مؤتمرها الأول الذي يحمل اسم:

جوائز الإسلاموفوبيا السنوية

The Annual Islmophobia Awards

والجوائز تمنح لمن هو أكثر عداءً للإسلام ولدوره في التخويف منه، ويتم اختيار الفائزين من قِبَل لجنة من الحكام وحسب الترشيحات العامة ووفق معايير مختلفة كلها تصب في موضوع الجوائز. كما أقيمت معارض وحفلات على هامش البرنامج.

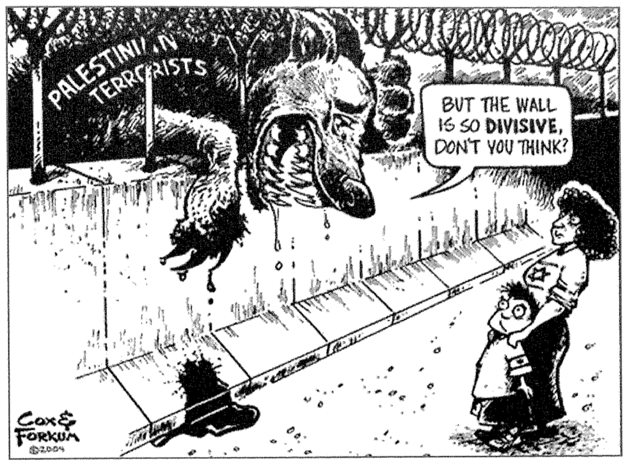




صور من وقائع مؤتمر جوائز الإسلاموفوبيا السنوية



الإســـلاموفوبيـا في عالم الرسوم الساخرة



الرسوم الساخرة (الكاريكاتور) أسلوبٌ من أساليب الخطاب، يقوم على الإثارة، والفكرة، والإبداع. وهو فنٌ قديم، وإن ازدهر في هذا القرن. وقد ظهرت أول رسومات ساخرة في أوروبا في القرن السادس عشر، وكثيرٌ منها سُخّر لأغراضٍ دينيّة لمهاجمة البروتستانت والكاثوليك، أثناء الثورة الدينية التي عُرِفت بالإصلاح الديني. وقد أنتج الإنجليز عدداً من الرسوم الساخرة المتميّزة في الفترة الواقعة ما بين سنتي 1700 و 1800. وقد اشتُهِر في تلك الحقبة وليام هاجارث Wiliam Hajarth برسمه شخصيات المجتمع الراقي في إنجلترا بشكلٍ ساخر. ولعلّ أشهر رسّام ساخر ظهر في أوروبا هو هونور دومييه Honor Daumier الفرنسي الذي رسم الملك لويس فيليب السمين المترهّل وكأنه دبٌّ كبير، مما أثار عليه رجال البلاط فأودِعَ في السجن. وفي أمريكا اشتُهِر بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin سنة 1754، الذي لعبت رسوماته دوراً في توحيد المستعمرات الأمريكية ضد الفرنسيين والهنود.وقد استخدم الرسم السّاخر للترويج لأفكار وفلسفات، وللتعبير عن مواقف وأحوال يصعب البوح

بها بشكل مباشر لاعتبارات سياسية وأخرى اجتماعية.

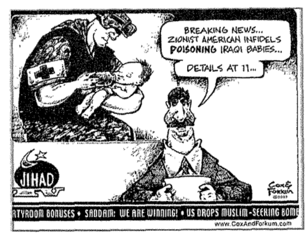
وفي العصر الحديث نال هذا الفنّ قدراً كبيراً من الاهتمام، فخصّصت له مساحاتٌ ثابتة في الصحف والمجلات، بل غزا الكتب، وشاشات التلفاز، وشبكة المعلومات العالمية (الانترنت) التي أفردت مواقع عليها يمكن من خلالها الاطلاع على أحدث ما قدمته الصحافة العالمية من رسون ساخرة نقدية. ولأن الرسوم الساخرة وسيلة من وسائل التعبير التي لا يحتاج المرء لفهمها ثقافةً عاليةً أو تحصيلاً أكاديمياً كبيرا، باتت محط اهتمام وسائل الإعلام لنشر ما تريد نشره من أفكار ومفاهيم . وتكمن خطورة الرسوم الساخرة في أنّ ما تحتويه من خطابٍ لا يحتاج إلى التوثيق، شأن ضروب الخطاب الأخرى. ولذا فإن المستهدَفَ من هذا الخطاب يكون عرضةً للتضليل والوقوع في دائرة الزيف والكذب.

ولقد وجد دعاة الإسلاموفوبيا وسيلةً مثيرة لتشويه الإسلامِ والمسلمين. فراحوا يذيعون أكاذيبهم بنشر رسوماتٍ سخيفة، يجمع بينها قاسمٌ مشتركٌ هو تصوير العربيِّ والمسلمَ بلحية كثة، وحواجبَ عريضة، وأنفٍ مقوّس، وبطنٍ منتفخ، ونظراتٍ قاسية، وقد لفّ حول رأسه كوفيةً أو عقالاً، وربط في وسطه خنجراً أو مسدساً.

هذه الصورة الساخرة طبعةٌ أخرى مماثلة لما تعرضه هوليوود في أشرطتها.

لقد ظهرت إسلاموفوبيا الرسوم الساخرة بشكلٍ ملحوظ بُعيد وقائع حرب يونيو/حزيران، حيث صوّر العرب أجلافاً، دمويين، معادين للحضارة والمدنية، منتهكين حقوق شعب الله المختار الآمن الداعي للسلام. كما صُوِّر اليهوديُّ الجلادُ ضحيّةً وقعت تحت براثن العربي المتوحّش. هذه الصورة الدراميّة مع ما فيها اعتداء على الحقيقة واستخفاف بالعقل تركت أثراً سيئاً ليس من السهل محوه، إذ ظلّت قائمة حتى







اليوم. إنها تطبيقٌ عمليّ لمقولة اليهودي المرابي: «اكذب، ثم اكذب، ثم اكذب حتى تُصَدّقَ ما قُلْتَ».

فالانتفاضة، وهي المطالبة بحقوق شعبٍ مظلومٍ قُتِلَ أبناؤه وشرّد شيوخه، إرهابٌ وعنف. إنها وحشٌ تفلّت من قفصه وينبغي أن يُردّ إليه. والحجر في يد صبيٍّ فلسطيني سلاح دمار شامل. ومقاومة الاحتلال

المشروعة وفق جميع الأعراف والشرائع والقوانين أصبحت غير مشروعة، فهي إرهاب، وفي أحسن الأحوال عنف غير مبرّر.

حتى ما يسمونه الحلول السلمية، وما تم التوصّل إليه عبر المفاوضات تحت مظلّة هيئة الأمم، مع ما فيه من إجحاف في حق العرب، يُصوّر بأنه كارثة، ومؤامرة دولية على إسرائيل. فقيام دويلة لشعب فلسطين الشريد تدمير لدولة الرب، والتقسيم عند دعاة الإسلاموفوبيا يذكّر بحكاية المرأتين اللتين تخاصمتا عند النبي سليمان في ولدٍ تزعم كلٌّ منهما أنه ولدها. فجاء سليمان بسيف ليشطره نصفين لكلّ أمٍّ نصفُ ولد. فتحركت مشاعرُ الأمومة في إحداهما، وهي الأم الحقيقية فأبت أن يُشطرَ وليدُها شطرين فتنازلت عنه للأخرى،

ففطن سليمان لذلك، فحكم لها بالولد. فكأن الخطاب اليهودي الكاريكاتوري يقول: أين سليمان الحكيم؟.

والصحوة الإسلامية المعاصرة لها حيّز كبير في الكاريكاتور الغربي والأمريكي سواء. إنها مرادفة عندهم للتخلف والعودة إلى عصر الكهوف. ودعاتها هم عُبّاد الموت يحكمهم عقلٌ ميتافيزيقي (غيبي) خامل.

وجوه الشخصيات الكاريكاتورية التي ترمز للعربي والمسلم جميعها وجوه الخميني، وأسامة بن لادن، وصدام حسين. وهو المعنى عينه الذي تردده وسائل الإعلام الغربية والأمريكية على لسان منظري الإسلاموفوبيا، أي أن المسلمين والعرب جميعهم بلا استثناء إرهابيون، وأصوليون، وإسلاميون.

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أخذت الرسومات الساخرة أشكالاً مقزّزة، وبدأت تكشف عن الأيديولوجيا الكامنة وراءها في معاداة الإسلام لا سيما بعد غزو العراق. ذلك الغزو غير المشروع قانونيّاً وأخلاقياً يجد في الرسوم الساخرة منبراً للتبرير. لم تعد المشكلة مشكلة البحث عن أسلحة







الدمار الشامل، بل إنقاذ للإنسانية من الأصولية المتطرّفة.

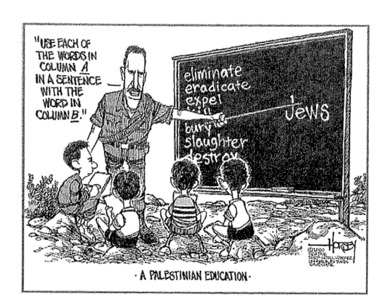
فالجندي الأمريكي النبيل جاء محرّراً العراق من قبضة الاستبداد والخوف، وليشبع أطفال العراق الجائعين، لكن الأصولية الإسلامية الحاقدة من فوق منابرها الإعلامية تشوّه هذه الرسالة الإنسانية التي تدفع أمريكا حياة أبنائها من أجلها. ومصيبة العراق الكبرى، كما تصورها الرسوم الساخرة، هي استبدال مستبد بمستبدّ أكثر خطراً لا على العراق فحسب، بل على العالم أجمع. إنه الإسلام واستنطاق الخطاب الكاريكاتوري الأمريكي يوضح عمق الخطأ الاستراتيجي الذي وقعت فيه أمريكا وحلفاؤها. لقد جاءت من أجل النفط تحت ذرائع مختلفة فابتليت بما لم يكن في الحسبان.

كاريكاتور الإسلاموفوبيا يريد أن يقول: أيها العالم انتبه!! حرب العراق استبدلت صنماً بصنمٍ آخر، صنمٌ له وجهان: القرآن والثيوقراطية.

فهل تريدون أن تنتهي حرب العراق ؟؟

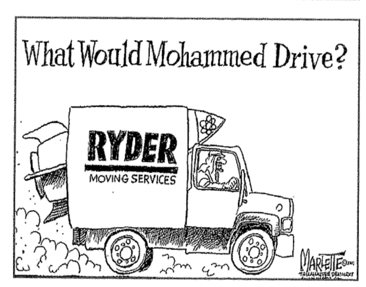
ولم تقف الإسلاموفوبيا الساخرة عند الاستخفاف بالعربي والمسلم، بل تعدّت ذلك إلى النيل من شخص الرسول وتصويره إرهابياً. ذلك التصوير الذي أثار حفيظة العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم. وطالبت المؤسسات والهيئات الإسلامية الرسمية وغير الرسمية بمقاضاة الصحيفة التي نُشِرَ فيها. والجواب كالعادة: الأمر هيّنٌ ولا يحتاج إلى كلّ هذه الضوضاء.

كما لم يقف توظيف الرسوم الساخرة عند حدّ الترويج للأيديولوجيا، بل وُظِّفَت أيضاً لترويع مناصري القضايا الإنسانية، وتخويف



· A PALESTINIAN EDUCATION ·





المفكّرين الأحرار، بنعتهم بنعوتٍ قذرة، ووصمهم بالفاشية الإسلامية . وأقرب رسم ساخر بين أيدينا ذلك الذي يظهر في صورة ملصق حائط Poster يصوّر المخرج الأمريكي مايكل مور Moore Michael وهو يرتدي كوفية، ويحمل في يمناه علم العراق، وفي يسراه بندقية كلاشينكوف، وكُتِبَ على صدره «أنا مع الفاشية الإسلامية».

لماذا ؟ لأن مايكل مور صرّح في أبريل/ نيسان 2004 قائلاً:

«العراقيون الذين وقفوا ضد الاحتلال ليسوا متمردين أو إرهابيين، وليسوا أعداء. إنهم الثورة،..وسوف يتزايد عددهم، وسينتصرون».

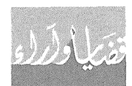
والانتخابات الرئاسية الأمريكية التي انتهت بفوز بوش كان لها نصيبٌ أيضاً من هذا الهوس الكاريكاتوري، فانتقاد المرشح الديموقراطي جون كيري John Kerry لمنافسه جورج بوش الجمهوري بسبب طريقته في معالجة أزمة العراق، انتصارٌ لقوى الظلام والإرهاب في العالم العربي والإسلامي، التي استبدلت (كيري اكبر) بـ (الله أكبر).

ومن أسخف المواقع على شبكة المعلومات الدولية موقع مجهول الهويّة يحمل اسم (محمد وأحمد) يستعرض كلّ ما من شأنه الحطّ من قدر الإسلام والمسلمين. وفيه زاوية للرسوم الساخرة التي تعنى بالاستخفاف بالعقيدة الإسلامية.

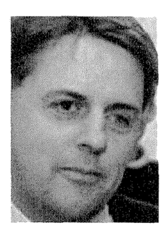




The Life and Times of
AHMED & MOHAMMED



دعاة الإسلاموفوبيا.. باعة الشر



نك غريفين Nick Griffen

زعيم الحزب الوطني البريطاني المعادي للمسلمين

Leadr of the racist,

Anti-Muslim Brithish National Party

«المسلمون أكبر مشكلة في الوقت الحاضر لأسباب عديدة. فهم أصحاب أكبر معدلات إنجاب، وهذا يعني أنّ جماعاتهم تحتاج إلىً أماكن معيشة وهو ما يتسبب في التطهير العرقي. وهم يعانون من فساد سياسي في بلدانهم الأصلية. والأكثر خطورة من كلّ ذلك هو أن الإسلام دين عدواني».

الغارديان 30 مايو/ايار 2001

وليام هوج William Hauge

زعيم حزب المحافظين السابق

Ex-Conservative Party Leader

«أنا صديق لاسرائيل وداعمٌ لها، وأعتقد أن لأسرائيل دوراً حيوياً تلعبه في المنطقة... وقد تقوم إسرائيل أحياناً بأشياء لا نوافق عليها في الغرب ولكن النقطة الجوهرية لدولة إسرائيل هي أنه من حق الشعب اليهودي تقرير المصير».

Jewish News, 12th March 1999

«تمارس أمريكا سياسة أحادية الجانب مع إسرائيل، لأنه بدون ذلك سوف يلقى باليهود في البحر»

The Spectator, March8, 2003



فرانكلين غراهام

Franklin Graham

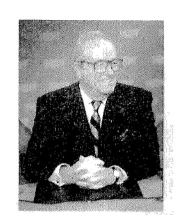
انغليكاني أمريكي يعمل بشبكة فوكس

«إذا كنت تريد أن تشتري القرآن فاقرأه لنفسك، فإنه يبشّر بالعنف»

Fox News, Hannity

& Colme's program 5 August 2002

جان ماري لوبان
Jean Marie Le Pen
سياسي فرنسي



«إنهم ـ المسلمون ـ يتزايدون سكانياً ، سواء بالإنجاب الطبيعيّ أو بالهجرة إلى فرنسا ممّا يقوّي من عزلتهم العرقيّة العنيدة ، وطبيعتهم المستبدّة. هذا هو عالم الإسلام بكلّ زيفه وضلاله».

من مقابلة أجرتها معه
أخبار هاآريتس اليهودية *Ha'aretz News*
بتاريخ 2002/4/22

جون آشكروفت
John Ashcroft
النائب العام الأمريكي / وزير العدل حاليا



«الإسلام دين يطلب فيه الله أن ترسل ابنك ليموت من أجله والمسيحية دين يرسل الله فيه ولده ليموت من أجلك».

Los Angeles Times, Feb. 16. 2002

روبرت كيلوري سلك
Robert Kilory - Silk
مقدّم برامج في BBC
ومحرر عمود في صحيفة الديلي اكسبرس

«المسلمون رجعيون وأشرار. وإذا عُد قولي هذا عنصريّةً فإنني سعيدٌ بهذا، وإنني لفخورٌ بكوني كذلك».

15 Jan. 1995
Daily Express

آن كولتر
Anne Coulter
كاتبة، ومراسلة قانونية لمجلة هيومان إفنتس
Human Events



«يجب أن نغزو بلدانهم، ونقتل قادتهم، ونحوّلهم إلى المسيحية».

National Review Online (NRO) Sep. 13, 2001



Oriana Fallaci اوريانا فالاتشي

كاتبة وصحافية إيطالية

«إنهم - المسلمون - يتناسلون كالجرذان،
ويبولون في أجران المعمودية»

من كتابها (الغضب والكبرياء)

La Rabbia e l'Orgoglio





Jane Fonda جين فوندا

«إذا لم نخش العرب فمن الأفضل أن نختبر عقولنا، إن لهم سيطرة استراتيجية علينا، وهم ليسوا متزنين، وهم أصوليون، ومستبدّون، وأعداء المرأة، وأعداء الصحافة الحرّة».

من مقابلة معها حول شريطها السينمائي
Rollover

الجنرال وليام بويكين
William Boykin

وزارة الدفاع الإمريكية

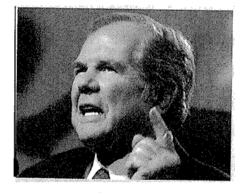
«أعلم أنّ ربي أكبر من ربهم، وأعلم أن إلهي حقيقي وإلههم صنم»

من كلمة ألقاها في إحدى الكنائس



Pat Robertson
بات روبرتسون

مذيع ديني ، ومؤسس الائتلاف المسيحي



«أرجو أن تقرأوا القرآن ، وانظروا ماذا يقول. انظروا ماذا يعلّم الشيوخُ الأطفالَ الصغار في فلسطين وفي بقاع أخرى من العالم عنكم. وعندما تفعلون ذلك لا تنتقدوا أصدقاءكم، ولكن انظروا مَن هم أعداؤكم الحقيقيون»

CNN News 15/11/2004, Pat Robertson Persists Islam Extreme and Violent.



الإسلام والإعلام الغربي
وتحديات ما بعد أحداث 2001/9/11

د. محمد بشاري ★


قد يكون قطاع الإعلام اليوم من بين أهم القطاعات الأكثر تأثراً بالأحداث التي ميزت مطلع القرن الميلادي الجديد، أي أحداث 11 سبتمبر 2001، على اعتبار أن تسويق التعليقات وردود الفعل على الحدث وخاصة تبعاته جاءت بالدرجة الاولى عبر القطاع الإعلامي، سواء كانت تلك الردود سياسية أو ثقافية أو أكاديمية.

من ناحية ثانية، علينا أن نتأمل جيداً الفرص الضائعة التي سقطت فجأة بيد صناع القرار الإعلامي في العالم العربي.

فطبيعي أن نكون نحن ممثلي الأقلية المسلمة في الغرب من أهم المعنيين بتحسين هذه الصورة، خاصة بعد القلاقل التي أفرزها حدث 11 سبتمبر 2001 على الأقلية المسلمة في القارة الاوروبية وبالتحديد في القارة الامريكية، إن لم نؤكد على أن الاحداث نسفت مجهودات عقود وسنوات من عمل أقليات وجدت نفسها بين ليلة وضحاها مضطرة لإعادة عمل مضن وطويل يقوم على إعادة بناء أسس علاقة سوية مع الجار الغربي في المسكن والعمل والشارع، ووجدت نفسها أيضاً مضطرة للدفاع عن نفسها من مجموعة من الاتهامات الجاهزة الصادرة عن بعض العقليات العنصرية أو العلقليات التي كانت تنتظر فقط الذريعة من أجل تفريغ أسهم الحقد والبغض، ويكفينا في هذا الصدد الاستشهاد، على سبيل المثال لا الحصر، بما نشرته «رولا خلف» محررة شؤون الشرق الأوسط في صحيفة «الفاينانشيال تايمز» البريطانية في عدد 13 التمور (اكتوبر) 2001، أي بعد حوالي شهر واحد فقط من الاعتداءات التي تعرضت لها نيويورك وواشنطن، عندما استشهدت بما جاء على لسان الخبير الفرنسي «اوليفر روي»: «لقد تحول الإرهاب الإسلامي الدولي من الإرهاب المدعوم من الدول أو العمليات ـ التي استهدفت الداخل ـ إلى إرهاب غير محدد الموقع، ويتجاوز الحدود عبر دول عديدة»، مضيفاً ما مفاده أن «مسلمي الغرب مرتع للإرهاب وهذا يشرح العامل الثالث وراء أحداث يوم 11 سبتمبر، وهو أن المهاجرين العرب في الغرب أكثر من يفضلهم أسامة بن لادن للتجنيد في «القاعدة». يقول روي: «هذا من ناحية نتيجة للعولمة؛ فهؤلاء الناس يجابهون الواقع الذي يدفعهم لاندماج بالمجتمعات الجديدة. لكن قلة منهم ترفض ذلك. وتكون النتيجة خليطاً من

★ أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي ـ فرنسا

تمرد إسلامي وعداء غربي تقليدي للنظام القائم». ويكون المجندون الذين يستقطبهم أسامة بن لادن لقضاياه السياسية من العمال المهاجرين والشباب الضائعين أو الشباب العربي المتحمس»، وهذا تصريح يتماشى مع ما جاء في العديد من وسائل الإعلام الغربية، ونستشهد هنا بما جاء في صحيفة «هيرالد تريبيون» الامريكية التي حملت راية الدعوة لتصحيح مواقف الحكومات الأوروبية تجاه اندماج اللاجئين المسلمين في داخل المجتمعات الأوروبية، ومنها التجمع الهولندي، بدليل دخول الإعلام الهولندي في متاهة موضوعات لا يجرؤ أي إعلام أوروبي على الدخول بها أو التصدي لها. فحسب بعض التحليلات فإن المهاجرين العرب والباكستانيين والأتراك يعتبرون الآن خطراً قومياً، وهو نفس ما أشار إليه اوليفيه روا كما أسلفنا من قبل.

لسنا في حاجة إلى أن نؤكد على أن ما تعرضت له العديد من المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس الإسلامية من اعتداءات ومضايقات أدت بالكثير منها إلى التوقف عن النشاط إلى وقت غير معلوم. وقد مثلت هذه الضغوط عبئاً جديداً يضاف إلى كاهل القائمين على المراكز العربية والإسلامية، والراغبين في فتح مراكز اخرى، خاصة إذا علمنا أن بعض المناطق يمنع المسلمون من بناء أي معلم لهم فيها يدل على هويتهم بالإضافة إلى ذلك بعض العراقيل البيروقراطية التي تواجه المسلمين اذا ما تعلق الأمر ببناء مسجد أو مركز إسلامي مثلما حدث منذ مدة عندما منع المسلمون في منطقة (وست هام) في بريطانيا، من بناء مسجد على قطعة أرض كانوا قد اشتروها بحجة أن البلدية قررت تحويل الأرض إلى طريق.

وقد نالت النساء والأطفال من هذه الفوضى حصة الأسد لأن النساء في هذا البلد هم في الأصل فريسة سهلة، وأخبار قتل واغتصاب واختفاء النساء تملأ صفحات المنابر الإعلامية الأوروبية، وقد كانت في تزايد مطرد وقد كانت هذه الأخبار لوحدها كافية لأن تقرر الكثير من النساء القعود في البيوت تجنباً للمشاكل فجاءت الحوادث الأخيرة لتزيد من معاناتهن.

المهم أننا لا نزعم أننا نختزل الخطوط العريضة لصورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربي في مداخلة واحدة أو عرض موجز، خاصة وأنه سبق لنا أن أنجزنا هذه المهمة منذ مدة من خلال عمل من المنتظر أن يصدر لسوق النشر العربية عما قريب، ولو صح اختزال هذه الصورة في الإعلام الغربي لاختزلناها في ما أصبح يصطلح على تسميته بالإسلاموفوبيا، فالإسلام يعني بالنسبة لهم القسوة والوحشية، ويساهم في ذلك بعض المسلمين عن وعي أو غير وعي، كما في الأفلام التسجيلية التي تصور معاملة المرأة في أفغانستان التي تحكم باسم الإسلام، ونستحضر هنا ما تحدث عنه الدكتور غانم جواد في مبحث له يحمل عنوان: «من أكلاهوما إلى محمد الدرة»: صورة الإسلام في الإعلام الغربي قد رصدته الكثير من الدراسات منذ عام 1970 حين بدأ هذا الاتجاه في النمو عقب الحرب الإسرائيلية العربية عام 1967، وحرب أكتوبر 1973، والحظر النفطي، واندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، والثورة الإسلامية الإيرانية، وما واكبها من أزمة الرهائن والكساد الاقتصادي في بداية الثمانينيات، ما عرف بـ «الجهاد

ما تعرضت له العديد من المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس الإسلامية من اعتداءات ومضايقات أدت بالكثير منها إلى التوقف عن النشاط إلى وقت غير معلوم.

الإسلامي ضد السوفييت»، وحربي الخليج الأولى والثانية. مضيفاً أن الروايات الشعبية والأفلام السينمائية والصور الصحافية والكاريكاتيرية بدأت تصور المسلمين على أنهم إرهابيون ومتوحشون، وفاسدون، وقد ساعد أيضاً على زيادة مخاوف الغرب من المسلمين تزايد الهجرة الواسعة من العالم الإسلامي إلى أوروبا، وما واكبها من أزمة البطالة، واتساع نطاق الجريمة، وانتعاش تجارة المخدرات وغير ذلك، وهو ما فسره الغربيون بزيادة أعداد المهاجرين من دول الجنوب إلى الشمال.

من ناحية ثانية، لا بد لنا من استعراض الخطوط العريضة لهذه الصور في الفترة التي جاءت بعد أحداث 11/9/ 2001، كما أشرنا إلى ذلك في معرض مداخلة لنا أمام البرلمان الأوروبي يوم 17 أبريل 2002، وذلك على هامش اعتراف البرلمان الأوروبي بـ «المؤتمر الإسلامي الأوروبي» كمنظمة غير حكومية، في سابقة من نوعها تهم منظمة إسلامية، يأبى هذا البرلمان إلا أن يقر بشرعيتها، حيث أشرنا إلى أن الأصوات الأوروبية المسؤولة، سواء كانت محسوبة على الحقل السياسي أو الثقافي أو الديني أو الإعلامي وغيره، انقسمت في ما يخص التعامل مع الوجود الإسلامي في القارة الأوروبية على فرعين أساسيين:

❖ منحى تبني خط التعقل والحكمة في تحليل أسباب الاعتداءات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية أولاً، ولم يتردد في الإقرار على تبرئة الإسلام من مثل هذه الممارسات، وكذلك الحال مع الديانات الأخرى، ثم، وهذا هو الأهم، تبني الدفاع عن تبرئة طبيعة الإسلام المعتدل الذي يطغى على ممارسات مسلمي القارة الأوروبية من مجرد التفكير في مثل هذه الأعمال الإرهابية، وإن كانت ممارسات هذه الأقلية تؤكد على ذلك بالفعل، سواء تعلق الأمر بالفترة التي تسبق تاريخ هذا الحدث (أي سبتمبر) أو بعده.

❖ منحى تبني خلط أوراق ممارسات الإسلام المعتدل الذي تتبناه الأقلية المسلمة مع بعض الممارسات الشاذة والمتطرفة والتي نجدها بالمناسبة في جميع الديانات والإيديولوجيات، وما نأسف له، أن هذا التيار وجد أصداء مدوية في العديد من وسائل الإعلام الأوروبية المسؤولة، ولأنه لا يسعنا استعراض مجمل الأصوات العنصرية والحاقدة التي تبنت هذا الطرح الشاذ، فإننا نكتفي باستعراض بعض النماذج العابرة فقط، ولكنها نماذج معبرة بحق عن مدى خطورة خلط الأوراق في صالح عام لا يخدم بالضرورة مستقبل اندماج هذه الأقليات في الفضاء الأوروبي الرحب، ونؤكد أنه حقاً فضاء أوروبي رحب، لأنه ثبت للجميع، ومباشرة بعد الاعتداءات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية أن الوجود الإسلامي في أوروبا عموماً لم يتأثر كثيراً كما حصل مع الوجود الإسلام في القارة الأمريكية، وهذه خلاصة لا يسعها إلا أن ترسخ من تفعيل وتيرة الاندماج المرجو من قبل المسؤولين الأوروبيين من جهة، وكذا من قبل الأقلية المسلمة من جهة ثانية.

ولعلنا نتذكر جيداً أحد أهم الشهادات التي جاءت على لسان عدد من المسؤولين الغربيين، والتي كانت مناسبة لأن نطلع على ما تكنه بعض العقليات الفكرية الغربية نحو الإسلام والمسلمين، ونستشهد على الخصوص بالتصريحات العنصرية والمليئة بالحصد الصادرة في صحيفة «كوريري دي لاسيرا» الإيطالية الشهيرة على لسان الكاتبة والصحافية الإيطالية أوريانا فالاشي في رسالة مطولة أكدت فيها من خلال منطقها المغلوط أننا نعيش «حرباً صليبية قائمة بالفعل»، «إنكم لا تفهمون ولا تريدون أن تفهموا بأن

هناك حرباً دينية قائمة. تضيف أوريانا فلاشي - «حرباً يسمونها جهاداً، حرباً لا تريد أن تغزو أراضينا بل أرواحنا، حرباً تريد القضاء على حيرتنا وعلى حضارتنا، وتريد أن تغير طريقة عيشنا وموتنا، طريقة أكلنا وشربنا ولبسنا وتعلمنا. لا تفهمون ولا تريدون أن تفهموا بأننا إذا لم نقاوم ولم ندافع على أنفسنا ولم نحارب فإن الجهاد سينتصر، وسيدمر العالم الذي بنيناه، وغيرناه وطورناه وجعلناه أكثر تسامحاً؟ وسيدمر قيمنا ولذاتنا. ألا تفهمون أن أمثال أسامة بن لادن يستحلون قتلكم وقتل أولادكم لأنكم تشربون الخمر أو الجعة، لأنكم لا تطلقون اللحية ولا تلبسون النقاب، لأنكم تذهبون إلى المسرح والسينما، لأنكم تنصتون إلى الموسيقى وتغنون الأغاني، لأنكم ترقصون في الملاهي أو في بيوتكم، لأنكم تشاهدون التلفزة، وتلبسون السراويل القصيرة، لأنكم تتعرون كلياً أو جزئياً في المسبح أو الشاطئ، لأنكم تمارسون الجنس مع من تحبون، أين تحبون، ومتى تحبون».

عندما تصف أوريانا فالاشي مساجد ميلانو وروما أنها أصبحت «تعج بالأوغاد من أنصار أسامة بن لادن»، فإن مثل هذه التصريحات تخلف بالضرورة أصداء في الشارع سواء الإيطالي أو الأوروبي، ونستشهد على ذلك بمضمون استطلاع أجرته صحيفة «ذي أوبزرفر» البريطانية صدر في 25 نوفمبر 2001، جاء فيه أن غالبية البريطانيين يطالبون بطرد المسلمين الذين يدعمون في بريطانيا أسامة بن لادن، وبالمناسبة، أشار نفس الاستطلاع إلى تدهور العلاقات بين الإثنيات في بريطانيا منذ أحداث 11 سبتمبر، حيث أكد ذلك 36 في المائة من الأشخاص الذين شاركوا في الاستطلاع، مقابل نسبة 21 في المائة ظهرت في دراسة سابقة أجريت قبل الاعتداءات.

لا نشك مطلقاً أن الوجود الإسلامي المعتدل والمندمج سيضايق أوريانا فالاشي، ما دامت هذه الأخيرة تنطلق في تصريحاتها من خلفيات مليئة بالحقد والعنصرية والتطرف، والدليل هو اعترافها بكره الأجانب العرب والمسلمين، وتأكيدها على عدم تحمل موجة من المهاجرين الذين يريدون بطريقة أو بأخرى أن يغيروا نظامنا في الحياة وقيمنا. إنني أقول أنه ليس عندنا مكان للمؤذنين، للصوامع، ولعقليتهم القروسطوية ولحجابهم، ولو كان عندنا مكان لهم، فإني لن أعطيه لهم.

كتّاب آخرون، وفي معرض ربط الإسلام كدين جاء رحمة للعالمين، كما نقرأ في إحدى الآيات القرآنية، نجدهم يستشهدون ببعض الآيات القرآنية التي تزكي هذا الاتهام غير المقبول، ومنها الاية:

﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [سورة النساء: الآية 89]

ولا داعي لأن نستفسر من هؤلاء عن عدم الاستشهاد بالآية الكريمة التي ترد على هذه الأباطيل والتي يقول فيها الله عزّ وجل:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [سورة البقرة: الآية 256]

أو بالآية

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾

[سورة آل عمران: الآية 64]

وآيات أخرى ونصوص نبوية صحيحة وصريحة تفند هذه المزاعم والمغالطات.

من ناحية أخرى شهدنا أقلاماً صحافية قامت بالدعاية والترويج لثنائيات تفضح العقلية الغربية والصور النمطية الاستشراقية والتي تمس الإسلام والمسلمين ونختصرها في النماذج التالية:

❖ العربي المسلم يقابله الغربي المسيحي.

❖ الاستبداد والظلامية مقابل الحرية والديموقراطية.

❖ الإرهابي مقابل الضحية.

❖ الإرهابي غير المنظم والصادر مقابل الحرب المشروعة كالدفاع عن النفس.

ويكفينا قراءة ما كان يحرره رئيس تحرير «لوبوان» الفرنسية، الكاتب الفرنسية كلود أمبير من سموم اتجاه الإسلام والعرب، فتجده على سبيل المثال لا الحصر يقول في إحدى مقالاته، أنه أينما حل الإسلام يكون مصير تلك البقعة الفشل المزدوج، وكون الحضارة الغربية هي المستهدف الوحيد من الرعب الإسلامي، والذي يبعث على الاستنكار بالفعل، هو أن تكون النافذة الوحيدة الواردة في افتتاحية أمبير تضم هذا التصريح الخطير، كما أنه أشار إلى أن الإرهاب الإسلامي على حد قوله يرفض الحضارة، ولمح إلى أن الاعتداءات التي عرفتها نيويورك وواشنطن تجسد نموذجاً لصراع الأديان وصراع الحضارات، عاقداً الأمل أن تمثل فرصة لأن يخرج الإسلام من أوهام القرون الوسطى.

وبخصوص حجم الخطر الذي تشكله الصليبية على الإسلام في الوقت الراهن شدد رئيس أساقفة كانتربري على أن الرئيس الأمريكي جورج بوش لم يكن حكيماً على الإطلاق في استخدام مصطلح الحروب الصليبية، معرباً عن اعتقادهن بأن استخدامه لهذه الكلمة يعكس عدم فهمه لتاريخ العالم، وقال: «لا أريد لصورة الإسلام أن تتعرض للتشهير بأي شكل من الأشكال بسبب أحداث 11 سبتمبر». وفيما يتعلق بدور الكنيسة الإنجليزية في منع المزيد من الاعتداء على المسلمين في بريطانيا، أوضح كاري أن بلاده لم تشهد سوى اعتداءين منذ هجمات 11 أيلول (سبتمبر) مشيراً إلى تجربة مدينة ليستر التي شكل فيها أبناء الديانات الإسلامية والهندوسية والمسيحية قوة رد سريع للتعامل مع أية هجمات تطال الأماكن الدينية أو دور العبادة.

وحذرت صحيفة «الغارديان» أن التشريعات الجديدة التي تطالب بتعديل القانون يمكن أن تطال حرية الأفراد، فيما انعقدت أيضاً خطوات اوروبية اتخذت بعد الهجمات والتي تشير إلى أكثر من خمسة عشر مدخلاً للتصدي للإرهاب. وقالت إن كل هذه الإجراءات لا تعطي معنى دون حماية قانونية لها. هذا ومن المتوقع أن تؤثر التشريعات الجديدة في بريطانيا وخطوات أخرى اتخذتها حكومات غربية أوروبية على العلاقات الحذرة بين الحكومة والمهاجرين المسلمين في هذه البلاد. وحتى الآن كان المثال الهولندي الأنجح في التعامل مع المهجرين المسلمين الذين ينتمون الى أصول مغربية ودول أخرى من شمال أفريقيا، واستطاعت حكومة هولندا ضمن منظور التعددية الثقافية تعزيز أوضاع الجالية الاسلامية والعربية، واتخاذ خطوات لدمجها في داخل المجتمع العام وإعطاءها الوسائل لحفاظ على هويتها.

شدد رئيس أساقفة كانتربري على أن الرئيس الأمريكي جورج بوش لم يكن حكيماً على الإطلاق في استخدام مصطلح الحروب الصليبية، معرباً عن اعتقادهن بأن استخدامه لهذه الكلمة يعكس عدم فهمه لتاريخ العالم.

سيطرة اللوبي الصهيوني على وسائل الإعلام الأمريكية مما جعل لليهود تأثيراً واضحاً على صانع القرار الأمريكي قبل حوادث 11 سبتمبر، ولكن تأثير اليهود زاد عقب حوادث الثلاثاء الخطيرة، ثم أن تأييد أمريكا المطلق لإسرائيل يرجع إلى قوة اليهود عملياً واقتصادياً، مما جعل لهم وضعاً مميزاً، إضافة إلى أن اليهود جزء من الحضارة الغربية فكانت لهم مكانة عالمية جعلت للصهيونية تأثيرها الكبير على الإدارات الأمريكية المتعاقبة. بالنسبة للحالة الأمريكية، فمن المؤسف جداً أن نجد

أن العناصر المحافظة هي التي سيطرت على إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، التي تؤمن بتعزيز القوة العسكرية لأمريكا والاستمرار في برنامج حرب النجوم ومحاربة الإرهاب الدولي، وتؤمن بأن على أمريكا تقديم الدعم المستمر للكيان الصهيوني؛ لأن العرب متخلفون؛ ولا يستحقون الدعم الأمريكي. وعلى الصعيد الإعلامي والأكاديمي الصرف، شهدنا أن الإسلام وعلاقته بالديمقراطية وحقوق الإنسان أصبح موضوعاً دائماً في الإعلام الغربي والأمريكي حيث كان الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب يثار قبل تاريخ الاعتداءات، ولكن الآن أصبح يثار بعنف أكثر. والجديد اليوم في إثارة الصراع بين الإسلام والغرب هو دعم الحكومات الغربية وبالذات أمريكا للحملات المعادية للإسلام في الإعلام الغربي، وظهر تيار غربي قوي يتبنى فرض ما يطلق عليه الإصلاح الشامل للفكر الإسلامي لمحاربة الاتجاهات المتطرفة في الفكر الإسلامي، كما أشار إلى ذلك عبد العليم الأبيض الخبير في الإعلام الأمريكي، والذي أضاف: إن هدف أمريكا من الحملة العالمية ليس هو محاربة الإرهاب بالأساس بل تغيير الفكر الإسلام ليتوافق مع حضارة العولمة إما بالضغوط السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية، وقد شهدنا العديد من إفرازات هذه الضغوط، منها الضغط على الدول العربية والإسلامية من أجل أن تتحول لقاءات الحوار مع الغرب نحو حوار داخلي بين المسلمين كعملية مراجعة الفكر الإسلامي.

تقييم ردود فعل المسؤولين المسلمين

من بين العديد من الخطب والتعليقات الصادرة عن المسؤولين والحكام والقادة العرب، استوقفنا خطاب معمر القذافي، ومرة أخرى لن نستعرض جميع الخطوط العريضة التي تميز بها هذا الخطاب، ولكن هناك نقاط هامة جداً من الأساسي التنبيه إليها، وتهمنا في هذا العرض الإشارة إليها، ومنها على الخصوص رد القذافي على وصم الغرب المسلمين بالإرهاب في سياق منظومة من المفاهيم الهجومية تبدأ بالتشدد إلى التطرف إلى التعصب إلى الأصولية فالإرهاب. وهذا في العمق يدل على أن أحد ثوابت الفكر الغربي هو نفس الآخر، كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين المسلمين. شئنا أم أبينا، علينا أن نتذكر ونستحضر تعامل القرآن الكريم مع مفردة «الإرهاب»، حيث استعمل في دلالة لا صلة لها بدلالة مصطلح الإرهاب بالمفهوم الغربي، وهكذا نقرأ قوله تعالى:

﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية 60]

وقد ورد هذا التعليق في سياق الأمر بإعداد القوة:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنفال: الآية 60]

إن النظر العميق لهذه الآية يحيلنا على أن كلمة الإرهاب تأخذ معنى الردع، ومعنى الردع:

﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنفال: الآية 60]

أي تعدون من القوة ما يجعله يخاف من الحرب، فيرتدع عن ممارسة العنف الذي يضطر المسلمين إلى العنف المضاد. الإرهاب في القرآن هو محاولة الوقاية من الاضطرار إلى العنف المضاد بوصفه طبيعياً وعادلاً ومشروعاًضد العنف. وهكذا نجد أن القرآن كان يهدف إلى معنى تجنب الحرب من حيث هو مطالبة بإعداد القوة حتى لا يستهين العدو بالمسلمين، فيقدم عليهم ويضطرهم أن يواجهوه بلغة العنف المضاد.

النقطة الثانية الهامة التي تهمنا الإشارة إليها تتعلق بمشروع القذافي الذي يروم الدعوة إلى فتح حوار يضم المسؤولين في العالم الإسلامي، ويشمل أيضاً ممثلي المنظمات غير الحكومية، لنطرح السؤال

الأهم: لماذا نحتاج إلى الحوار؟ وعن أي حوار يتحدث القذافي بالضبط؟

لقد أفرزت الاعتداءات التي تعرضت لها نيويورك وواشنطن، ضرورة فتح قنوات الحوار المسؤول على الاقل من أجل أن نتفق مع أنفسنا نحن على طبيعة الإسلام الذي نريده، والمأمول أن تدفع هذه الاجتماعات وهذه اللقاءات بالعالم الإسلامي ككل للوقوف مع نفسه «وقفة جادة» بتعبير القذافي، وأن تفرز بعضاً من الأجوبة الواضحة والصريحة على السؤال الأكبر: أي إسلام نريد اليوم؟

وستكون هذه اللقاءات مناسبة أيضاً من أجل الحسم مع مفهوم الإرهاب بصفة نهائية، سواء استعملناه نحن كمسلمين في مجالنا الإسلامي، أو في التعاطي السياسي والأكاديمي والإعلامي مع الغرب، تحت شعار قرآني معروف:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾
[سورة آل عمران: الآية 64]

ولا نشك قط أن الفصل في هذه المفاهيم، وفي طبيعة الإسلام الذي نبتغيه اليوم، سوف يعود بالنفع على أوضاع الأقليات المسلمة في الغرب، على الأقل سوف تتضح الرؤى أكثر في خطابها الديني والدنيوي الموجه لأبناء الأقلية من جهة، وللنخب السياسية والثقافية والإعلامية الغربية من جهة ثانية.

توصيات ختامية

مهمة المسلمين هي تمثيل الإسلام التمثيل الحقيقي، أو التعريف به التعريف الصحيح عن طريق وسائل الإعلام، عن طريق المدارس والكتب والرسائل والمطبوعات ووسائل الإعلام المختلفة سواء المنظور منها أو المسموع أو المكتوب إلى آخره، هذه كلها، وأهم شيء دون شك هو التعامل والاحتكاك مع الناس، وهنا تبرز نقاط الضعف لدى المسلمين، كثير من المسلمين مع الأسف يسيئ إلى الإسلام أكثر مما يحسن إليه، وهذه معضلة، يعني هذا الشيء في تركيبة المسلمين سواء في تعاملهم، في أساليب تعاملهم، في أساليب حياتهم، في فهمهم لمختلف الأمور، فمنهم من يُنفِّر للناس من الإسلامي أكثر مما يجذبهم إليه، وهكذا فالعملية معقدة جداً، ولكن غياب القيادات وغياب التنظيمات القادرة التي لديها الإمكانيات الصحيحة والحقيقية والفعالة لحشد هذه الإمكانيات وتوجيهها التوجيه الصحيح للتعريف بالإسلام هو لاشيء الغائب، وهو الشيء المفقود في الساحة الإسلامية في الغرب.

علينا أن نعترف اليوم أن هناك قصوراً في الجانب الإسلامي في إبلاغ الصوت العربي والإسلامي إلى المجتمعات الغربية بصورة صحيحة. صحيح أن المسألة تحتاج إلى إمكانيات وطاقات ولكنها قبل ذلك تحتاج إلى رؤية، فما معنى أن تحتضن الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من 7 ملايين مسلم دون أن نستفيد من هذا الحضور في ترسيخ الصورة الإيجابية عن الإسلام والمسلمين الذي أصبح هو تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن عند أغلب وسائل الإعلام الأمريكية؟.

عملياً يمكننا أن نؤكد أن صورة الإسلام في الغرب قد تغيرت إلى حد ما بعد ما عرف العالم براءة المسلمين من حادث أوكلاهوما، وكذلك التغطية الإعلامية لأحداث كوسوفو والبوسنة، والعنف الوحشي الصهيوني الذي صورته صورة استشهاد الطفل محمد الدرة، ومقتل الطفلة إيمان حجو، وتزايد عدد المسلمين الأوروبيين. ولكن، لا يحول ذلك من أن تتخذ المبادرات الصادرة عن المسلمين أنفسهم من داخل

وخارج العالم الإسالمي، والتي تهدف إلى إزالة العديد من نقاط سوء الفهم التي تهم علاقاتنا بالغرب بصفة عامة، ولا نريد أن نسرد لائحة طويلة من التوصيات الذي تطرقنا إليها في ختام مؤلفنا الذي يحمل عنوان: «صورة الإسلام في الإعلام الغربي»، ولكن، يمكننا مثلاً أن نتساءل عن السبب الذي يقف دون أن ننشئ قناة فضائية تبث باللغات الأجنبية، تشرح الحضارة الإسلامية والدين كأحد مكوناتها، وأن نمول إنتاج أعمال تلفزيونية وسينمائية عن الحضارة والثقافة الإسلامية، على أن تكون باللغات الأجنبية، وتكوين (مجموعة ضغط) إعلامي ثقافي لتصحيح ما ينشر عن الإسلام، والرد عليه أيضاً عبر جرائد تصدر بلغات أجنبية عن إحدى دور النشر العربية في المهجر، خاصة وأن الجيل الجديد من مسلمي أوروبا والدول الغربية عموماً يبدو أوفر حظاً في التفاعل الإيجابي المثمر مع الساحة الإعلامية الأوروبية من سابقه، وهذا ما نلمسه من خلال معاينتنا الميدانية والجولات والحوارات التي نجريها في البلدان الأوروبية.

يمكننا أيضاً إعداد عدة دورات تدريبية للإعلاميين الشبان وللمسؤولين في مؤسسات نفع عام في أوساط الأقليات الأوروبية المسلمة، والعمل على إطلاق مشروعات إعلامية، تتركز على ميادين مكافحة التشويه في وسائل الإعلام، وإنتاج المواد الإعلامية، وإعداد بحوث ودراسات معمّقة، وتأهيل الإعلاميين الناشئين، ولن يتم كل هذا إلا باستحضار رؤى واستراتيجيات عمل واضحة من لدن المسؤولين المسلمين سواء في الدول الإسلامية أو في الدول الغربية التي تشهد حضوراً متصاعداً للأقليات المسلمة.

أخيراً، وليس آخراً، نحتاج اليوم إلى أن نكون على وعي تام بدور الإعلام في بلورة خطاب وصورة تشرف الإسلام والمسلمين. فنحن في أمس الحاجة إلى بلورة خطاب إعلامي عصري وموضوعي، يغزو الأسواق الغربية، ويتجاوز الإطلاقات المتناقضة، ويعلو على النزعة العاطفية، ويؤسس رؤية معرفية إسلامية مستقلة وشاملة، ويرتكز على الانفتاح النقدي، يعلي من شأن الأمة كبديل عن الاهتمام بالدولة المركزية خاصة وأننا نعيش في فترة تتميز بحضور متصاعد لمفهوم «أمة المواطنة»، وهذا يتطلب من المسؤولين على الخطاب الإعلامي على أن يكونوا مدركين للبعد الحضاري حتى يساهموا في التفعيل من أسلمة المعرفة الإسلامية. وكما أشرنا في خاتمة مبحثنا حول صورة الإعلام في وسائل الإعلام الغربية، نلح كثيراً على دور الأقليات المسلمة التي يمكن أن تشكل قوة ضغط فعالة، خاصة في ظل سيادة أجواء حرية التعبير وحرية التفكير في الدول الغربية، مما يتطلب مساعدة هذه الأقليات واستثمار قدراتها وأمكاناتها.



الطفلة الشهيدة إيمان حجو



الخـوف من الإسـلام في المجتمـع الأوروبـي

د. آن صوفي روال ★



يُلمّح مصطلح (الخوف من الإسلام) إلى الخوف أو الرُهاب من الدين الإسلامي وتابعيه، إن مفهوم (الخوف من الإسلام) لاينطوي على الخوف وحده، ولكن يشتمل على حملة يشعر المسلمون أنها تشن على الإسلام والمسلمين، ولهذا يمكن تعريف (الخوف من الإسلام) على أنه خوف من الإسلام والمسلمين قد يعمل على تفعيل الحملة المضادة للإسلام ضد المسلمين.

إن مفهوم (الخوف من الإسلام) يعتبر نسبياً مفهوماً جديداً. وتوجد كتبٌ بلغاتٍ عديدةٍ تتعامل مع هذه الظاهرة بشكلٍ عامٍ ولكنها لا تشير إلى هذا المفهوم. وكمثالٍ على ذلك كتابي إدوارد سعيد «الإستشراق» (1978) وحماية الإسلام (1981) وكتاب التهديد التالي: التصورات الغربية للإسلام (1995) الذي حرره الباحث الهولندي يوشن هيبلير والصحفي الألماني أندريا لويج وبصدور كتاب صامويل هانتينجتون «صراع الحضارات وإعادة وضع النظام العالمي» (1996) فقد أصبح هذا المفهوم واضحاً لدى المثقفين الذين درسوا صفات الإسلام والمسلمين عن طريق وسائل الإعلام الغربي، وحديث العامة، وأطروحة هانتينجتون، بكل اختصار، تقول بأن ما يتعارض مع تطورات المستقبل من حيث الاختلاف الثقافي وكذلك الديني سوف يكون مقضياً عليه، مثلما هو الحال بالنسبة للتعارض من الناحية الفكرية والاقتصادية، زد على ذلك فإنه يعتقد بأن: حتى الدولة الأمة إذا ما استمرت في كونها الممثل القوي في سياسات العالم فإن الصراع سوف يكون بين الأمم والجماعات ذات الثقافات المختلفة، وتجدر الإشارة إلى أنه وبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة الأمريكية أصبح كتاب هانتينجتون ضمن قائمة المائة كتاب الأكثر مبيعاً في واحد من أكبر مراكز البيع الآلي في الولايات المتحدة. WWW.amazon.com

وفي بريطانيا أُجري بحثٌ حول مفهوم (الخوف من الإسلام) ففي عام 1996 عينت مجموعة شركات (Runnymede Trust) لجنة للتحري حول تعابير (الخوف من الإسلام) في البلاد، وفي العام 1997 أعلن وزير الداخلية البريطاني نتائج هذا التحري: تقرير الخوف من الإسلام: تحدٍ لنا جميعا. والتقرير كان مبنياً على معلومات تم جمعها من المسلمين في

★ جامعة مالمو / السويد

❖ نقله عن الإنجليزية: منصور أبو رخيص/ليبيا

بريطانيا، وكان الهدف من ذلك هو إيجاد دليل مضاد للفكرة الشائعة أن الإسلام الذي نخشاه هو دين له نظام متجانس، ولكن دون أي تطوير داخلي، ولا تنويع ولا حوار من جهة، ومن جهة أخرى الإشارة بأن (الخوف من الإسلام) ليس خطراً على المسلمين في بريطانيا، بل على المجتمع البريطاني بأكمله، ويشرح التقرير (الخوف من الإسلام) تفصيلا ويقدم مقترحات بالإجراءات التي يجب إتخاذها على مختلف المستويات في المجتمع من قبل الحكومة، المدرسين، القانونيين، الصحافيين، وكذلك الزعماء الدينيين والعرقيين.

والخطوة التالية في التطور الذي حدث بالنسبة للقبول الرسمي لمفهوم وظاهرة (الخوف من الإسلام) حدث في شهر أي النار من عام 2001 عندما تم القبول رسمياً بالتعابير المتعلقة بالخوف من الإسلام كمظهر من مظاهر التعصب، إنسجاماً مع العنصرية ومعاداة السامية، والخوف من الأجانب، وذلك من قبل منتدى ستوكهولم الدولي لمحاربة التعصب، وقبل ذلك فقد ترددت العديد من الحكومات في ربط (الخوف من الإسلام) بأشكال التعصب الأخرى وكنتيجة للإعلان الصادر عن هذا المنتدى يتوقع أن يكون لمفهوم (الخوف من الإسلام) تأثير أعظم على الساحة الدولية في المستقبل القريب.

أسباب (الخوف من الإسلام):

إن أسباب (الخوف من الإسلام) قد تكون دينية أو ثقافية أو سياسية أو عنصرية أو إقتصادية، وقد تم إبراز أسباب عديدة لتوضيح التعارض بين المسلمين وغير المسلمين في المجتمع الغربي، وأحد هذه الأسباب هو نظرية (كبش الفداء): مجموعات من الناس تحتاج إلى اضطهاد مجموعات مضادة أخرى أو أفراد جسديا أو عقليا، من أجل تكوين شعور أو لُحمة بين المجموعة الأولى (وعلى سبيل المثال راجع ما كتبه هيبلير ولويج عام 1995)، إن شرعية هذه النزاعات القبلية يمكن إيجادها في حركية الجماعات الداخلة والجماعات النازحة (أنظر تيرنر وجايلز 1981)، وكمثال على ذلك المذابح المدبرة ضد اليهود عبر التاريخ عندما تمت التضحية باليهود كجماعة مضادة دينياً أو إجتماعياً، وسياسياً وفقاً لحاجة محددة لمجتمع الغالبية في فترات مختلفة من التاريخ (على سبيل المثال أنظر فلانيري 1965).

إن (الخوف من الإسلام) من الناحية الدينية قد يكون مبنياً على الفكرة الشائعة بأن الأفكار الإسلامية تمثل تهديداً لوجهات النظر العالمية في العالم الغربي، هذا وقد تمت تقوية هذه الفكرة في فترة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ومن منظور أي دخيل على الوضع فإنه ليس بالضرورة الإحساس بالتطورات العقائدية القائمة بين مختلف الحركات الإسلامية، تلك التطورات التي يوجد نظيرها في اليهودية والمسيحية، وكمثال على تلك التطورات هو اعتبار الإسلام ديناً عنيفاً أو معادياً للمرأة، وهذا يتباين مع حقيقة أن الكثير من الجماعات والحركات الإسلامية قد عانت من تغير المواقف تجاه هذه الأمور بشكل يختلف ضمنياً مع التغيرات في اليهودية والمسيحية.

الخوف من الإسلام من الناحية الإقتصادية يبرز إلى السطح في أوقات الكساد الإقتصادي، عندما تكثر البطالة وتزيد النفقات الإجتماعية، فيتم وضع اللوم على المهاجرين وخاصة المسلمين.

أما (الخوف من الإسلام) من الناحية الثقافية فقد يكون مبنياً على منظور (نحن) و(هم) حيث إن غير المسلمين في تلك الأماكن من العالم - وحيث يسود الإسلام - أقل قبولاً للصفات الوراثية

والتركيبات الإجتماعية من أولئك الموجودين في الغرب، هذا المنظور محصورٌ في النموذج الإجتماعي النفسي الذي طوره عالم الإجتماع نوربيرت إلياس ضمن آخرين ممن يحثون على قيام الشخص بإجراء مقارنة بين ما يطبقه الآخرون عملياً مع تلك المفاهيم الخاصة بهم شخصيا، كما لاحظ بأن أي جماعة موجودة في المجتمع ينعتون الجماعة الدخيلة ككل بالصفات السيئة التي يتحلى بها القسم الأسوء من الأقلية الشاذة من هذه المجموعة (انظر إلياس 1994: الجزء 19)، وعلى سبيل المقارنة يقول إلياس إن الشكل الذاتي للمجموعة المؤسسة حديثاً يميل إلى تأكيد صورته المثلى استناداً إلى الصفات الحسنة التي تتمتع بها أقلية من أفضل أعضائها (أنظر إلياس 1994: الجزء19)، وبهذا فإن أيدولوجيا مجموعة الأغلبية وسلوكها يعتبران متفوقين بالنسبة لتلكما الخاصتين بمجموعة الأقلية. وبصرف النظر عن الحكم على الفرد أو المجموعة وفقاً للصورة المثلى والحكم على الدخيل أو المجموعة الدخيلة وفقاً لممارساتها أو تصرفاتها الفعلية..فإن الأفراد المنتمين لمجموعتي الأغلبية والأقلية يميلون إلى جعل أنفسهم وكذلك الآخرين في قالب الفكرة السائدة عنهم فيما يتعلق بخواصهم المشتركة كأعضاء لهذه الجماعات (تيرنر و جايلز 39: 1981).

هذا ويمكن أن نأخذ تصرفات المسلمين بشكل مجرد ونظري في ضوء المواجهة الثقافية الحالية بين المسلمين المهاجرين والمجتمع الغربي. وقد أشار الباحثون مثل ألبرت حوراني (1980)، إدوارد سعيد (1978)، مكسيم رودينسون (1974)، جون إسبوزيتو (1992) وفريد هاليداي (1995) بأن النزاع بين الغرب والإسلام قد تأصلت جذوره منذ قرون مضت، عندما إمتد نفوذ الإسلام إلى أوروبا، وكذلك الصليبين في القرون الوسطى، ويرى رودينسون أن المسلمين كانوا يمثلون تهديداً للنصرانية الغربية قبل أن يصبحوا مشكلة بوقت طويل (رودينسون 1974: 9)، كما تم الإستشهاد به من قبل إسبوزيتو (1992: 37) الذي كتب:

«إن التوسع المبكر للإسلام بشكل ناجح قد شكل تحدياً عقائدياً وسياسياً وثقافياً ساهم في نشوء تعثر أعاق التفاهم وجعل منه تهديداً للغرب المسيحي، إن الإسلام والمسيحية ديانتان تمتلكان صفة الرسالة والمهمة العالمية للخلاص التي إذا أمعنا النظر فيها فإننا نرى أنه مقدراً لها أن تؤدي إلى مواجهة بدلا عن تعاون مشترك» (إسبوزيتو 1992: 25).

إن وضع الجاليات المسلمة في أوروبا وبصفة خاصة في اسكنديتافيا يمكن النظر إليها على أساس الوضع اليهودي في التاريخ القديم، حيث يرفض الكثير من المسلمين التماشي مع أعراف مجتمع الغالبية.

ويتحدث إسبوزيتو عن التداعي بين النصرانية والإسلام من الناحية العقائدية حيث يقول:

«كل جماعة تعتقد أن ميثاقها مع الله هو تنفيذ الوحي الإلهي الذي سبق نزوله لقوم سبقوهم كانوا من الضالين» (إسبوزيتو 1992: 38)، وعلى أية حال فهو يوسع تحليله لتغطية الدوافع السياسية أيضا حيث يقول: « حيث أن للمسيحيين اليد العليا في علاقاتهم مع اليهود الذين يعيشون كما لو كانوا جماعات أقلية صغيرة، لهذا لم يتم اعتبار اليهود مصدر تهديد، ومن ناحية أخرى فقد اعتبر نجاح المسلمين قوة يبدو أنها ستخرج عليهم يوماً من أي مكان لا يتوقعونه لكي تهدد وجودهم ذاته ووجود النصرانية» (إسبوزيتو 38:1992).

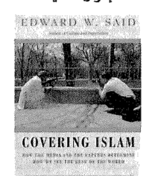
إن الصراع بين القوتين قد بلغ أوجه في زمن الحملات الصليبية التي استمرت من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر، وفي فترة أخرى من النزاع كانت القوة الإسلامية أكبر من تلك المسيحية،

حيث قام المسلمون عام 1453 بفتح العاصمة البيزنطية القسطنطينية وأطلقوا عليها اسم إسطنبول.

وقد انتهت أيام المجد الإسلامي بمواجهة جديدة مع الغرب، حيث أن القوات لاستعمارية كانت في حاجة إلى الشرعية لتبرير احتلالها للمناطق الإسلامية في القرن الثامن عشر وما بعده، فقد بدأ انتشار الأفكار العنصرية التي تروج إلى أن الإسلام دين عنيف وهمجي، ويهدف إلى الحرب ومعاداة النساء، وقد أوضح إسبوزيتو كيف أن البعثات التنصيرية المسيحية أصبحت جنود المشاة للتوسع الأروبي والهيمنة الإمبريالية في العالم الإسلامي (إسبوزيتو 48:1998) ويكتب أيضا حول الحديث البريطاني عن أعباء الرجل الأبيض، والحديث الفرنسي حول مهمتهم في نشر المدنية (إسبوزيتو 48:1992)، هذا ولم يكن الإستعمار مجرد كسب مادي، لكنه كان وسيلة فرض الافكار الغربية الشائعة على بقية العالم.



إدوارد سعيد



وقد لاحظ إدوارد سعيد في كتابه المشهور (الإستشراق) أن الغرب قد فرض حواراً على (الشرق) مبنياً على علاقة السلطة القائمة بين الإثنين، وحيث إن الغرب لديه معرفة بالشرق بإعتبار أنه الذي حدد مفهوم كلمة الشرق Orient فقد كان قادراً على السيطرة عليه. زد على ذلك فإن المعرفة المتوافرة لدى الغرب عن الشرق لم تكن مثل تلك التي يعرفها الشرق عن نفسه (إدوارد سعيد 1978)، ووفقاً لما يراه إدوارد سعيد فإن للغرب موقفاً خاصاً تجاه الشرق، وخاصة الشرق المسلم، وأحد هذه المآخذ هو أن الشرق يمثل الجاذبية الصوفية التي يمكن مشاهدتها في الصور الجذابة للنساء المحجبات الغامضة والمتقلبة، وكمثال على ذلك (تجربة فلابيرت الشرقية) التي تعتبر ـ حسب رأي سعيد ـ شكلا من الاندماج بين الشرق والجنس (إدوارد سعيد 1978: 188)، كما أن المغامرين الأوربيين مثل: ريتشارد بيرتون، جيرترود بيل، تي إي لورانس، وكذلك وليام تايسنجر الذين زاروا العالم العربي كثيراً بحثاً عن المغامرة كانت لديهم أيضا ذات المفاهيم.

والموقف الثاني من الشرق هو اعتباره نظاماً مبنياً على أفكار وترصفات غير طبيعية وشاذة، ومثلاً على ذلك وجهة نظر كرومر حول الشرقيين كأجناس مستهدفة، حيث الأروبي هو المسبب القريب، إن تعليقاته في الواقع تخلو من أي غموض، وهو منطقي بشكل طبيعي، ولو أنه لم يسبق له دراسة المنطق إلا أنه بطبعه نزاعٌ إلى الشك، حيث أنه يحتاج إلى دليل قبل أن يقبل أية حقيقة أو خبر يحتمل الكذب أو الصدق، حيث إن ذكاءه المدرب يعمل كالقطعة التقنية (وقد تم الإستشهاد بكلام كرومر من قبل سعيد 38:1978) بعكس ذلك فإن الشرقي من وجهة نظر كرومر يبدو أنه مختلف تماما، وهو يقول:

«إن عقل الإنسان الشرقي: من ناحية أخرى، مثل الشوارع ذات الصور الرائعة تتطلب تفوقاً في التنسيق، إلا أن مبرراته تعتبر من أعظم الوصفات غير الدقيقة، إذ أنه ورغم أن العرب الاوائل نالوا وكان لديهم أعلى المستويات العلمية في مجال المنطق، إلا أن أحفادهم كانوا غير أكفاء في ملكاتهم المنطقية، وكانوا غالباً عاجزين على التوصل إلى أوضح الخلاصات لأية مقدمة منطقية قد يعترفون بالحقيقة بشأنها، وإذا حاولنا استنباط مجرد إقرارٍ بالحقائق من أي مواطن مصري عادي فإن توضيحه سوف يكون بشكل عام طويلا، ويريد توضيح بُعد نظره، لكنه

سرعان مايناقض نفسه مرات عديدة قبل أن ينتهي من سرد قصته، كما أنه سوف ينهار عند أقل استجواب لمعرفة الحقيقة » (استشهاد سعيد بكروم 1978: 38)

أما اليوم فإن هذا الموقف الإستعماري أو الإستشراقي تجاه المسلمين بشكل عام قد تغير شكله، ولكن ليس في محتواه، حيث لم تعد المواقف الإستشراقية أدباً عالي الجودة، ولم تعد كذلك أدباً للإعلام الشعبي وأشرطة الخيالة وأكشاك الكتب.

وقد ناقش كل من هيبلر ولويج تعبير (الخوف من الإسلام) من الناحية السياسية، رغم عدم الإشارة لهذا المفهوم بشكل صريح. وقد نبّه الكاتبان إلى كيفية تقديم الإعلام لانطباعات حول خطر آت من الشرق، وفي هذه الصورة تحت عنوان (الإسلام أحياناً تحد وأحياناً تهديد)، (هيبلر و لويج 1995:1) يقول الكاتبان:

«إن التهديد قد يكون روحانياً (دينيا) كشكل شرقي مضاد للحضارة الغربية، وقد يتسبب في وقف ضخ النفط، أو في غزو ثقافي من قبل المهاجرين من تركيا أو المغرب، وقد يكمن في القنبلة الذرية الإسلامية، في الإرهاب، أو في الثورة الإسلامية الأصولية العالمية بالقالب الإيراني التي يتم التهديد بها، وقد يرى فيها البسطاء معركة للإسلام ضد المسيحية أو ضد الكفار، وتوجد تصورات لهذه التهديدات في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، أحيانا جنباً إلى جنب، وأحياناً بشكل منفصل، وأحياناً تنموان فجأة وتنافس كل واحدة الاخرى، وفي أحيان أخرى تنتظمان في تركيبة واحدة، كل ذلك حسبما هو مطلوب أو مرغوب في وضع معين. (هيبلر ولويج 1995:1).

وعليه فإن فكرة كون الإسلام يمثل تهديداً لأمن الدول الغربية موجودة على مستويات متعددة، وقد يُنظر لهانتينجتون كأبرز متحدث متميز حول حقيقة هذا التهديد (هانتينجتون 1993 و 1996). ومن ناحية أخرى فإن الكاتبين الغربيين مثل إسبوزيتو وهاليداي ناقشا مصداقية هذا التهديد بمفردات أكثر واقعية (إسبوزيتو 1992، هاليداي 1995).

وفي تحليلاته يقارن إسبوزيتو الشعور الشعبي السلبي المثير للعواطف تجاه الإسلام والمسلمين بالشعور القوي المضاد للشيوعية في الولايات المتحدة في الفترة التي سبقت سقوط الستار الحديدي، ويقول:

«وعلينا أن نتعلم درساً من فشل محلل موهوب إستمر يهدد من خطر الشيوعية الملحدة بينما الواقع أن الإتحاد السوفييتي كان يُعتبر سلة إقتصادية ستتفتت ذاتيا، أما المحللون الجزئيون الذين يقومون بدعم الفكرة الشائعة المريحة وافتراضات العلمانية الغربية فلابد وأنهم يبالغون في الأمر، لو كان علينا أن نتجنب المآزق أو تحيزات التحاليل السياسية المنجرفة وراء تهديد مبالغ فيه» (إسبوزيتو 1992: 174).

وتتركز فكرة إسبوزيتو على أن التنويع من قواعد السياسة الإسلامية، مشيراً إلى أن الحركات السياسية الإسلامية لا يجب إعتبارها التهديد الوحيد للمجتمع الغربي، مشيراً إلى عدد المرات التي طالبت فيها الكثير من الحركات الإسلامية لسنوات كثيرة بتأسيس دولة إسلامية، ولكن دون أية نتائج ملموسة (إسبوزيتو 1992: 213، 214)

ومن وجهة نظر إسبوزيتو فإن الشعبية التي تبدو للحركات الإسلامية خلال العملية الإنتخابية في بعض الدول الإسلامية، هي بسبب كون هذه الحركات أكثر البدائل مصداقية وفاعلية في هذه اللعبة (إسبوزيتو 1992:14)، ولهذا فهو يشير ضمناً إلى أنه في الكثير من الدول الإسلامية تم تأسيس أحزاب سياسية مدعومة من قبل القوات الغربية، ثم اتضح انها غير جديرة بثقة السكان الاصليين من المسلمين، هذا التصريح المكبوح الذي قدمه إسبوزيتو يشير إلى

النزاع بين الغرب ومصالح السكان المسلمين، حيث يكون الدعم الغربي لبعض الحكام المسلمين مبنياً على أساس الحفاظ على الإستقرار في المنطقة المسلمة، أكثر منه لرعاية مصالح المسلمين (النصراوي 1991)، وكمثال على ذلك الدعم الإقتصادي الضخم والمستفز لصدام حسين بعد الثورة الإيرانية عام 1979، وعندما كان موقف حسين يمثل الإستقرار في المنطقة في ذلك الوقت، وصدام حسين وقتها حسبما وصفه الإعلام الغربي الحاكم المطلق والطاغية المستبد تجاه شعبه، لم يشر لهذه الصفات خلال الحملة الإعلامية الداعمة لصدام والمضادة لإيران في الثمانينيات.

ويرى هاليداي «أن هناك أربع فترات من النزاع بين الإسلام والغرب غير المسلم» (هاليداي 71:1995) وهو يشير إلى الثلاث الأولى منها بقوله:

« إن صحوة الإسلام في نهاية القرن السابع والتي أوصلت جيوشه إلى صقلية، وأيضا داخل فرنسا عندما انتهت حروب القرون الوسطى للصليبيين، وعندما تم إيقاف الزحف العثماني في القرن السابع عشر في فيينا، أما الفترة الثالثة فقد بدأت في أواخر القرن الثامن عشر عندما أخضعت الدول الاوربية العالم الإسلامي لسيطرتها السياسية والإقتصادية» (هاليداي 1995: 71).

أما الفترة التي يشير إليها هاليداي بأنها لم تنته فيمكن تتبعها بالعودة إلى الحرب العالمية الثانية، رغم أنه يشير إلى بداية السبعينات كنقطة محددة لبدء التفاعل المسلم وغير المسلم، وهو يعتبر أكبر إختلاف بين الفترات الثلاث الأولى والفترة الأخيرة هو مشاعر الانتماء للأمة الإسلامية التي أصبحت سائدة في العصر الحالي، وهذا لم يخلق نزاعاً مع العالم الغربي فقط بل كذلك مع السكان غير المسلمين في العالم الثالث. (هاليداي 71: 1995).

ويتحدث كلٌ من إسبوزيتو وهاليداي حول التهديد السياسي للإسلام فيما يتعلق بمدى تهديد الأمة المسلمة المحتمل للنظام السياسي الغربي، ومع أحداث 11 سبتمبر الإرهابية في الولايات المتحدة كأسلحة للمتطرفين المسلمين تجاه الهيمنة الغربية قد أوصلتها إلى قائمة المناظرة القائمة حول مدى التهديد الذي يمثله الإسلام، هذا التهديد على أية حال ثبت أنه تهديد تجاه الناس الذين يعيشون في الدول الغربية «الذين كانوا في المكان الخطأ والزمان الخطأ» وليس تهديداً للنظام السياسي الغربي أو الحكومات الغربية التي كانت أكثر تصوراً لهذا التهديد في الفترة التي سبقت أحداث 11 سبتمبر.

إن (الخوف من الإسلام) من الناحية الدينية قد يكون مبنياً على الفكرة الشائعة بأن الأفكار الإسلامية تمثل تهديداً لوجهات النظر العالمية في العالم الغربي.

إن (الخوف من الإسلام) من الناحية السياسية مبني على فكرة أن الإسلام يشكل تهديدا، حيث يمثل الإسلام والمسلمون خطراً على العالم الغربي بمختلف مستوياته الاجتماعية.

أما (الخوف من الإسلام) من الناحية العنصرية فقد يكون مبنياً على النظريات العنصرية، حيث تبرز جماعات عرقية معينة كممثلين للإسلام، ويكون قد تم تصنيفها في مرتبة أقل من أغلبية الجماعات. وفي السويد ـ على سبيل المثال ـ فإن الناس القادمين من دول تكون اللغة العربية هي لغة الأغلبية يتم ربطهم بالإسلام ويتم اعتبارهم كائنات دونية. وفي النرويج حيث الجماعات الجنوب آسيوية هي أكثر الأقليات فإن الباكستانيين يعانون من مصير مشابه للجماعات التي تتحدث اللغة العربية في السويد. وعلى سبيل المثال فإن الإهانة بلفظ (باكي) يتم إستخدامه كثيراً كلفظ للدلالة على سوء المعاملة في النرويج.

أما (الخوف من الإسلام) من الناحية الإقتصادية فهو يبرز إلى السطح في أوقات الكساد الإقتصادي، عندما تكثر البطالة وتزيد النفقات الإجتماعية، فيتم وضع اللوم على المهاجرين وخاصةً المسلمين.

تعابير (الخوف من الإسلام)

ترى ماريان جاليستان أن انتقاد المسلمين في الوضع الرسمي يمثل جزءاً من الاتجاه القائم في أشكال مختلفة عبر القارة الأوربية (جاليستاد 17: 2002)، ومختلف الأشكال الحديثة للإسلام والمسلمين ولصيغ (الخوف من الإسلام) في الدول الأوربية وفقاً لأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحددة، والجماعات المهاجرة المسيطرة فيها، وفي بريطانيا ـ على سبيل المثال ـ فإن الجاليات الهندية والباكستانية تسيطر على الوضع الإسلامي على أساس الخواص التي يمارس بها أعضاء هاتين الجاليتين عباداتهم، وبالمثال في ألمانيا فإن الإسلام التركي هو المسيطر، ويمنح المرجعية للألمان لفهم الإسلام والمسلمين، وأما الدول الإسكندنافية فهي تتنوع فيما بينها، ففي النرويج الجالية الباكستانية هي الأكبر، وفي السويد المسلمون الشرق أوسطيون المتحدثون باللغة العربية هم الذين يضعون معايير تصور السويد للإسلام، وفي الدنمرك فإن المسلم قد يكون تركياً أو باكستانياً أو مغربيا. ولهذا فإنه وعلى الرغم من وجود أفكار واسعة الإنتشار في العالم الغربي على مستوى العام، إلا أنه على المستوى المحدد أو الدقيق فإن أشكالا خاصةً تم تكوينها من خلال ممارسة إسلامية معينة وكذلك من خلال الصفات الثقافية لمجتمع الأغلبية.

و(الخوف من الإسلام) أولا وأخيراً يتم التعبير عنه بشكل واضحٍ وصريحٍ في أجزاء من الصحف الشعبية الصغيرة والقنوات المرئية التجارية، فيما يتم التعبير عنه بشكل ضمني وغير صريح في الصحف الصباحية والقنوات المرئية الرسمية، والوسائل الإعلامية في وصفها للإسلام والمسلمين تهدف إلى خلق تصورات سلبية تخدم الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين على مختلف المستويات. وللحملة المعادية للإسلام عدة أبعاد، كل واحد منها يعكس خرافة كون الإسلام يمثل تهديداً للعالم الغربي. هذه الخرافة مبنية على فكرة أن الإسلام نظام متجانس، في حين أنه ليس الجانب السياسي للنشاط الإسلامي الذي يأتي ليمثل الإسلام والمسلمين بشكل عام، ولكنه أكثر أشكال الناشطين تطرفا وعنفا، وقد أجرى الباحث السويدي حاقان هفيتلفيت تحقيقاً صحفياً حول مدى التغطية السويدية لأخبار الإسلام خلال السنوات 1991 / 1995، حيث لاحظ أنه يتم التركيز في البرامج التي تشير إلى الحرب والإرهاب واضطهاد الكفار (غير المؤمنين)، أما البرامج التي تشير إلى وضع المسلمين أو الدين أو الاندماج في المجتمع الأوربي فهو أقل تكرارا، ولهذا يعتقد هفيتفيلت بأنه ليس من الضروري النظر إلى الإسلام عبر الناس الذين يمثلونه، حيث أن الإسلام يمثل غير المألوف أو غير المعروف، وعليه يمكن فهمه من قبل غير المسلمين فيما يتعلق بالعداوة (هفيتفيلت 1998).

في الفترة اللاحقة للهجمات على الولايات المتحدة في خريف 2001 كثرت التعابير المضادة للإسلام والمسلمين، وفي البدء تم تحميل المسلمين بشكل جماعي الإثم الخاص بارتكاب هذه الهجمات في الفضاء الرسمي، ثم طلب إلى الجالية المسلمة على مختلف مستوياتها في المجتمع أن تعبر رسمياً عن رفضها لما حدث، رغم أنه وفي الأسابيع الأولى بعد الهجمات وُجهت الدعوة لممثلي المسلمين للمشاركة في المقابلات والمناظرات المرئية وعبر الصحف، إلا أن تعابير (الخوف من الإسلام) أصبحت أكثر قبولا في الإذاعة المرئية وفي الصحف، وعلى سبيل المثال

فقد سمحت بعض المقالات الصحفية لكي تنحدر مجادلاتهم بطريقة توحي بأن مجموعة صغيرة من المسلمين اعتبرت نموذجاً لجميع المسلمين (وعلى سبيل المثال راجع كتاب سيد سفينسكا وذا جبلاديت 2:2001/9/19)، وفي المناقشات التي تمت كردة الفعل الأمريكية والتي أدت إلى قصف العديد من الدول الإسلامية، فقد أصبح المسلمون يعتقدون بأن (الخوف من الإسلام) من الناحية العنصرية قد زاد، وتم التقليل من أهمية المسلمين بالنسبة للأوروبيين والأمريكيين.

جعل المرأة المسلمة ضحية:

إن النزاع بين الإسلام والغرب، والذي يبدو بشكل كبير نزاعاً سياسيا، كثيراً ما يصبح ـ كما تم وصفه أعلاه ـ أكثر منه أحادي الأبعاد كلما أصبح الجدل السياسي أكثر تشدداً، وعلى أية حال فعندما يتم تحويل شكل التهديد إلى المستوى الإجتماعي تظهر عندها الفكرة التي تشير للإسلام كدين عدواني بالنسبة للنساء، بحيث أصبح هو موضوع الجدل الرئيسي في معاداة الإسلام في المجتمع الأروبي، وكمثال على ذلك نجد أن قصف أفغانستان قد تم تدريجياً تحويله إلى حرب لتحرير النساء الأفغانيات اللاتي أجبرن على تغطية كامل أجسادهن وارتداء حجاب الوجه.

الخوف من الإسلام من الناحية الثقافية قد يكون مبنيا على منظور (نحن) و(هم).

إن جعل المرأة المسلمة ضحية، والتعبير بشكل يومي بأن النساء المسلمات مضطهدات، بحيث جعل الرجال المسلمين عموماً ممن يسيئون معاملة النساء والأطفال، ولكنهم لا يعبرون عنها بشكل واضح، بل بشكل ضمني.

وقد بدأت طباعة الكتب والمقالات على المستويات الأكاديمية والشعبية في العالم الغربي حول النساء المسلمات، والعلاقات بين الجنسين من وجهة النظر الإسلامية بشكل متواضع خلال الفترة الإستعمارية، إلا أنها زادت في الثمانينيات بعد الثورة الإيرانية، وبلغت أوجها مع بداية الألفية الثالثة، وتظهر الزيادة الضخمة في إنتاج الكتب في الثمانينيات وما بعدها الإهتمام السياسي، لأن تمويل البحوث يبلغ ذروته إستناداً لقرارات سياسية.ولكن على أية حال فإن هذا الإنتاج يشير أيضاً إلى اهتمام الجمهور، حيث المحررون بمختلف مستوياتهم يقبلون المقالات أو الكتب ذات الأهمية الخاصة، وهذه المقالات والكتب تتناول النساء المسلمات بشكل عام، وكذلك النساء المسلمات في المجتمعات الإسلامية وفي المجتمع الغربي (على سبيل المثال أنظر مقدم 1990، سبيلبيرج 1994). في البداية كان المؤلفون بشكل رئيسي من غير المسلمين، إلا أنه وبعد أن أصبحت النساء المسلمات يواصلن دراستهن العليا في الجامعات الغربية، زاد عدد النساء المسلمات اللاتي يكتبن عن أنفسهن، أو عن الإسلام، أو الأمور المتعلقة بالجنسين، وأحد الامثلة على ذلك هو كتاب ليلى أحمد بعنوان (النساء والجنس (ذكر / أنثى) في الإسلام 1992) والكتاب الآخر هو (نساء عربيات في الميدان 1988) بقلم س. التركي، وسي إف الصلح الذي يعتبر مهماً لأنه يحكي قصة باحثتين عربيتين تعيشان وتعملان في المجتمعات الغربية، عادتا إلى بلاد نشأتهما الأصلية لإجراء بحث ميداني عن النساء هناك، وأعتقد أن المحاولة الأخيرة تعتبر علاجا للمنظور الدخيل، حيث أن النساء غير المسلمات تملن للكتابة وتعريف بالنساء المسلمات وفقاً لتسلسل تقييمهن ومفاهيمهن، وقد أكدت ذلك عالمة الإنثروبولوجي وزير جيهان كريم في كتابها (الذكر والأنثى في تنمية جنوب شرق آسيا) حيث تنتقد الطريقة التي يفهم بها الباحثون الغربيون المرأة الملاوية، إذ تقول:

إن النظرة السائدة بأن النساء يختلفن عن الرجال ويؤدين أعمالا مختلفة عنهم يجب ألا يُفهم منها أنهن أقل شأناً من الرجال، أو أقل أهمية منهم، على الأقل ليس بعد أن تم إخبارهن بذلك من قبل الداعين للحداثة، والمدافعين عن الأنماط الغربية للتغيير والتطور (كريم 1995: 14)، وطبقاً لرأي كريم فإن التمييز بين التشابه والقدرات هو الذي يعكس طريقة التفكير الجنوب شرق أسيوي، حيث إن الناحية البيولوجية والجسدية والنفسية هي عوامل تجعل المراة مختلفة عن الرجل. ولكنها ليست أقل شأناً أو تابعة للرجل بأي حال من الأحوال» (كريم 1995: 14)

وتنتقد فاطم ةجوشيك وشيفا بلاغي أيضا الدراسات المتعلقة بالعالم الثالث، التي غالباً ما تشتمل على عناصر إستشراقية تتعامل مع المعاملات الاجتماعية في الثقافات والمجتمعات (غير مجتمعاتهن) حيث تعتبرها راكدة، أو على الأكثر كمشتقة (جوشيك وبلاغي 1994: 5) حيث تؤكدان أن تلك الدراسات تميل إلى الإشارة إلى التقاليد بشكل يُؤسسُ على الفكرة الخاصة بثبات التقاليد لغرض إيجاد العذر لهيمنتهم، وتحتاج النظرة الغربية إلى إبراز صورة التقاليد في الشرق الأوسط كقوة ثابتة (جوشيك وبلاغي 1995: 5).

وقد تم تأكيد الملاحظة الواردة أعلاه في الدراسة التي قام بها عالم الاجتماع (بريان تيرنر) بإسم (الإستشراق وما بعد الحداثة والعولمة) حيث تناول بالنقاش في هذا الكتاب كيفية ظهور الإستشراق في علوم الاجتماع (تيرنر 1994)، وقد أشار إلى أربعة عوامل رئيسية، من بينها فكرة الركود الاجتماعي في المجتمعات الشرقية (تيرنر 1994).

وقد كانت استجابة المسلمين لموضوع النساء المسلمات ومنزلتهن في الإسلام منذ البداية في شكل اعتذار، ثم قام المسلمون بهجوم مضاد مروجين لفكرة أن الإسلام يعطي النساء حقوقهن الفعلية، بينما يستغل العالم الغربي النساء على مختلف مستوياته.

ويقترح حمودة عبدالعاطي أفكاراً مشابهة في كتابه (مقدمة للإسلام) في السبعينات، وفي الفقرة الخاصة بوضع النساء في الإسلام يشير عبدالعاطي إلى أن وضع النساء ليس مشكلة «وأنه لم يكن ليثار لولا ضغوط الثقافات الأجنبية والنفوذ الأجنبي (عبدالعاطي 1990: 217/218)»، ويستمر في الإشارة إلى حقوق النساء ووضعهن المساوي للرجال (عبدالعاطي 1990: 219/220). وما كتبه عبدالعاطي وغيره هو دفاع عن الدين الإسلامي ورسالته الاجتماعية، بينما انتقاد غير المسلمين للإسلام في حده الأقصى يأتي استجابة للوضع الحقيقي للنساء في العالم الإسلامي، وكذلك لدى الجاليات المسلمة في الدول الغربية، وباختلاف كل منها في طريقة معالجته للموضوع من خلال مجالات اجتماعية دينية تجعلهم يصلون إلى خلاصات أو نتائج بحوث مختلفة.

الأدب الشعبي:

هناك باحثون يميلون إلى التحيز في بحوثهم المتعلقة بالمسلمين بصفة عامة، والإسلام بصفة خاصة (هانتينجتون 1996، سيفان 1992)، وعلى أية حال فإن الأدب الشعبي وإنتاج الخيالة والمرئي والإعلام هي الجهات التي تتولى بشكل رئيسي إظهار الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين. وقد ناقش ماجنوس بيرج المتخصص السويدي في علم الأجناس ما أسماه «النظرة العالمية للإستشراق الشعبي»(بيرج 1998)، وقد طور في دراسته وأفكاره أخذاً من دراسة سعيد حول الإستشراق، مجادلاً أن الإستشراق الشعبي - حسبما يُشار إليه في الكتب الشعبية وأشرطة الخيالة - لا علاقة له بالمستشرقين ولا الشرق ذاته بأكثر من علاقته ببحث الغربيين عن الهوية، ويؤكد قائلا:

«إن الإستشراق الشعبي لا علاقة له بالشرق، إن الشرق والإستشراق الشعبي هو عالم خيالي سافر إليه الغربيون بحثاً عن هوية، ويبدو أن هذا البحث عن الهوية جوهري، أما الشرق فهو موضوع ثانوي من حيث الأهمية، يتم تشكيله داخلياً لتسهيل البحث عن الهوية، أو غرفة تستطيع الدراما الغربية أن تلعب فيها أدوارها، وتعيش في شكلها المتطرف (بيرج 1998: 156) «الترجمة بمعرفة الكاتبة» .

وقد توصل بيرج إلى هذه النتيجة بتفحص فكرة التهديد الإسلامي بإمعان، حيث إنه يُعبرُ عنها بشكل خاص في أشرطة الخيالة الأمريكية، وقد شاهد الأفلام التي تظهر كيف يهزم الرجل الغربي الأبيضُ التهديد الإسلامي، وكمثال متميز على ذلك شريط (الاكاذيب الحقيقية) عام 1994 بطولة أرنولد شوازينيجر وجامي لي كيرتس، حيث يبرز التهديد الإسلامي في الحركة العنيفة (للجهاد الأحمر)، ومن الجدير بالذكر أن مخرج الشريط جيمس كاميرون قد تمكن من دمج التهديدين في واحد (الشيوعية والإسلام) وقام بذلك في التسعينيات عندما كان هناك ارتباك في شأن ما إذا كانت قد تبقت أية حياة للشيوعية، أم أن الإسلام قد نهض ليصبح العدو الجديد.

ووفقاً لوجهة نظر بيرج فإن هذا الشريط يُظهر التغييرات المعممة فيما يتعلق بقواعد العلاقة بين الجنسين في المجتمع الغربي في أواخر القرن العشرين، حيث تظهر شخصية الأنثى في نهاية الشريط مندمجة ضمن النظام الذكوري، أو وفقاً لمنطق الرجل، ومن ناحية أخرى يُظهر الشريط انتصار الرجولة الغربية المتحكم فيها لأغراض معينة على رجولة الشرقي المتقبلة المتعصبة العدوانية، وعلى أية حال فإن بيرج يشير أيضاً إلى كيف يُظهر الشريط التزعزع وعدم الإستقرار في قواعد العلاقات بين الذكر والأنثى، ولايربط بيرج فكرته عن الشرق بشكل واضح، حيث إن بحث الغرب عن الهوية ومشكل التغير في قواعد العلاقات بين الجنسين في المجتمع الغربي قد خلقت عدم الشعور بالأمان، خاصة بالنسبة للرجل وفكرة الرجولة. كما أنه لا يناقش ما إذا كانت الصورة الغربية للذكور الشرقيين توفر وسيلة للإبقاء على نزعات هوى أو عُدوانية أو عاطفية دون وعي، وعلى أية حال فإن بيرج يوضح بشكل ضمني هذه الفكرة عن طريق الإشارة في كتابه، آخذا عن جوليا كريستيفا:

«إن النرجسية العتيقة ـ الأنا» /....×/ تظهر مخارج عما تواجهه روحانياً أو عاطفياً من تجارب تعتبر خطيرة أو غير سارة /....×/ وهذا يخلق زوجين غريبين ومنذرين بالخطر ومتلبسين (بهما مس من الشيطان) /...×/ وهو صورة لزوجين فاسدين أخذ عنهما الجزء الهدام الذي لا يمكن السيطرة عليه أو التحكم فيه (بيرج 1998: 20، كريستيفا 1991: 192) «الترجمة بمعرفة الكاتبة».

وهذا الجدل مرتبط بشكل واضح مع فكرة لويج بأن صورة المرأة المسلمة المقهورة يخدم غرض إبعادنا عن الأشياء الخطأ في مجتمعنا، حيث تُعتبر هذه المفاسد مقبولة أكثر لو كانت تجربة شخص آخر أكثر سوءاً (لويج 1995: 20) وتستطرد لويج في تحليلها كيف أن فكرة بؤس آخر قد تخلق شعوراً بالتفوق لدينا، وهي تربطه بشعور الغرب بالتفوق على الدول الإسلامية، وهي تورد ما كتبته آن كاترين ريوليك:

«وفي الإعلام الشعبي فإن اتخاذ شكل المرأة المقهورة خلف الحجاب ـ كرمز لتخلف القرون الوسطى بالنسبة للدول الإسلامية ـ يوفر مادةً للحديث المركز عليه حول سيادة وتفوق الغرب

ملاحظة: (× هذه الفرغات موجودة في النسخة الأصلية الواردة من الكاتبة)

(ريوليك في كتاب هيبلر ولويج 1995: 20).

عليه فإن لويج وريوليك ينظران بطريقة مشابهة لبيرج إلى التصورات الغربية والهجوم الغربي على الإسلام بمثابة أمور داخلية، وليس كتصرفات قصدها تحسين أوضاع المسلمين، وقد لاحظت لويج أنه نادراً ما يسمح للنساء المسلمات بالحديث عن أنفسهن في الصحافة النسائية، ولهذا فهي تقول إن النساء المسلمات هن بشكل رئيسي: ضحايا (لويج 1995: 18).

ومن الجدير بالذكر أن بيرج ولويج يشيران إلى كتاب بيتي محمودي الشهير (ليس بدون ابنتي) (1988) وتأثيره على مفهوم المرأة المسلمة كمضطهدة (لويج 1995: 19، بيرج 1998: 59)، وقد يقول أحدنا إن فكرة المرأة المسلمة المضطهدة قد انتشرت بسبب هذا الكتاب بشكل كبير في جميع أنحاء العالم الغربي، وتقول لويج إن الكتاب قد بيعت منه عشرات الأضعاف في الولايات المتحدة عما بيع في ألمانيا (لويج 1995: 19)، هذا ورغم أن كتاب محمودي هو قصة رجل إيراني واحد إسمه مودي، وكيف جعل زوجته تضطر إلى خطف ابنتها والخروج بها من إيران.

والقصة في مضمونها تؤكد تعميم استبداد الزوج الشرقي والمرأة المسلمة المضطهدة، وهذا من المثير في ظل الشخصيات النسائية القوية في أقارب مودي الإيرانيات في هذا الكتاب، ويبدو أن القارئ الغربي يشير إلى/ ويفسر الشخصيات المختارة من القصة في سياق مفهومه للمرأة المسلمة المضطهدة، وليس للنساء الإيرانيات القويات في الكتاب.

وجيرالدين بروكس هي كاتبة أخرى سافرت إلى الشرق الأوسط، وكتبت انطباعاتها عن اجتماعاتها مع النساء المسلمات، وعلى أية حال فإن كتابها (أقسام الرغبة التسعة: العالم الخفي للنساء المسلمات) لا يعدو كونه مجرد وصف لانطباعاتها عن مقابلات أجرتها مع نساء من ديانات ودول أخرى مثل إيران، العراق، أثيوبيا، والإمارات العربية المتحدة. وتجدر الملاحظة أن بروكس نفسها يهودية، وهذه حقيقة تعترف بها في نص كتابها (بروكس 1995: 105) ولكنها لم تشر إلى ما إذا كانت النساء اللاتي زودنها بالمعلومات على علم بانتسابها الديني، كما أنها لم تشر في الكتاب إلى الدور الذي لعبته يهوديتها في التأثير على انطباعاتها حول أوضاع النساء المسلمات، آخذين في الاعتبار العداوة القائمة بين الدولة اليهودية (إسرائيل) والعالم الإسلامي، والتي تعتبر الأكبر تأثيراً بين المسلمين واليهود في عالم اليوم، ويبدو أن هذا النقاش ضروري للتفسير الدقيق لنتائج بحثها.

إن كتاب بروكس هو مثير ويحوي لمحات ذكية، ولكن على أية حال فإن أسلوبها الهجائي مغر، ويخفي كونها قد اختارت وانتقت عيناتها ممن يعززن نظرتها السلبية تجاه الإسلام، وممارسات المسلمين. ومثالا على ذلك نجد أنها في القسم التاريخي عندما تتناول أحداث ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها تشير إلى أن بعض النسوة في المنطقة العربية (حضرموت) قد احتفلن بموته بالخروج إلى الشوارع وضرب الدفوف فرحاً بذلك. وقد كتبت:

«من يدري من الذي حفز النساء للقيام بإحتفالهن المنتفض والمتهور؟ وبالنسبة إليهن فربما كن يعتقدن أن دين محمد الجديد قد جعل حياتهن أكثر أعباء وأقل حرية، والكثير من المساوئ كانت آتية.حيث كان سيشرع في قمع النساء إلى حده الأقصى من قبل خلفه أبوبكر وهو العنيف عمر كاره النساء كخليفة للمسلمين» (بروكس 1995:88).

وفي هذا القسم من الكتاب فإنها تؤسس نقاشها على إجحاف الخوف من الإسلام، وهذا الإجحاف يمنعها إذن من القيام بمناقشة متوازنة حول الحدث التاريخي. ولم تشر بروكس صراحة إلى ما إذا كانت النساء موضوع الحديث مومسات، أو ممن يعشن حياة

طليقة، ولكن يبدو أنها تعتبرهن كذلك، حيث لم يتعد تعبير أبوبكر عنهن بـ مومسات حضرموت» (أنظر: بروكس 1995: 88). وبهذا فإنه يمكن القول إن بروكس ضمنياً قد ساوت حقوق المرأة في ممارسة الدعارة مع حقوقها بصفة عامة، جاعلة القارئ يعتبر العبء الذي وضعه الإسلام على هؤلاء النسوة في ممارسة الرذيلة بمثابة نكران لحقوق المرأة.

ولموازنة حدث المناقشة يمكن لنا القول إن هؤلاء النسوة ربما لم يكن مومسات، ولكن كلمات أبي بكر هي فقط التي ترى ذلك، إن فرضيات بروكس في هذا الشأن تمثل تفسيراً خاطئا للأحداث التاريخية، إنه فقط من المحتمل أن يكون تمردهن يعكس موضوع السلطة حول من يجب أن يحكم حضرموت؛ ولمن يجب أن يتم تقديم فروض الطاعة والولاء ؟ وقد تكون أمراً له علاقة بالنواحي الإقتصادية، أي أنه تمرد ضد الضرائب التي يجب على القبائل المسلمة دفعها للسلطة الإسلامية المركزية، ومهما كان السبب فإن تفسير بروكس للتفاصيل يُعطي القارئ نظرة سلبية عن الإسلام بصفة عامة.

زد على ذلك المثال الآخر على مدى احتقارها للعرب والمسلمين في القصة التي روتها عن لقائها بالملكة نور والملك حسين ملك الأردن (بروكس 1995:119ـ141) إن نظرتها تجاه الملك والملكة، وكذلك التنمية في الأردن تعتبر إيجابية. وعندما تستمر في روايتها فإنها ترجع كل التطورات التي تمت في الأردن إلى تأثير الملكة نور على زوجها، كما لو أن تركيبة المرأة (الغربية) والرجل هي أفضل وسيلة للنجاح. ولتؤكد فكرة أن الملكة نور هي القوة المحركة للتغيير في الأردن فإن بروكس تبدأ الفقرة المعنونة بإسم (ملكة) بقصة حول ملكة سبأ في القرآن والتي تقول:

«إني وجدت امرأةً تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم» (القرآن 27:23) (بركس 1995: 119).

وفي هذا الجزء من الكتاب يبدو واضحاً وجلياً ما ورثته بروكس من المفكرين المستشرقين.

الإعـــلام:

يلعب الأدب الشعبي دوراً في تكوين النظرة الشعبية للإسلام والمسلمين ولكنه الإعلام، الصحف، المجلات، والإذاعة المرئية.. التي كثيراً ما نراها الداعية الاكبر لخرافة كون الإسلام يمثل تهديدا، وان المرأة المسلمة هي ضحية. وفي كتابها حول أحاديث الصفوة النرويجية المثقفة عن الأمور النرويجية وتلك المتعلقة بأمور المهاجرين تناقش جاليستاد كيف أن الإعلام غالباً ما يساهم في عملية تكوين أية صورة عندما يتم اللجوء للإجحاف بدلاً من التحليل (جاليستاد 33:2002).

> **الدول الاسكندنافية معزولة بحيث يوجد تفاعل قليل بين الجاليات.**

إن الدول الإسكندينافية معزولة بحيث يوجد تفاعل قليل جداً بين الجاليات العرقية، وبناءً على إحصاء وطني أُجري عام 1995 فإن 85٪ من الجماعات العرقية الدنمركية ليس لها أي تفاعل مع أي أفراد من جماعات عرقية أخرى (حسين 2000: 116)، ويرى عالم الإجتماع الدنمركي مصطفى حسين أن الإعلام هو الوسيط الرئيسي بين غالبية المجتمع الدنمركي والجماعات العرقية، وفي هذا الشأن يقول:

«نظراً لقلة التجربة الشخصية مع الأقليات فإن المواضيع والأمور التي تصبح محل اهتمام الجمهور حول الأقليات تعود إلى المصادر الإخبارية، وهذه المخطوطات أو الأشكال هي التي تكون الرأي النشط أو مجموع مواقف معظم الناس في غالبية السكان، وعليه فإن الإعلام يقدم تعريفاً مسبقاً لمشاكل الأقلية، بحيث يقوم الناس استناداً إليها بتكوين آرائهم »(حسين 2000: 110).

ويشير حسين إلى أن أحاديث الإعلام لا يتم إعادة إنتاجها في ظل الإتصالات الإجتماعية كتقليد مباشر أو تكرار النص الحرفي للمواد الإعلامية (حسين 2000: 110) حيث إن الإعلام ليس قادراً وحده على تغيير القيم الأساسية أو المعتقدات المشتركة في المجتمع، ويقترح:

«رغم زيادة الإنتاج انتشار الصور السلبية للأقليات: فإنه وعبر مناورات استراتيجيات الإقناع والاختيار والتكرار والتأكد، ويمارس الإعلام تأثيراً ملحوظاً على الجمهور والسياسيين لكي يؤدي بهم إلى التعامل مع الحقيقة العرفية بأن الإعلام هو الذي يكون أحاديث الأخبار» (حسين2000: 110).

وتتنوع التغطية الإعلامية لأمور المهاجرين والمسلمين والإسلام في الدول الأوروبية، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن الإعلام عندما يشير إلى المهاجرين فإنه يربطهم دائماً بالإسلام والمسلمين. وفي معظم الدول الأوروبية فإن المهاجر بحد ذاته هو مسلم دون النظر إلى جنسيته. إن هذه الفكرة الشائعة تؤكدها دراسة قام بها حسين عام 1996، حيث لاحظ كيف أن من أجرى معهم المقابلات يميلون إلى الحديث عن المسلمين والإسلام، حتى ولو كانت الأسئلة الموجهة إليهم كانت حول ثقافة المهاجرين بصفة عامة (حسين 109:2000)، ويوضح حسين أيضا كيف أنه حتى في نصوص أخبار الإذاعة المرئية يكون مفهوم المهاجر لصيقاً أو مساوياً لكلمة مسلم (حسين 2000: 105).

الإعلام في الدول الاسكندنافية عندما يشير الى المهاجرين فإنه يربط ذلك بالمسلمين.

الإنطباعات:

إن (الخوف من الإسلام) إضافة إلى الاسباب التي تمت مناقشتها أعلاه يعود إلى محاولات المسلمين الحفاظ على دينهم والإمتناع عن أن يتم إستيعابهم في مجتمع الاغلبية، وفي إطار عملية العولمة ـ حيث تميل الخصوصية الغربية إلى الإنتشار في جميع أنحاء العالم ـ فإنه يوجد ادعاء ضمني للتكيف يشير إلى رفض المسلمين لذلك، إن عمليات العولمة في الحقب التاريخية السابقة مثل (الهيلينية) اليونانية التي تطورت من عولمة الخصوصية اليونانية، وأصبحت عاملاً أساسيا في الإبادة للديانات التقليدية، إلا أنها في الواقع وضعت الأساس للدين الجديد لكي يعتنقه العالم، وهو المسيحية. ومن بين الديانات القديمة فإن الديانة اليهودية عملياً هي الوحيدة التي نجت، ويمكن أن يُعزى ذلك إلى أن اليهود كانوا يعيشون ويتصرفون في مناطق معزولة، رافضين أن يكونوا جزءاً من البوتقة التي تنصهر فيها مكونات أي مجتمع. ولعل اللحمة الدينية والثقافية القوية لليهود تكون هي السبب الذي جعلهم قادرين على تحمل الضغوط المسيحية التي كانت سريعة الإنتشار.

إن وضع الجاليات المسلمة في أوروبا وبصفة خاصة في إسكندينافيا يمكن النظر إليها على أساس الوضع اليهودي في التاريخ القديم. حيث يرفض الكثير من المسلمين التماشي مع أعراف مجتمع الغالبية، خاصة عندما تتعلق بالفردية وحرية الإختيار للفرد، حيث إن الكثير منهم يأتون من مناطق ريفية، ولديهم صعوبة في التكيف مع الحياة الحديثة في المجتمع المضيف. عليه فإن هذا، بالإضافة إلى الشكل الإنعزالي للمجتمع الإسكندينافي، جعل الكثير من المسلمين يعيشون ويتصرفون في مناحي مختلفة من الحياة أكثر من معظم أعضاء مجتمع الغالبية.

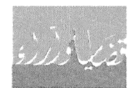
ومن ناحية أخرى فإن أولئك المسلمين الذين لديهم الرغبة في الإندماج عليهم تحمل الصعاب التي سيواجهونها، مثل مواجهة صعوبات في سوق العمل، وسوف يكونون مثل اليهود الذين أصبحوا يعانون من

اختيارهم التنوير وفق ما ذكره الكثيرون من المهتدين الجدد في هذه الدراسة فإن على المسلمين الذين اختاروا أن يكونوا جزءاً من المجتمع سوف تستمر معاملتهم على أساس كونهم غرباء.

ويشعر المسلمون بأن (الخوف من الإسلام) هو سبب مشكلة تناول الصفات الدينية والثقافية لهم بألفاظ مخزية ومهينة. ويقول مهاجر مسلم يعيش في الدنمرك: «كيف يمكنني أن أحس بأنني أعيش في موطني في مجتمع ينظر بتعال لي ولكل ما أمثله؟» وفي بريطانيا يؤخذ (الخوف من الإسلام) على محمل الجد، وفقاً لتقرير صدر عن مجموعة شركات (Runnymede Trust) رغم وقوع إضطرابات عنصرية خطيرة في بعض المدن الشمالية. أما في إسكندينافيا فإن الإعلام السويدي بالذات هو الذي لعب دوراً في بعض التوازن في نقل الأخبار المتعلقة ببعض الأمور الخاصة بالمهاجرين. ويعترف ممثلوا الإعلام السويدي بمسؤولية الإعلام عن توليد تعابير (الخوف من الإسلام) بينما لا يعترف بهذه المسؤولية بالكامل في كل من النرويج والدنمرك.

المراجع

- عبدالعاطي، حمودة 1990 «مقدمة في الإسلام الكويت» ـ الإتحاد الإسلامي الدولي لمنظمات الطلاب.
- أحمد، ليلى 1992 «المرأة ومشكلة الجنس (ذكر / أنثى) في الإسلام» نيو هافن ولندن ـ مطبعة جامعة بيل.
- التركي والصلح 1988 «المرأة العربية في الميدان» نيويورك ـ مطبعة جامعة سيراكوزا.
- بيرج، ماجنوس 1998 «حدود Brucksvarde och varldsbild En essa om popularorientalismens ستوكهولم: مطبعة كارلسون».
- بروكس، جيرالدين 1995 ـ أقسام الرغبة التسعة: العالم الخفي للنساء المسلمات ـ نيويورك مطبعة إنشر بوكس.
إلياس، نوربيرت وسكوتسون جي إل 1994 «الراسخ والدخيل» لندن ـ مطبعة ساجي،
- إسبوزيتو، جون، «التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة» نيويورك وأكسفورد ـ مطبعة جامعة أكسفورد.
- فلانيري، إدوارد 1965 «كرب اليهود» نيويورك ـ دار نشر ماكيلان.
- جاليستاد ماريان 2002ـ Det norske sett med nye oyne أوسلو المطبعة الجامعية.
- جوشيك، فاطم موجي وبلاغي، شيڤا 1994 « إعادة بناء الجنس (ذكر / أنثى) في الشرق الأوسط» نيويورك ـ مطبعة جامعة كولومبيا.
- هاليداي فريد 1995 «الإسلام في خطر: السلطة ورشدي والنضال من أجل روح مهاجرة» ضمن كتاب يوشن هيبلر وأندريا لويج «التهديد التالي: التصورات الغربية للإسلام» ـ أمستردام ـ مطبعة بلوتو مع المعهد الإنتقالي الصفحات من 71 الى 81.
- هيبلر، يوشن ولويج، أندريا 1995 سلتهديد التالي: «التصورات الغربية للإسلام» ـ أمستردام مطبعة بلوتو مع المعهد الإنتقالي(TNI).
- حوراني، ألبرت 1980 «أوروبا والشرق الأوسط» بيركلي ـ مطبعة جامعة كاليفونيا.
- هانتينجتون صموئيل 1993 «صراع الحضارات» الجزء 72 رقم 3الصفحات من 22 الى 49.
- حسين مصطفى 2000: «الإسلام، الإعلام والأقليات في الدنمرك» في علم الاجتماع الحديث (الجزء 484) لندن ـ مطبوعات ساجي الصفحات من 95 إلى 116.
- هفيتفيلت، حاقان 1998:
och rasism .R Den muslimska faran- om mediebilden av islam . Svensk nyhetsjournalistic om invandrare , flyktingar ستوكهولم مطبعة Iylva Brune (ed) Mork Magi I Vita Medier كارلسونس الصفحات من 72 حتى 84.
- كريم، وزير جيهان 1992: الذكر والأنثى في جنوب شرق أسيا المتطور ـ لندن دار نشر بيرج.
- كريستيفا، جوليا 1991: Framlingar for oss sjalva . Stockholm : Natur och Kultur
- مسعود، إنفير 2000: الحرب على الإسلام Va-Madrasah Books
- مقدم، في إم 1990: «الجنس (الذكر / أنثى) والتنمية والسياسة: نحو الإنصاف والتفويض في الحقوق: هلنسكي ـ المعهد الدولي لابحاث التنمية الإقتصادية بجامعة الأمم المتحدة.
- النصراوي، عباس 1991: «القومية العربية، النفط والإقتصاد السياسي الاتكالية أو الإعتماد على الغير» ـ نيويورك ـ مطبعة جرين وود.
- روالد، آن صوفي 2002: من «وطن الشعب» إلى التعددية الثقافية: المسلمون في السويد ـ تحت الطبع بمطبعة أيفون حداد ـ من زوار إلى مواطنين ـ نيويورك مطبعة جامعة أكسفورد ـ الصفحات من 101 حتى 120.
- روالد، آن صوفي 2004: «المسلمون الجدد وفق السياق الأوربي» تجربة مهتدين إسكاندينافيين ـ بريل ـ ليدين.
- رودينسون، ماكسيم 1974: «الصورة الغربية والدراسات الغربية للإسلام» في كتاب «لتراث الإسلامي» لجوسيف سخاخت وسي إي بوزورث أكسفورد ـ مطبعة جامعة أكسفورد
- مجموعة شركات: The Runnymede Trust (الخوف من الإسلام) تحدي لنا جميعا.
- سعيد، إدوارد 1978: «الإستشراق» ـ نيويورك ـ دار نشر فإنتاج.
- 1981 «Covering Islam» نيويورك ـ دار نشر بانثيون بوكس
- سيد، بوبي 1997: «خوف أصولي: المركزية الأوربية وظهور الفكرة الإسلامية» ـ لندن و نيويورك ـ زيد للكتب المحدودة.
- سيفان، إي 1992: «الإسلام الراديكالي» في كتاب عن المجتمعات البشرية: مقدمة في علم الإجتماع ـ كمبريدج ـ مطبعة بوليتي الصفحات 237ـ 249
- سيبليبرج، دينيس أ 1994: «السياسة، الجنس (ذكر / أنثى) والماضي الإسلامي» تراث عائشة بنت أبي بكر ـ نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.
- تيرنر، بريان 1994: الإستشراق، مابعد الحداثة والعولمة ـ لندن ـ دار نشر روتليدج.
- تيرنر، جون سي و جايلز، هاورد 1981: التصرفات داخل الجماعة ـ أكسفورد ـ دار نشر بازيل بلاك ويلwww.amazon.com.



حول ثقافة كراهية الإسلام في الفكر الغربي

د. محمد السماك *

المواعظ الدينية التي ألقاها الجنرال وليام بويكين نائب وزير الخارجية لشؤون الاستخبارات في عدد من الكنائس الاميركية وهو بالزي العسكري لم تأت من فراغ. صحيح أنها تعرضت لانتقادات شديدة من شخصيات سياسية في الحزبين الجمهوري والديمقراطي، ومن شخصيات دينية مرموقة تمثل عدداً من الكنائس الاميركية الكبيرة، إلا أن الصحيح أيضاً أن إتهام المسلمين بأنهم يعبدون الأصنام وأنهم يستهدفون الولايات المتحدة لأنها أمة مسيحية، وان الاسلام يمثل الشيطان، ان هذه الاتهامات تعكس ثقافة دينية عميقة الجذور في التربية المدنية والسياسية.

في منتصف القرن التاسع نشر المؤرخ البيزنطي جورج هامر تولوس كتاباً عن تاريخ الانسانية، في الصفحة 235 من هذا الكتاب وصف المسلمين بأنهم «رجال أغبياء مشوشي العقول»[1]. ومن بعده وجه الراهب الفرنسي هيو كلوني (1049-1119) رسالة إلى أحد الأمراء المسلمين دعاه فيها إلى الارتداد عن الاسلام واعتناق المسيحية، مبرراً دعوته بقوله «لقد خدع الشيطان أحفاد اسماعيل بالنسبة لإيمانه بمن يعتقدون أنه نبي، فكان طبيعياً أن يكون عقابهم نار جهنم»[2].

وفي أواسط القرن التاسع عشر حرمت الحكومة الانكليزية على رعاياها شرب القهوة، كانت حبات البن تعرف يومذاك باسم «حبات محمد» وكان هناك اعتقاد بأن من يشرب القهوة يرتد عن مسيحيته الى الإسلام وأن الاتراك المسلمين يتآمرون على المسيحية في بريطانيا من خلال القهوة.

من يشرب القهوة أيرتد عن المسيحية!!

وقد تمكن رئيس اساقفه كنتربري الأسقف لاند من استصدار قانون عن مجلس العموم في عام 1637 يمنع أي بريطاني من اعتناق الاسلام.

قبل وفاة الرئيس الاميركي الاسبق ريتشارد نيكسون صدر له كتاب عنوانه «اقتناص اللحظة» كشف فيه بكثير

* رئيس لجنة الحوار الإسلامي - المسيحي / لبنان

1 - Gaudeul, Encounters and clashes, Vol. II, P. 78

2 - Ibid. Vol. II, P.19

من الوضوح عن ثقافة كراهية الاسلام فقال في الصفحة 195[1]:

«يحذر بعض المراقبين من أن الاسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة. وان نمو عدد اتباعه، ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيسياً، وأن الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معاد وعنيف، ان وجهة النظر هذه، يضيف نيكسون، تعتبر أن الاسلام والغرب على تضاد، وأن المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه يتألف من معسكرين لا يمكن الجمع بينهما، دار الاسلام، ودار الحرب».



ريتشارد نيكسون

عكس نيكسون في كتابه صورة بشعة عن العالم الإسلامي عندما قال ص194: «إن معظم الامريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهنا إلا لأن الحظ حالف بعض قادتهم وأصبحوا حكاماً على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط».

ولا شك في أن كثيرين في الولايات المتحدة وفي الغرب يشاركون نيكسون وجهة نظره التي يقول فيها ص196 «أنه يوجد في العالم الإسلامي عاملان إثنان مشتركان فقط: هما الدين الإسلامي والإضطراب السياسي».

بعد إنتهاء الحرب الباردة وسقوط الإتحاد السوفياتي وإنحلال حلف وارسو، جرى تصعيد متعمد للعدوانية الغربية ضد الإسلام، حتى أن مدير معهد بروكنغز في واشنطن Brookings Institution هيلموت سوننفيلد Helmut Sonnenfeldt يقول: «أن حلف شمال الأطلسي سوف يعيش، وأن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة. وستبقى هذه المجموعة متماسكة معا من خلال الشعور بخطر خارجي: الموقف من الفوضى أو التطرف الإسلامي».

وفي ربيع 1990 ألقى هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركية الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية، قال فيه: «إن الجبهة الجديدة التي يتحتم على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، بإعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب». وأن حلف الأطلسي باق، رغم انخفاض حدة التوتر بين الشرق والغرب في أوروبا، ذلك أن «أكثر الاخطار المهددة للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا. وفي نهاية التسعينات فإن أخطر التحديات للغرب ستأتي من ناحيتي الجنوب (أي المغرب العربي) والشرق الأوسط».

وكانت مجلة الايكونوميست البريطانية المعروفة برصانتها قد نشرت في الوقت نفسه على الغلاف موضوعاً بعنوان: «الإسلام الايديولوجية البربرية المعادية للغرب».

وجاء في دراسة أخرى نشرتها مجلة ألمانية متخصصة في الدراسات الاستراتيجية.[4] إثر إنتهاء الحرب الباردة وسقوط الشيوعية في عام 1990 أعلن الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ولي كلايس (تولى منصب وزير الإقتصاد في بلجيكا فيما بعد): «لقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نتخلى عن خلافاتنا وخصوماتنا السابقة وأن نواجه العدو الحقيقي لنا جميعاً وهو الإسلام، وأن الأصولية الإسلامية هي على الأقل في مستوى خطورة الشيوعية سابقاً».

وفي شهر الصيف - (يونيو) من عام 1994 انتهت مهمة الجنرال جون كالفان القائد الأعلى لقوات حلف شمال الأطلسي، وفي الإحتفال التكريمي الذي أقيم له في بروكسل، ألقى كلمة تحدث فيها عن الآفاق المستقبلية للحلف ولدوره.

3 - Richard Nixon, Zeize the Moment, Simon Schuster, N.Y. 1992 P. 194

4 - Blaetter fuer deutshe u. internatınale Politik 10/1990, P.1158-1163

تستوقفنا من كلمته العبارة الآتية: «لقد ربحنا الحرب الباردة وها نحن نعود بعد 70 عاماً من الصراعات الضالة إلى محور الصراع القائم منذ 130 سنة إنه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام».

الواقع أن المشاعر المعادية للعرب وللمسلمين تجعل من هذه الصورة الجديدة للعدو، المقررة سلفاً والمخطط لها أسرع انتشاراً وأكثر قدرة على الاستقطاب.

يبدو ذلك واضحاً من إسراع مجموعات من منظمة الخضر بألمانيا اثر إحراق آبار النفط الكويتية على يد قوات الغزو العراقي في عام 1990 للحديث لا عن صراع بين الإسلام والغرب فقط، بل بين الإسلام والتنوير أو التحرير أيضاً.

وطالب آخرون من الخضر الألمان ببوليس دولي لحماية البيئة من العرب.

وفي أعقاب المحاولة الإرهابية الأولى التي إستهدفت برجي التجارة العالمية في نيويورك في عام 1993، نشرت مجلة نيوزويك الأمريكية بتاريخ 15 الربيع (مارس) 1993 دراسة مطولة، عنونت لها على الغلاف بما يلي :

«الرعب البارد، الإرهاب اليوم: الدور الإسلامي»، وقد تصدرت الغلاف صورة لشاب ملتح يحمل غلافاً خارجياً للمصحف الشريف مكتوب عليه الله ومحمد.

وفي الداخل (صفحة 8)، وتحت عنوان: «غضب الإسلام» تساءلت المجلة: هل إن جذور الضربة الإرهابية في نيويورك تنمو في تربة غضب المسلمين الأصوليين ضد الغرب في شمال إفريقيا وآسيا ؟.

وتساءلت المجلة عن الدوافع الكامنة وراء إستهداف الولايات المتحدة من قبل الأصوليين الإسلاميين. وقالت أن لائحة الدوافع طويلة، منها أن الدول الغربية مجتمعة تعمل على اخضاع العراق (قبل عملية الغزو) وهو دولة عربية إسلامية، ومنها أن الصهيونية تتربع فوق الأراضي العربية بمساعدة أمريكية، ومنها إبعاد قياديين مسلمين عن الأراضي المحتلة إلى جنوب لبنان حيث يواجهون البرد في الجبال الجرداء (مرج الزهور) ومنها منع الإسلاميين من الوصول إلى السلطة بوسائل سلمية وديمقراطية كما حدث في الجزائر ومنها مطاردة الإسلاميين في مصر إلخ...

في ذلك الوقت دعا رئيس مجلس النواب الأميركي نيون غينغريش، المجلس «الى وضع استراتيجية متكاملة لمحاربة التوتاليتارية الإسلامية».

يلاحظ المفكر الاميركي صموئيل هنتنغتون في دراسة نشرتها مجلة الشؤون الخارجية (فورن افيرس) الاميركية ونقلت مقتطفات منها صحيفة هيرالد تريبيون الاميركية (عدد الثامن من الصيف/ يونيو 1993) أن المتغيرات الإقتصادية والإجتماعية تفصل الشعوب عن هوياتها المحلية، وفي معظم أنحاء العالم يتقدم الدين لملء هذا الفراغ على يد حركات غالبا ما تتصف بالأصولية كالمسيحية الغربية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية والإسلام.

وفي مقابلة أجرتها معه مجلة تايم الأميركية (28 الصيف 1993) سألت المجلة البروفسور هنتنغتون: أنك تؤكد أن الصراع المقبل الذي سيواجهه الغرب سوف يأتي من العالم الإسلامي. لماذا ؟

يجيب هنتنغتون على السؤال بقوله: «أن الإسلام هو الديانة الأشد صرامة في العالم خارج المسيحية، لا يوجد فصل بين الدين والسياسة. ثانياً، هناك شعور بأن العالم الإسلامي قد تعرض للضرب واستغل على يد الغرب، وأن ثمة نوعاً من الصحوة في طريقها إلى البروز، إن الصراع سيأخذ عدة أشكال. والواحد منا لا يريد أن يظن بأن هذا يعني قيام حرب ماحقة بين الإسلام والغرب».

قبل حادث 11 ـ سبتمبر 2001 كان قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة يعبرون عن كراهيتهم للإسلام، ويصبون جام حقدهم عليه. فهم يعتبرون أن المسلمين بوقوفهم في وجه الإسرائيليين يعطلون المشيئة الإلهية ويؤخرون العودة الثانية للمسيح. ومن أبرزهم جيري فولويل وبات روبرتسون وفرنكلين غراهام وهول ليندسي وكثير غيرهم،

وقد ازداد نفوذ هؤلاء القساوسة السياسي في عهد

الرئيس جورج بوش، فالرئيس الأمريكي مدين لهم بالإنتقال من حالة الإدمان على المسكرات إلى الإيمان بـ «الولادة الثانية» وبالعمل من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح.

وتحت مظلة هذه العلاقة فإن القس ليندسي حذر من «أن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل ولكنهم يريدون تدمير الثقافة اليهودية ـ المسيحية التي تشكل أساس الحضارة الغربية، أنهم كالشيوعيين في أعماق فلسفتهم توق شديد لدفننا جميعاً »[5].

كذلك فإن القس بات روبرتسون وصف الإسلام بأنه «دين الإرهاب»، وأنه يهدف إلى «السيطرة على العالم». كما إتهم المسلمين الأميركيين بأنهم ينظمون خلايا إرهابية لتدمير الولايات المتحدة. وجاءت تلك الإتهامات من خلال برنامجه التلفزيوني الواسع الإنتشار «نادي السبعماية».

ووصف القس جيري فاين Jerry Vine النبي محمدﷺ في مؤتمر المحفل المعمداني الجنوبي الذي عقد في فلوريدا في عام 2002 بأنه الشيطان نفسه [6].

وكان فرانكلين غراهام Franklin Graham وهو نفسه أيضاً الذي ترأس الصلاة الخاصة بمناسبة أداء القسم الدستوري للرئيس جورج بوش الإبن، قد قال عن الإسلام أنه دين شيطاني وشرير[7]، وقال عنه القس جيري فولويل إنه «دين مزور».

إن هؤلاء القساوسة الذين يجاهرون بعدائهم للإسلام ويطلقون يومياً الشتائم بحق النبي محمدﷺ، يشكلون الجسر الديني السياسي الذي يربط بين الرئيس جورج بوش والجنرال أريال شارون، وبين إسرائيل والولايات المتحدة.

إن كاتب خطابات وتصريحات الرئيس بوش هو واحد من هؤلاء القساوسة وهو مايكل جيرسون، ومن السهل تتبع العبارات الدينية ـ التوراتية في كلام الرئيس الأميركي خاصة عندما يتحدث عن الشرق الأوسط.

على أن أشد مظاهر العداء للإسلام لدى هؤلاء القساوسة تظهر عندما يتحدثون عن أي أمر يتعلق بإسرائيل، فقد رفعوا الصوت عالياً ضد اتفاق أوسلو، وضد اتفاق واي ريفر وكذلك ضد قرارات الأمم المتحدة (القراران 242 و 338)، فالقس والتر ريغانز Reggans Walter مثلاً دعا إلى محاربة إتفاقي أوسلو وواي ريفر بحجة أن الإتفاقين يمنحان الشرعية «للطموحات» الفلسطينية في القدس وفي الضفة الغربية، وحذر من أن ذلك سوف يشكل الخطوة الأولى في مسيرة الفلسطينيين «الإرهابيين» نحو القضاء على إسرائيل.

وحتى يعطي هذا الموقف السياسي خلفية دينية أعلن القس ريغانز: «إن إتفاقات السلام هي خيانة لله ولنياته نحو الشعب اليهودي، فالسلام كاذب لأن جذوره تنطلق من الشيطان»[8].

لا يتفرد القس ريغانز بهذا الربط بين السياسي والديني، ذلك أن هذا الربط يشكل القاعدة الثانية في التأويلات التوراتية لأحداث الشرق الأوسط، بل لصناعة هذه الأحداث في ضوء هذه التأويلات.

فالقس كلارنس واغنر Clarence Wagner يقول: «علينا أن نشجع الآخرين على فهم الخطط الإلهية وليس الخطط التي هي من صنع الإنسان في الأمم المتحدة أو حتى في الولايات المتحدة، أو الإتحاد الأوروبي، أو في أوسلو أو واي ريفر..إلخ.. إن الله بعيد عن أن مخطط يعرض مدينة القدس للصراع بما في ذلك منطقة جبل الهيكل وجبل الزيتون وهو أبعد ما يكون عن إعطائها للعالم الإسلامي أن المسيح لن يعود إلى مدينة إسلامية تدعى القدس، ولكنه سيعود إلى مدينة يهودية موحدة تدعى «جيروزالم»[9].

وفي الأول من أينار ـ يناير 2002 حذر القس بات روبرتسون في برنامجه التلفزيوني «نادي السبعمائة» من تدخل الولايات المتحدة في النبوءات الدينية وانتزاع القدس من اليهود واعطائها إلى ياسر عرفات، فإذا استرجعت الولايات المتحدة القدس الشرقية وجعلتها

---

5 ـ H. Lindsay, The Final Battle, P.45

6 ـ Richard Vara, Texas seccesion rumor, attacks on islam mark Baptist meeting, House Chronicle, 10 june (2002)

7 ـ Washington Post, Vol.18, 2001

8 ـ Walter Riggans, The Messianic Community and the Hand Shake, Shalomi. 1995

9 ـ Clarence Wagner, Driving the Nations Crazy, Bridges For peace publication. P.9

10 ـ Howard Mortman, Don't Ignore Pat Robertson, the Frontline, 7 jan.2202

عاصمة لدولة فلسطينية فإن معنى ذلك أننا نسعى وراء غضب الله [10].

وذهب القس روبرتسون إلى أبعد من ذلك عندما وصف اغتيال اسحاق رابين رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق الذي وافق على اتفاق أوسلو مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات بأنه ـ أي الإغتيال ـ عمل من أعمال الله، وأنه حكم الهي نفذ فيه لخيانته شعبه. إن هذه الأرض هي أرض الله، وأن لله كلمات قوية تجاه من يقسم أرضه، لقد استحق رابين غضب الله عندما بدأ يقسم أرض الله [11].

في مطلع شهر الربيع/مارس 2003 نشرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية تصريحاً لوزير السياحة الإسرائيلي بنلي ألون قال فيه: «من الواضح أن الإسلام في طريقه إلى الزوال.. فما نشاهده اليوم في العالم الإسلامي ليس انتفاضة إيمان قوية، بل انطفاء جذوة الإسلام، أما كيف سيزول، فبكل بساطة، بقيام حرب مسيحية صليبية ضد الإسلام في غضون بضع سنوات ستكون الحدث الأهم في هذه الألفية، وطبعاً سنواجه مشكلة كبرى حين لا يبقى في الساحة سوى الديانتين الكبيرتين، اليهودية والمسيحية، غير أن ذلك ما زال متروكاً للمستقبل البعيد»[12].

وفي مطلع الشهر التالي، الطير / أبريل تجمعت أمام الحدود الأردنية ـ العراقية، وأمام الحدود الكويتية ـ العراقية، مجموعات من «المبشرين المسيحانيين»، التابعين للحركة الصهيونية المسيحية مزودين بمساعدات إنسانية غذائية وطبية، مع كميات كبيرة من الكتب والمنشورات الدينية التبشيرية، وتنضوي هذه المجموعات تحت لواء مؤسسة يترأسها فرانكلين غراهام نفسه تدعى Samaritan's Purse أي «المحفظة السامرية» وهو اسم ديني يشير إلى الشهود الأوائل على ظهور المسيح ولا يقتصر أعضاؤها على الامريكيين وحدهم، ولكنها تضم «مؤمنين» من جنسيات أوروبية مختلفة، خاصة من النرويج وهولندا وبريطانيا.

وإذا كانت مهمة القوات العسكرية الأمريكية هي البحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق وتدميرها، فإن هؤلاء المبشرين يؤمنون بأن سلاح الدمار الشامل في العراق، الذي يجب تدميره هو الإسلام الذي يتهمونه بأنه مصدر الفكر الارهابي، والحافز على ارتكاب العمليات الارهابية، كالتي جرت في الولايات المتحدة (نيويورك وواشنطن) وفي إسرائيل (العمليات الإستشهادية).

فالقس غراهام هو الذي قال عن المسلمين في الولايات المتحدة بأنهم «أياً تكن أصولهم فإنهم أعداء للديموقراطية والليبرالية ولطريقة عيشنا»..، وعندما احتج المسلمون الامريكيون على هذه الأقوال لأنها تحرض الامركيين الآخرين عليهم، رد غراهام بقوله: «إن الذين هاجموا الولايات المتحدة ودمروا برجي «مركز التجارة العالمي» في نيويورك لم يكونوا من اللوثريين ولا من الميثوديين، بل كانوا من المسلمين. ولذلك فإن وجودهم يشكل خطراً على المجتمع الأميركي».

ثقافة العداء للإسلام ليست ثمرة جريمة 11 سبتمبر (أيلول) 2001، وإن كانت هذه الجريمة قد وظفت على أوسع نطاق لتعميم هذه الثقافة وتعميقها وتجذيرها في العقول والقلوب، وما سياسة «العقاب الجماعي» التي يعاني منها المسلمون خاصة في الولايات المتحدة سوى أحد مظاهر هذه السياسة التي تتناقض مع الأهداف الأميركية الكبرى.

على أن القضية الكبرى هي أن العالم الإسلامي لم يفعل شيئاً يذكر طوال العقود الخمسة الماضية لتصحيح ثقافة الإستعداء المنغرسة في الفكر الغربي، كان يكتفي بالادانة عن بعد، متكئاً على مخدة نظرية المؤامرة، ثم جاءت أحداث سبتمبر(أيلول) 2001 لتعطي هذه الثقافة مبررات وأبعاداً جديدة تلهب مشاعر الكراهية واللاثقة، ورغم أن بعض الأصوات الاسلامية العاقلة ترتفع من هنا أو من هناك مصححة أحياناً، ومنبهة أحياناً أخرى، فإن صدى أصوات النشاز الإسلامي تذهب بعيداً جداً مثل ضربات الطبل الفارغ..الأمر الذي يعمق الهوة بين الإسلام وثقافة كراهيته واستعدائه.

لقد قررت قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في اجتماعها الأخير الذي عقدته في ماليزيا التصدي لهذا الأمر، إنه قرار حكيم نأمل بأن ينفذ بحكمة.

---

11 ـ Pat Robertson, Pat Answers your question on Israel, 700 Club C.B.N

12 ـ ما هو الهدف الحقيقي لأعمال العنف في الرياض ـ باتريك سيل، جريدة الحياة 2003/5/16.



«التنوع الثقافي» والإسلاموفوبيا

د. خيما مارتين مونيوث *



لقد انتقلنا من خطاب مثالي من الناحية السياسية يقوم على بناء المجتمع المتعدد الثقافات، وجد الكل نفسه في هذه المرحلة مجبراً على التغني بمحاسن التنوع الثقافي، واعتباره واقعاً ايجابياً لا بديل عنه، وانقلب الأمر إلى تصريحات صارمة تظهر مساوئ التعدد الثقافي وتعتبره تهديداً لقيمنا. وفي اعتقادي فإن الطرح في كلا الحالتين افتقر للجدل والتحليل الهادئ والعميق والموضوعي، وقد يكون ذلك ناجماً ـ كما قال أحد مشاهير الإذاعيين الإسبان ـ عن ميزتنا ـ نحن الإسبان ـ والمتمثلة في الإسراع في الكلام دون تفكير أي: التهور، وليس لي إلا أن أضيف أن هذا التهور يزداد كلما تعلق الأمر بالإسلام، ويجب أن نتحلى بالشجاعة لنعترف أن موضوع الثقافة لا يطفو على السطح ولا يطرح للجدل على المستوى العام إلا إذا تعلق بموضوع الإسلام والمسلمين، عندها تتعالى الأصوات المضادة لكل ما هو إسلامي وتسود صورة تدل على مدى شريرية الإسلام. الكل يدلي بدلوه دون أن يكلف نفسه عناء التفكير ودون أدنى قسط من المعرفة الحقيقية بما يقال.

أعتقد بأن موضوع الجدل الحقيقي ليس الإسلام، بل عدم وضوح في المفاهيم، فمسألة الإنخراط الإجتماعي، مثلاً، لم تحدد معالمها بالكامل في إسبانيا، ففي الكثير من الأحيان عندما تطرح المواضيع الثقافية للنقاش والجدل يكون ذلك مجرد محاولة لطمس الخلل أو العيوب الإجتماعية ذات الأهمية الأكبر، فليس في وسع أحد أن يثبت أن مشكلة الإنخراط تجد حلاً سهلاً في مجتمع مسيحي أو كاثوليكي، فأي محاولة لتبسيط الأمور وطرحها على هذا النحو لا تستخدم إلا لتبرير مشاعر «الإسلاموفوبيا»، كالقول إن المهاجرين يشكلون تهديداً لمجتمعنا العلماني في الوقت الذي نرى فيه أن هذه العلمانية ليست كاملة.

> **موضوع الثقافة لا يطفو على السطح ولا يطرح للجدل الا اذا تعلق الأمر بالإسلام والمسلمين وعندها تتعالى الأصوات المضادة لكل ما هو إسلامي.**

من ناحية أخرى يجب ألا ننسى أن مسألة التعدد الثقافي لها جوانب كثيرة لا تقتصر على استيعاب المسلمين أو لا ـ فهناك العديد من الجاليات الجديدة أتت من مناطق جغرافية متعددة ذات طابع ثقافي متنوع، وحيال ذلك فليس لنا إلا أن نتأقلم ونتكيف جميعاً مع الوضع الجديد وهو ليس بالأمر الهين، يجب ألا نقلب الآية ونتعامل مع القضية بتسرع وكرد فعل

* استاذة العلوم الإجتماعية في العالم العربي والاسلامي بجامعة أوتونوما ـ مدريد/ اسبانيا
* نقله عن الإسبانية: خليل حسن صدقة/ اسبانيا

فقط على الموضوع الذي يقلقنا في هذه اللحظة (موضوع الإسلام)، غالباً ما نطالب المهاجرين المسلمين بتكييف أنفسهم مع وضع معقد بشكل فوري، ونحملهم مسؤولية الفشل في تحقيق ذلك.

ونحن نعلم جيداً أن عملية التكيف والتأقلم لا تقتصر على هؤلاء أو أولئك، بل تستدعي منا كذلك استيعاب الرموز الثقافية المستجدة، والمتغيرات التي تطرأ على العلاقات العائلية، بالإضافة إلى التناقضات بين الأجيال، واستيعاب هذه الأمور لا يقتصر على المسلمين، بل يمتد إلى كل الجاليات الأجنبية وللمجتمع نفسه بدون أدنى شك، لكن المسلمين هم الوحيدون المطالبون بتقديم شهادة حسن سيرة وسلوك، وشهادات تثبت أنهم ديموقراطيون ومؤهلون للإنخراط في المجتمع، ولو أن البديهة تدل على أن المجتمع هو المطالب بمثل ذلك، هذه هي الطريقة التي يجري بها التعامل مع المجموعات البشرية الوافدة إلى بلدنا من جميع أنحاء العالم باستثناء الدول العربية والإسلامية.

يجب أن نعترف بأن مشكلة غطاء رأس المرأة ـ وهو الأمر الذي شهد جدلاً كبيراً في أوروبا مؤخراً ـ سببها المشاعر والعقد المضاده للإسلام وعليه لا يمكن اعتبارها مظهراً من مظاهر صعوبة انخراط المهاجرين المسلمين في المجتمع الأوروبي. ونشير في هذا الصدد إلى أن جمعية المهاجرين المغاربة ـ التي لا يمكن وصفها بالإسلاموية بل على العكس ـ أكدت في العديد من المناسبات أن غطاء رأس المرأة المسلمة ليس إلا مجرد رمز لهوية ثقافية، وليس محاولة لنشر الدين الإسلامي المجحف بحق المرأة، وعليه فالقضية ليست حجاباً يغطي وجه المرأة من أجل تجريدها من شخصيتها الفردية وتذويبها في وسط عام، ونحن غالباً ما نرفض فهم الأبعاد المختلفة للحجاب في العالم الإسلامي، لأننا لا نتقبل سوى التفسير الوحيد الذي توصلنا إليه لهذه الظاهرة.

فالنساء اللواتي تظهرهن المجتمعات الأوروبية والغربية بشكل عام كضحايا للعنف الذكوري أو الأصولية الإسلامية لا يرغبن في الظهور بمظهر مختلف أو مغاير تماماً لإرادتهن، وهن لا يرغبن بالتحول إلى ضحية لعدم التفهم الغربي الذي يحرمهن من استخدام هذا الرمز للهوية الثقافية.

ليس في وسع أحد أن ينكر مدى التحديات التي تواجه إعادة تأسيس بنية إجتماعية معقدة ولكن لا بد من مواجهة ذلك بدراية كافية لظروف المجتمع وواقع الوافدين إليه.

وفي ما يتعلق بواقعنا يجب أن نأخذ في الإعتبار أولاً أنه إذا لم نتمكن من التخلص من ترسبات وعقد فكرية مضادة للإسلام فلن ننجح في إيجاد حلول لتلك التحديات، إن هذا ليس أمراً جديداً، ولكن مشاعر الحساسية المضادة للإسلام تضاعفت منذ أحداث 2001/09/11 بشكل يبعث على القلق، المتضررون الحقيقيون من هذا الوضع الجديد هم المسلمون الذي يعيشون بيننا في العالم الغربي (هذا يفسر سر تجرؤ البعض على تجاوز الحدود المتعارف عليها بإعلان الرفض للتنوع الثقافي متناسين أن هذا القول يمثل انتهاكاً غير مقبول للمبادئ الديموقراطية).

إذا لم نتمكن من التخلص من ترسبات وعقد فكرية مضادة للإسلام فلن ننجح في إيجاد حلول لتلك التحديات.

القضية تكمن في ضرورة الأخذ في الاعتبار تفشي مبدأ شرير ومتأصل في كافة المجتمعات الغربية حول مفهوم المجتمعات الإسلامية والعربية، ينطلق من أرضية شاذة ورأي مزيف: يعتبر الثقافة العربية الإسلامية ثقافة منغلقة على نفسها، غير قابلة لتقبل أي تعديل جذري مما يوصل إلى اعتقاد بأنها حضارة متخلفة وغير راقية نسبياً (تحمل تقاليد متحجرة وغير منطقية وتتميز بالعنف) وقد آلت إلى هذا المصير وكأنه القدر المحتوم. وهذا هو الاساس الذي ينطلق منه المعارضون للتعددية الثقافية. ولا نأخذ في

الاعتبار عادة التناقض في ما يتعلق بالشذوذ والغلو الذي تتسم به بعض التفسيرات الإسلامية الرجعية، والتي لا ننفي وجودها في العالم الإسلامي.

هل فكرنا لحظة واحدة بأن قلقنا العميق ورفضنا الشديد لكل ما يمثله الوجه الثقافي الرجعي المتخلف للعالم الإسلامي يحملنا على التنفيس عن المشاعر من خلال الانتقام من أولئك المسلمين الذين يعيشون بيننا في الوقت الذي لا نحرك ساكنا حيال الوضع الراهن الذي لا يطاق الناجم عن التحالف الإستراتيجي بين العالم الغربي وعدد من الأنظمة الديكتاتورية التي تنتهك بشكل دائم حقوق الإنسان، بالإضافة لكونها المسؤولة الأولى عن تشجيع التفسيرات التقليدية المتشددة للإسلام؟ هؤلاء وحدهم يعتبرون حلفاء الذين يتحمل الغرب مسؤولية حمايتهم، على الرغم من أنهم يقومون الآن أكثر من أي وقت مضى ـ باستغلال ظروف الحرب ضد الإرهاب ـ للتمادي في خنق وقمع المجموعات المزعجة، سواء العلمانية أو الإسلامية الإصلاحية التي تنشط من أجل الديمقراطية، والتي لا شك في أنها ستكون قادرة على المضي بالإسلام نحو الأمام لو ترك لها المجال للعمل بحرية، دأبنا على استنكار كل ما هو سلبي في العالم الإسلامي، من مقعد المتفرج الذي ينأى بنفسه عن رؤية الواقع المعاش هناك، ونفضل مواصلة الإعتقاد بأن ذلك العالم (الإسلامي) هو عالم فريد ومتخلف، وعاجز عن التحرك يشعر بأنه نواة العالم، لأن هذا الموقف يمكننا من الظهور بمظهر الممثل العالمي للحضارة، وفي الوقت الذي يشهد فيه الواقع أننا نساهم في عرقلة الحرية والسلام والديموقراطية ودولة القانون في هذا الجزء من العالم.

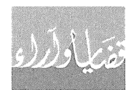
ولكن مسؤوليتنا لا تقتصر على عدم توفير الشروط اللازمة لتحسين هذا الوضع الدرامي في ذلك الجزء من العالم، بل إننا لا نقوم بالواجب هنا، حيث لا نعمل على توفير الحريات من أجل مساعدة المسلمين الذين يعيشون معنا على التحول إجتماعيا، بل بالعكس نضيق الخناق عليهم ونطلب منهم أن يكونوا ليس فقط مثاليين بل وأن يتخلوا عن دينهم.

أعتقد بأن الشيء المهم في الواقع هو تعليم البنات، وأن التربية ـ وليس الفصل ـ هي الضمانة الحقيقية للمستقبل، وليس المهم ما إذا كانت النساء يرتدين الحجاب أم لا، ويجب ألا ننسى أن الكثير من النساء المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب بمحض إرادتهن فالمغزى هو التأكيد على الهوية الثقافية وليس الاعتراف بالسيطرة والتفوق للذكور عليهن، الطرق التي تسمح بالتحولات الإجتماعية لا تعد ولا تحصى، ولا تقتصر على إتباع الخطوات التي نرسمها نحن من وحي شعورنا بالتفوق، والإعتقاد بأننا نملك الحقيقة الحضارية.

إننا نضيق الخناق على المسلمين ونطلب منهم أن يكونوا ليس فقط مثاليين بل وأن يتحولوا عن دينهم

يجب ألا نروّج لكل من يدعي الإسلام، ولا ننسى أن الجيل الثاني أو الثالث من المهاجرين المسلمين في أوروبا يشهد فعلاً تحولات جذرية في أسلوب حياة هؤلاء الشباب والشابات.

(فهم يشعرون بأنهم أوروبيون ويشاركون في العمل الجماعي المنظم ويعيدون النظر في أفكارهم وفي أعمالهم)، ولكن هذا لا يعني بأنهم سيتركون دينهم، بل ربما يكونون أكثر المسلمين قدرة على التوفيق بين الحداثة والإسلام، وعليه لنبدأ في التعرف على الآخر، ولا نكون رأينا مسبقاً حوله، لنتوقف عن تفسير الأمور من زاويتنا الخاصة، انطلاقاً من جهلنا وعدم قدرتنا على استيعاب التنوع في العالم الإسلامي لأن ذلك قد يحبط عملية بناء مستقبل مزدهر.



الشخصية العربية على الشاشة «صورة خارجية مقربة»

رمضان سليم *

كان من أهم البواعث التي حرّكت فن الخيالة منذ نشأته الأولى وإنطلاقته سنة 1895 محاولة توثيق وتسجيل البيئات والأمكنة الجغرافية التي تمر بها عين الإنسان سريعاً، من خلال الإحتفاء بفن الصورة بشكل عام والذي وجد أصداء من قبل الجمهور، دُفعت آلة التصوير إلى مزيد الحركة والبحث والاكتشاف.

تحت تأثير هذا الحافز الفني وغيره نشأ ذلك النوع الفني الذي عُرف بإسم الخيالة التسجيلية، أو بتعبير أدق الخيالة الوثائقية، ولقد كان للشقيقين (لوميير) في فرنسا الدور الرئيس في النظر إلى فن الخيالة على أنه توثيق وتسجيل وبالتالي تصوير بيئات مختلفة من العالم، كان من بينها شمال أفريقيا وكثير من المناطق الإسلامية في بقاع عدة من العالم.

لم تنل الخيالة التسجيلية اهتماماً ملحوظاً، لأن مهمتها كانت التسجيل المباشر شبه المحايد، وفي ظل بحث الجمهور عن التخيّل والمغامرة كانت الخيالة التسجيلية مجرد أداة للمعرفة وإكتشاف الآخر.

وفي تلك المرحلة التي أعقبت نشأة الخيالة عرفت الشعوب الإسلامية آلة التصوير، من خلال الأجنبي المستعمر الذي حملها معه، منتقلاً بها من مكان إلى آخر فكانت هذه الآلة في بعض جوانبها أقرب إلى السلاح الموجه نحو صدور الشعوب المستعمرة.

لقد سميت المرحلة التي أعقبت نشأة الخيالة (1895 ـ 1995) بالنسبة للشعوب الإسلامية باسم المرحلة الإستعمارية، وهناك من أسماها مرحلة الخيالة العثمانية، وهذا ما ينطبق على بعض البلدان دون غيرها.

من سمات وخصائص الخيالة التسجيلية، أنها تعمل على نقل الواقع كما هو وإن كان الاختيار يلعب دوراً في تغطية الصورة بالمعنى السياسي وكان من الطبيعي أن يلتقط الأوروبي الصورة التي يراها غريبة وفي نفس الوقت تستجيب لرغباته في تأكيد النزعة التي تدين الشرق بشكل عام بالتخلّف، وترسّخ مفهوم الهامشية بالنسبة للثقافة غير الغربية، وبالتالي تبرر الصورة الفعل الإستعماري في جميع اتجاهاته.

أما الإتجاه الثاني في الخيالة، فهو الذي يعتمد على التخيّل، والذي أفرز الخيالة الروائية المبنية على القصة المتخيّلة، وهو الإتجاه السائد والمعروف من قبل الجمهور، والأكثر فاعلية وتأثيراً، ولقد بدأ الفرنسي (جورج ميلييس) في تأكيد هذا النوع منذ أن قدّم شريطه الخيالي (رحلة إلى القمر ـ 1903).

ومما دفع الخيالة الروائية إلى الدخول في تجارب جديدة زادت من فاعليتها استفادتها من الخيالة التسجيلية ومحاولة تصوير الأماكن والبيئات كما هي، وكذلك إضافة ما هو متخيل، وهو أمر دفع آلات

* كاتب وناقد/ ليبيا

التصوير للبحث عن الأماكن غير المألوفة بالنسبة للأوروبي، وبكل ما تحتوي عليه من صحارى وملابس غريبة وأشكال جديدة في التعامل، وهذا ما ركّزت عليه العدسات لكسب الجمهور وبيع الصورة له، وبصرف النظر عن النوع فإن آلات التصوير قد صوّرت البيئات الإسلامية بعين أوروبية واحدة تقريباً واستمر ذلك لعقود كثيرة، وتقول بعض المصادر إن أول شريط تعامل مع التاريخ الإسلامي كان شريطاً عنوانه (في حماية السلطان ـ 1909) أما على مستوى الخيالة التسجيلية فالرحلات التي قام بها الشقيقان لوميير إلى كل من مصر وتونس والمغرب وبعض المناطق في أفريقيا كانت البداية، اعقبتها رحلات باقي تلاميذه ممن ساروا على خطاه.

ولقد توالت الأشرطة الغربية، متعاملة مع التاريخ الإسلامي من خلال الإطار العام والأجواء التاريخية، مستعرضة الشخصيات العربية الإسلامية المتخّيلة، حتى يمكن القول إن المحتوى العام للإنتاج السينمائي الغربي، قد صنع لتحقيق الكثير من الأغراض التجارية والسياسية، وهو ما انطبق على تعامل خيالة هوليوود مع التاريخ بشكل عام. ففي الوقت الذي قدمت فيه أشرطة تخدم الشخصية اليهودية، تعرضت شخصيات أخرى للإهانة المباشرة مع عدم الدقة في الطرح، وهذا ما بدا واضحاً في أشرطة تعاملت مع السود والهنود والشخصيات العربية الإسلامية .

لقد صورت الأشرطة الغربية مع العقود الثلاثة الأولى لبداية الخيالة عالمياً في الإتجاهين، الروائي والتسجيلي، المحيطين العربي والإسلامي، مؤكدة على عدة جوانب أهمها الربط بين الإسلام والتخلّف من خلال تصوير وضعية المرأة المنكمشة والسجينة داخل البيوت والملابس الثقيلة، وبسبب سلوك الرجل الذي يجد متعة في استعباد الآخرين.

أيضاً عملت آلات التصوير على تصوير الدراويش والمجاذيب وربطهم مباشرة بالإسلام، هذا بالإضافة إلى عدم الدقة في تصوير العبادات وخصوصاً تطبيق الصلاة.

ونخلص للقول إن الرغبة في الوصول إلى حكم نهائي يوسم الشخصية الإسلامية بالتخلّف، هي نتيجة مباشرة لظروف سياسية وثقافية تحكمها إعتبارات لها علاقة بعدم الرغبة في التعرّف على الآخر كما هو في مراحله المتدرّجة . بل المبالغة في تحديد النتيجة السلبية بظاهرها المباشر ومن الطبيعي أن يكون الإنتاج الأمريكي هو المعني تحديداً بذلك، بسبب طابع المغامرة والاندفاع الذي يتحكم بشخصية الأمريكي.

في الوقت الذي قدمت فيه أشرطة تخدم الشخصية اليهودية، تعرضت شخصيات أخرى للإهانة المباشرة مع عدم الدقة في الطرح، وهذا ما بدا واضحاً في أشرطة تعاملت مع السود والهنود والشخصيات العربية الإسلامية .

وفي شكل عام اهتمت آلة التصوير في تأكيد الصورة الإستشراقية، كما أنها أصلاً هي وليدة لهذه الصورة وإذا كانت هناك بعض الإعتبارات الإيجابية البسيطة، فإن آلة التصوير قد خدمت بشكل مطلق النظرة السياسية الإستعمارية في تعاملها مع التاريخ والواقع الإسلاميين.

كما قلنا سابقاً فإن بحث الخيالة عن الجديد والمختلف تدفعها إلى التعامل مع التاريخ في كل مراحله، كما تقول بعض المصادر العربية فإن الفرنسي جورج ميلييس نفسه قد قدم شريطاً بعنوان «المهرج المسلم» عام 1928. وهذا جزء من إنتاج موسّع للشريط التاريخي الديني، وهو أيضاً يتماشى مع سيطرة بعض البلدان الأوروبية على بعض الأماكن الإسلامية ودخولها في صراع معها وتستخدم فيه مختلف الوسائل والأساليب.

أما باقي الأشرطة فهي أقرب إلى نمط التسويق التجاري العالمي مقارنة بالشريط الإيطالي والفرنسي. نعم لقد كان الأمر في بداياته، حيث نجد أن السوق الداخلية هي الأهم للتبرير بمشروعية الغزو الأوروبي لمناطق كثيرة من العالم . اما بعد ذلك فقد أكتسبت الأشرطة طابعاً إعلامياً استخدم في الصراعات السياسية والعسكرية في اوروبا نفسها.

ولعل أشهر الأشرطة التي صوّرت في مناطق مختلفة من العالم تلك السلسلة المعروفة بإسم «العودة إلى البدائية» والتي تخدم في الدرجة الأولى الدوافع الاستعمارية حيث يمثل الشرق المناطق البدائية التي تحتاج إلى من يستعمرها وينقلها إلى مرحلة الحضارة.

ومن الأشرطة التي يمكن أن نذكرها في هذا الصدد «في خيام العبيد» ـ 1912 «قلوب وأقنعة» 1914 ـ «بساط بغداد» 1915، ولقد أعيد إنتاج بعض الأشرطة أكثر من مرة، وكان تأثيرها بالغاً بسبب اعتمادها على الصورة ذات الطابع الإستشراقي وفي غياب للصوت الذي أضيف بعد ذلك في إنتاجات جديدة سارت على نفس المنوال.

يمكننا أن نذكر أسماء أشرطة قالت المصادر إنها نجحت على المستوى التجاري مثل شريط «ست الحسن» الذي انتج مرتين (1915 ـ 1925) وكذلك شريط «الشيخ 1921» ثم يليه شريط «إبن الشيخ 1926». ولقد اعتمد الممثل الشهير (فالنتينو) في شهرته على هذين الشريطين، حيث ظهر فيهما فارساً عربياً مغامراً ونبيلاً، في مقابل تحقير كل الشخصيات العربية الإسلامية الأخرى التي تتواجد بالشريطين.

إن الاشرطة التي اقتربت من الشيخ العربي كثيرة، تقع على الحافتين الواقعية والتاريخية، مع استخدام المعالجات السينمائية المفتوحة التي ترتكز على المغامرة وحدها، والتي تشتبك في الغالب مع الخرافة والأسطورة.

ولقد تدعم هذا الإتجاه بأشرطة اعتمدت على قصص مستمدة من ألف ليلة وليلة، وكان أولها ذلك الشريط المعروف الذي أخرجه (جورج ميلييس) وكان بعنوان (قصر ألف ليلة وليلة 1905) ، ثم توالت أشرطة كثيرة أعيد إنتاجها أكثر من مرة ومنها: «شهرزاد ـ علاء الدين ومصباحه السحري ـ بساط بغداد ـ لص بغداد ـ علي بابا والأربعين حرامي ـ سندباد ـ ست الحسن». ولقد غلب على الإنتاج المذكور النمطية التي لا تكاد تتغيّر بحيث تتشابه الشخصيات في سلوكها العام، ويمكننا أن نحدد جوانب هذه النمطية في الآتي:

أولاً: الربط بين الشخصية المسلمة والسلوك المعتمد على الغش والخداع وعدم الأمانة، فمن النادر أن تظهر شخصية مسلمة على مستوى الأشرطة الواقعية أو التاريخية و قد إاصفت بصفة إيجابية.

ثانياً: في علاقة الرجل بالمرأة تظهر الشخصية الإسلامية، وهي متصفة بالشهوانية المتهورة التي لا تراعي أي حدود أو ضوابط، وهذه الشخصية مستعدة للقيام بأي عمل يحقق لها رغباتها السريعة، ولقد جاءت أشرطة (الحريم والجواري) المتكررة لتؤكّد هذه النزعة التي تربط بين المسلم وزوجاته المتعددات وكذا سيطرته على المرأة وإخضاعها له.

ثالثاً: التآمر السياسي هو المدخل الذي تستند عليه الأشرطة الغربية عند تصويرها للشخصية العربية، وهذا ما يتضح من أشرطة كثيرة معظمها تاريخي، وهذا التآمر غالباً ما يقع داخل الأسرة العربية البدوية، أو عندما تتعاون أحدى الشخصيات العربية مع قوى أجنبية لتحقيق مصالحها في الوصول إلى الحكم.

رابعاً: بالغت الأشرطة الغربية، والأمريكية منها على وجه التحديد، في تصوير تجارة الرقيق، وربطها بالمسلمين، ولا سيما في أفريقيا، ويندر أن نشاهد شريطاً تاريخياً يصوّر في المناطق الإسلامية، إلا

ونجد فيه سوقاً لبيع الجواري والعبيد.

خامساً: في الغالب تقدم المرأة العربية في صورة المرأة الشبقة، التي تنتظر الفرصة المناسبة للفرار من زوجها، والبحث عن رجل غربي يعاملها بشكل جيد ويحقق رغباتها، وكل ذلك يتم تحت دافع الإهانة التي تلقاها من زوجها أو أبيها.

سادساً: إرتبط الشرق بالخرافة والأسطورة، ولا سيما في الأشرطة التي صورت في بلاد مثل الهند وإيران ومناطق الإتحاد السوفيياتي سابقاً، والقضية ليست لها علاقة بالنظرة الأسطورية للتاريخ التي تعاملت معها الخيالة العالمية كثيراً، ولكن كان الهدف المباشر هو الربط بين الدين الإسلامي والخرافة في الطقوس نفسها وفي سلوك المسلمين وطرائق تعاملهم مع بعضهم.

الخيالة الغربية قامت بدور كبير في تنميط الشخصية العربية الإسلامية في إطار سلبي،

هذه بعض مرتكزات الخيالة العالمية في تعاملاتها مع التاريخ الإسلامي والشخصيات العربية الإسلامية، وكثيراً ما يندرج تحت هذا العنوان العام الأفارقة والأتراك والأفغان والمسلمون في شبه القارة الهندية، واحياناً يوضع سكان المنطقة العربية ما قبل الإسلام في نفس القوالب وينطبق عليهم ما ينطبق على المسلمين من وصف وسلوك.

لقد احتاجت الأشرطة التاريخية العالمية في الخيالة الغربية إلى منظور أيديولوجي تستند عليه، وكان من الطبيعي أن يكون منظوراً ضيّقاً يتصف بالتسرع في إصدار الأحكام والتعامل مع الشخصيات بما يتفق مع القراءة المباشرة للمصالح المتناقضة بين الشرق والغرب.

وهكذا نجد أن صورة الشرق ثابته في الخيالة الغربية، لا تقوم على فكرة إدراك المتغيّرات حسب المراحل التاريخية، ولكن المرحلة الأخيرة هي الأهم، على أن تقدم بدون خلفية معرفية، وبقصد التشهير المباشر الذي له طابعٌ دعائي، وهنا سنجد أن الخيالة الغربية قامت بدور كبير في تنميط الشخصية العربية الإسلامية في إطار سلبي، بالإضافة إلى إستخدام الحقل العلمي والمعرفي بإعتبارهما سلطة في تشويه صورة كل ما هو غير غربي.

إن كنا هنا نركز على الشخصية الإسلامية نفسها فالمجال مفتوح لدراسات أنتروبولوجية واثنوغرافية موسعة حول هذا الموضوع تشمل الاجواء عامة وتقديم العادات والعبادات وإستعراض الملابس والأمكنة والبيئات الإسلامية في شكل عام.

إذا انتقلنا إلى نوعية أخرى من الإنتاج، يخرج عن مجال الصحراء والتاريخ ولعبة المغامرة التي في الغالب تقوم على فكرة الشيخ والقبيلة والحرب والمغامرات الخرافية، إذا انتقلنا إلى مجال جديد، سوف نجد أمامنا أشكالاً من الأشرطة لها طابع واقعي أو حربي أو سياسي وهو ما أملته الوقائع التي جاءت بعد الحرب العالمية الأولى، وبصورة خاصة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وظهور النزعة الإستقلالية للكثير من البلدان الإسلامية.

لا يعترف تاريخ المعرفة كثيراً بالفكرة النمطية الثابتة، وإن وجدت فهي في الغالب مجرّد أداة لتحقيق المصالح المؤقتة سلباً أو إيجاباً.

وهذا ما نجده في النظرة الإستعلائية التي تعامل بها الغرب مع الشرق، والتي كشفت عن تقدير غير مدروس لا يتفق مع التخطيط والإستنتاج العلمي الذي اعتمده الغرب في مجال العلوم التي تخصه، وهو يعني أن النظرة مزدوجة، يتناقض جوهرها بين التقدم العلمي التقني والرغبة في تشويه الآخرين والتعالي عليهم معرفياً بدعاوى أملتها رغبات سياسية ودينية غير مستقرة أو منسجمة مع الطرح العلمي المحايد الذي تدعيه الحضارة الغربية.

إن الصورة التي اعتبرت في البدايات الأولى لتواصل الشرق معها، نوعاً من الغزو لم يتم رفضها من قبل الشعوب الإسلامية، بل تم استيعابها والتواصل معها، وبالتالي انطلقت الخيالة في بعض المناطق الإسلامية متقاربة مع بدايات اختراع الفن السابع، كما حدث في تركيا وإيران ومصر وأندونيسيا والفيلبين وشبه القارة الهندية.

وإذا كان المستوى قد جاء فنياً متوسطاً على مستوى الصناعة إلى مرتبة التوزيع الخارجي إلا أنه لم يبالغ في ردود الفعل، ولم يصور الأجنبي إلا في الحدود الأخلاقية المقبولة من حيث اعتباره مستعمراً ودخيلاً وغازياً تنبغي مقاومته بشتى الطرق، ولم تقترب هذه الخيالة التي أنتجتها بعض البلاد الإسلامية من الشعائر الدينية لهذا المستعمر، بل كشفت عن تسامح سار في الإتجاه المضاد لما هو مطروح في الظاهر.

بلغت النزعة العدائية حدتها بالنسبة للخيالة الغربية في بعض الأشرطة التي أنتجت حول الحروب الصليبية، ففي مثل هذه الأشرطة استخدمت معالجات مرئية تقترن بتشويه صورة المسلم، والسبب في تضخيم العامل الدعائي المرتبط بالأنماط الثابتة التي كرّستها الخيالة الغربية، يرجع إلى أن المواجهة في مثل هذه الأشرطة كانت دينية، بعكس مرحلة الشريط التاريخي الأولي التي كانت تجارية ثم المرحلة الثالثة والتي كانت ذات طبيعة إيديولوجية.

من أهم الأشرطة التي صوّرت الحروب الصليبية شريط «الصليبيون ـ 1935» لمخرجه سيسيل دي ميل، وفيه يظهر الصليبيون وكأنهم جاؤوا للمنطقة العربية بقصد إنقاذ المسلمين من ظلم حكّامهم والأمراء الذين يتصارعون على الحكم في ما بينهم.

أما بالنسبة إلى شخصية «صلاح الدين الأيوبي» التي تعامل معها الشريط فقد ظهرت بعيدةً عن المعطيات التاريخية المتعارف عليها، وهو ما تكرر سابقاً في شريط آخر بعنوان «ريتشارد والصليبيون» أنتج سنة 1924 لمخرجه ديفيد تايلور عن رواية «التعويذة» للكاتب وولتر سكوت.

ورغم ابتعاد الرواية عن تشويه الشخصيات، إلا أن الشريط أختار أن يرفع من شان ريتشارد على حساب صلاح الدين والذي ظهر مغنياً جوالاً يهتم بحريمه وجواريه أكثر من اهتمامه بالحرب.

هناك أشرطة كثيرة تعاملت مع الحروب الصليبية، تتفاوت في المستوى الفني، لكن جميعها يصب في خانة عدم العدالة في تصوير الشخصيات إلا شذرات بسيطة، ونذكر على سبيل المثال شريط «الأسير» 1918 وأشرطة مثل «سيد الحرب» وكذلك «روبين هود» في إنتاجات متكررة، ويمكننا إضافة أشرطة مثل «الختم السابع» وغيرها من الأشرطة الإيطالية والإنكليزية.

بلغت النزعة العدائية حدتها بالنسبة للخيالة العربية من بعض الأشرطة حول الحروب الصليبية ففيها استخدمت معالجات شوهت صورة المسلم.

ولا شك ان النزعة الذاتية لبعض المخرجين قد خففت من غلواء التعصب الديني، أما الأشرطة المنتجة لأغراض تجارية ودعائية فقد سارت بطريقة عرجاء، وصادفتها ردود فعل سلبية، أهمها عدم عرض هذه الأشرطة في بعض المناطق الإسلامية.

وعلينا هنا أن نشير إلى الرقابة العربية وغيرها لم تلعب دوراً جماعياً مؤثراً إلا في القليل من المناسبات، فهي تسمح بتصوير الكثير من الأشرطة الغربية على أراضيها تحت ضغط العامل الإقتصادي والسياحي.

ورغم ان مبدأ الرقابة مرفوض بشكل عام إلا أن الإحتجاجات المنظمة يمكنها ان تلعب دوراً إيجابياً في هذا السياق.

في مرحلة الحرب الباردة بين أمريكا والإتحاد

السوفياتي سابقاً، وهي التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، استخدمت هوليوود إنتاجها السينمائي لخدمة الدعاية الأمريكية، وبسبب القوة الإقتصادية والعسكرية والسياسية، بدأت الخيالة في استعراض قوتها على باقي الشعوب، ومن بينها الشعوب الإسلامية، وبالإضافة إلى الهنود الحمر والجنسيات المهاجرة إلى أمريكا، وفي مرحلة معينة السود الأمريكان أنفسهم، وكذلك شعوب آسيا وأمريكا اللاتينية، بالإضافة إلى كل ذلك لم تسلم الجنسيات الأوروبية من التشويه، ولكن بدرجات متفاوتة، وهذا ما انعكس على الياباني والألماني وبدرجة أقل الإيطالي والفرنسي وغيرهم.

وعدا شخصية اليهودي، فإن الأمريكي هو وحده المتميز والنموذجي رغم التورط الأمريكي في فيتنام وأمريكا اللاتينية، ولا تكاد توجد إلا أشرطة قليلة تدين فيها سلوكيات الأمريكي إينما حلّ وكيفما كان، هذا المنطق السياسي يستخدم حركية الهجوم والاندفاع، ليس بالطريقة العسكرية، ولكن باستخدام المعرفة بوسائط حديثة ومؤثرة .

أيضاً بالمطابقة بين الواقع والتصورات التي تصنعها الخيالة، ولقد هوجمت الشخصية العربية الإسلامية حسب المنطق السياسي، في الأشرطة التي تلت استخدام النفط باعتباره سلاحاً إستراتيجياً من قبل العرب والمسلمين بالأخص بعد حرب 1973.

والأشرطة التي لها علاقة بموضوع الإرهاب ودعواه كثيرة نذكر منها «الأسد الأسود» 1977 ـ السفير 1986 ـ 21 ساعة في ميونيخ - برعم الزهرة 1975 ـ سلسلة أشرطة غيتي، وغير ذلك من الأشرطة.

ونلحظ هنا أن الدين يختفي بشكل واضح، بسبب الدافع السياسي المباشر، ولكن تظهر بعض المشاهد التي تشير إلى طرح مسألة الدين، في عبارات قليلة وفي صور لها علاقة بالعبادات، مثل مشاهد الصلاة السريعة، أو قراءة القرآن بشكل غير واضح وفي بعض الأحيان اعتبار المسجد مجرد خلفية لأحداث قد تكون عاطفية أو غرامية، وهنا يبرز عند بعض المخرجين الربط المباشر بين السلوك الفردي والشخصية الدينية والتي ساعدت الأحداث السياسية على إستثمارها، وخصوصاً انتشار العمليات الفدائية من ناحية، وبروز الحركة الإسلامية في إيران من ناحية أخرى.

إن كل ذلك هو إستمرار لنفس النمط السابق الذي أستمد جذوره من آراء بعض المستشرقين والرحالة، والكثير من الهواة والمنافع الذاتية والتي تعكس بعض المخاوف من هذه الشخصيات غير واضحة السلوك بالنسبة للمخيلة الغربية.

هوجمت الشخصية العربية الإسلامية من الأشرطة التي تلت استخدام النفط باعتباره سلاحاً من قبل العرب والمسلمين.

إزاء ذلك تدخل أصحاب النظريات الأنتروبولوجية ليقدموا تفسيراً عاماً عن مدى اختلاف الثقافة الغربية مع الشخصيات الأجنبية، حيث تظهر أن هذه الثقافة ليست واحدة وموحدة، وتخدم الخيالة تلك التفسيرات وتساعد على فهمها، ولا سيما من حيث الفروقات الواضحة بين الخيالة الأمريكية والفرنسية والانكليزية وغيرها.

إذا كان الإستعلاء الثقافي الغربي قد أفرزته قوة واضحة يراها بعض الدارسين مسألة طبيعية، فإن نوعية الإختلاف ترجع إلى جزئيات تتعلق بهذه الحضارة الغربية، إن الثقافة الفرنسية على سبيل المثال تتصف بأنها قادرة على التعامل مع الآخر فتتعرف على حضارته التي تبدو في ظاهرها هامشية وكأنها لا تضع أمامها حدوداً فاصلة أو قوالب جامدة نمطية.

أما الثقافة الأمريكية فهي تفرض على أفرادها

قوالب نمطية، وأفكاراً مسبقة تخدم الأغراض النمطية العملية، وهي مترددة في التعامل مع الآخر وليس لديها قدرة على النفاذ إلى ثقافاته.

تبقى الثقافة الأنجليزية حذرة تعمل على التشكيك والتعامل عن بعد، بعيدة عن الإندفاع والمجازفة في التعبير عن نفسها.

وإذا كان لمثل هذه الآراء جوانب علمية فهي تنطبق بدرجات متفاوتة على الإنتاج السينمائي، لأن الخيالة الفرنسية قدمت أشرطة كثيرة عن الشرق، ولم تتسرع في تصوير الشخصيات الإسلامية بشكل سلبي إلا في حدود ضيقة وحسب نوعية المخرج، والمهم أنها تقع في نمطية متكررة ومن تلك النماذج يمكن أن نذكر أشرطة مثل «جحا ـ رجال بدون أسماء ـ عرس الرمال ـ إيزابيل ـ علي بابا» وغير ذلك من الأشرطة.

أما الخيالة الانكليزية فقدمت الشخصية الإسلامية بطريقة تشكيكية لا تمس الشكل الخارجي مثل العادات والتقاليد والسلوك ولكنها تلمس طبيعة الشخصية الإسلامية من داخلها، وعندما نعود إلى شخصية محمد علي جناح في شريط «غاندي 1982» سنجده يمثل الموقف السلبي من الأحداث، والسبب الرئيسي في ما أصاب الهند من تقسيم، وأصاب غاندي نفسه من عداوة إنتهت باغتياله على أيدي المناوئين له.

ولهذا السبب أنتجت الباكستان شريطاً حول شخصية «محمد علي أبو جناح» عام 1995 ليكون بمثابة الرد على شريط غاندي.

من الأشرطة الانكليزية المعروفة (لورنس العرب) لمخرجه ديفيد لين وأيضاً شريط «الخرطوم» وشريط «مناورة» وشريط «قطار منتصف الليل» ورغم أن مثل تلك الأشرطة ذات طبيعة إنتاجية أمريكية إلا أن الكتابة والإخراج كانت إنجليزية، وهو ما ينطبق أيضاً على شريط «الطريق إلى الهند» لمخرجه ديفيد لين وشريط «العلم» لمخرجه جيمس أيفوري.

والأشرطة الأمريكية أن تسيطر على الإنتاج العالمي في مجال الدعاية لما هو أمريكي، والتشهير بباقي الأعراف والأجناس ولا سيما ما تراه عدوها الرئيس وهو عدو متغير ومتبدل حسب الظروف السياسية وتعدد المصالح وتباينها.

إن الاتجاه العام للخيالة العالمية استمر في إنتاجه محافظاً على نفس الخصائص ولكن مع تغيير طفيف لمس شخصيات ونماذج مختلفة، مثل شخصية «الهندي الأحمر» الذي صار حكيماً مع مرور الوقت، وهو نفس ما ينطبق على الشخصية الزنجية، وكذلك اليابانية والصينية، وهو أمر قد شكّل منعطفاً حاسماً على المستوى الثقافي لسببين:

الخيالة الانجليزية قدمت الشخصية الإسلامية بطريقة تشكيكية لا تمس الشكل الخارجي ولكنها تمس طبيعة الشخصية الإسلامية من داخلها.

الأول: يعود إلى اختفاء الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفياتي سابقاً، وثانياً يرجع إلى فرض بعض الإنتاجات السينمائية نفسها على الصعيد العالمي، فقد تطوّرت وانتعشت الخيالة اليابانية، ونالت جوائز عالمية، وانتشرت تجارياً، وكذلك الأمر بالنسبة للخيالة الصينية، وقبلها الهندية، وقوة الخيالة من حيث المستوى والكمية له تأثير في تقبل ورفض الشخصية والتعامل معها، والتي كان لها حضور علمي وإقتصادي وسياسي.

اختفى صراع هوليوود مع الكثير من النماذج والشخصيات العالمية لعدة أسباب، ولم تبقَ لها إلا الشخصية الإسلامية خصماً وعدواً مزعومين، وكان لضعف الفاعلية الإسلامية السبب الرئيس في ذلك على مستوى الخيالة. ومع استمرار سيطرة اليهود على الخيالة الأمريكية أنتجت العديد من الأشرطة التي تخرج عن السياق المعتاد رغم التطوّر التقني وتوفر المعلومات الدقيقة عن كل الأديان في العالم.

لقد حافظت هوليوود على نظرتها القديمة للشخصية الإسلامية وسنجد ذلك في الأشرطة مثل (الملوك الثلاثة 1999 ـ قواعد الإشتباك 2000 ـ عملية الصقر الأسود 2001) مع أشرطة أخرى تقترب بتحفظ شديد من ذلك مثل «الشريط الإنجليزي 1996ـ المصارع 1998»، التي أعتبرها بعض النقاد تمثل تغييراً في الإتجاه التقليدي لهوليوود شريط «الفارس الثالث عشر» إنتاج وإخراج وهو شريط يصور بعض الوقائع التي تظهر شخصية أحمد بن فضلان الرحالة الذي كان يقوم بنشر الإسلام في بعض الأصقاع المختلفة في العالم ولا سيما مناطق من الإتحاد السوفياتي عام 922 ميلادية، والشريط لم يعتمد كما ظن البعض على رحلة فضلان المكتوبة ولكن على كتاب لمؤلفه (مايكل كريشتون) والذي اعتمد فيه أيضاً على قصص شعبية تعرف باسم: قصص من الفايكنغ.

رغم بعض الإيجابيات المتعلقة بالشريط إلا أن له طابع المغامرة، فهو شريط مغامرات، لم يحقق نجاحاً تجارياً ونقدياً كبيراً، لأنه لم يعتمد على قصة محددة وواضحة، وخصوصاً ان وجود شخصية أحمد بن فضلان في مناطق نائية كان بالصدفة، كما أنه كان دبلوماسياً وشاعراً ليس له مكان عند أهل الحروب والممارسات الهمجية البدائية في شمال أوروبا (الصقالبة).

بالإضافة إلى التفسير الذاتي الذي لم يقترب من الدين الإسلامي نهائياً، وهي وجهة النظر التي تبناها الشريط، رغم حرصه على إبراز ذكاء ابن فضلان في تعامله مع الآخرين.

إن الشخصية العربية الإسلامية تبقى نمطية لا تكاد تتغير في خيالة هوليوود رغم كل المتغيرات السياسية والثقافية وتراجع الإستخدام السياسي المباشر لفن الخيالة، وإذا اعتبرنا أن شريطاً مثل «قصة روبن هود ـ إنتاج 1986» قد حافظت على بعض الحياد، فإن شريطاً جديداً عنوانه «هيد الغو ـ إنتاج 2004» قد عاد ليضع الشخصية العربية الإسلامية في نفس الإطار الإجتماعي الضيّق الأفق، رغم بعض المتغيرات الشكلية الجديدة التي لم تكن موجودة مسبقاً.

وهكذا نجد أن التغيير يسير بطيئاً في تعامل التقنية الإعلامية الأمريكية على وجه التحديد والغربية عموماً، مع الشخصية العربية الإسلامية ويظهر فن الخيالة أو فن الصورة بوجه عام من الفنون التي تدعم عملية التشهير المستمرة، والتي تغذيها اعتبارات سياسية، وظروف معينة من داخل وخارج أمريكا، وأهمها عدم تعامل التمويل المالي العربي مع هوليوود، رغم دخوله في أكثر الإستثمارات العالمية بمجالاتها المتعددة.

التغيير يسير ببطء من التقنية الإعلامية مع الشخصية العربية والإسلامية.

إذا كانت أحداث 11/09/2001 لم تنعكس بشكل مباشر على الإنتاج السينمائي في أمريكا بسبب عدم وضوح الموقف النهائي منها، ووجود أكثر من رأي حولها يتعذر معه إنتاج أشرطة تخدم إتجاهاً معينا واضحاً، إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للغرب عموماً، قد جعلت من الإسلام خصماً سياسياً وثقافياً، يمكن أن تمارس معه نفس الأساليب التي استخدمتها هوليوود في عقودها السابقة، وأفرزتها عقدة التعالي واستخدام القوة المعرفية والعسكرية بنوع من التهور ضد الآخرين.

لا شك أن هذه القراءة الخارجية لا تنفي بعض الإشكالات التي ترتبط بالنزعة الذاتية نحو ممارسة الشكوى من الآخرين، وهي عقدة نعترف بأنها موجودة فعلاً، ولكن السبب في وجودها يرجع إلى ممارسات الغرب الثقافية نفسها ضد الكثير من الشعوب التي أجبرتها ظروف هذه الحقبة الغريبة على أن تكون دائماً في موقف المدافع عن نفسها، وليس موقف الذي يبدأ بالهجوم، وهي المرحلة التي نحتاج إليها للانتقال من منطقة الدفاع عن النفس إلى منطقة دفاع الآخرين عن أنفسهم.



علماء ومفكرون يؤكدون :

الخوف من الإسلام عقدة نفسية

إعداد: **جمال السيد**

أكد علماء ومفكرون مسلمون أن الإسلام يدعو إلى التواصل والتعارف «التعاون بين جميع البشر من اجل خير الإنسانية جمعاء»، رافضين (الإسلاموفوبيا)» الذي يؤكد خوف الغرب من الإسلام ووضعه في موضع العداء .

والخوف من الإسلام، هو عقدة نفسية لدى بعض الغربيين، في حين أن العداء لا يخدم مصلحة أحد، بل يضر كثيراً بالحضارة والنهضة الغربية الحديثة التي إن أراد لها أبناؤها الاستمرار فلا بد من إقامة جسور الحوار والتواصل والتفاهم مع الحضارة الإسلامية.

كما أكد هؤلاء العلماء والمفكرون على ضرورة إقامة سبل التعاون والحوار مع الغرب/ ولكن بعد ترتيب البيت الإسلامي من الداخل أولاً وإعداد وتأهيل القائمين على أمر هذا التواصل. وفي ما يلي نقدم بعض آراء هؤلاء العلماء والمفكرين:



في الغرب هناك من يدعو إلى حماية الوجود الإسلامي

❖ يرصد الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية جذورالخوف الغربي من الإسلام قائلا: يمكن تقسيم علاقة الغرب بالإسلام على ثلاث مراحل، الأولى: بدأت منذ الحروب بين المسلمين وأتباع الإمبراطورية الرومانية واستمرت حتى تمكن المسلمون من تأسيس أول دولة إسلامية بأوروبا، وبالتحديد في الأندلس والتي بدأت من عام 92 حتى 138 هجرية. والمرحلة الثانية أتت في عهد العثمانيين الذين استطاعوا السيطرة على جنوب أوروبا، وإقامة عدة دول إسلامية في البلقان، وخاصة البوسنة والهرسك وبلغاريا واليونان وألبانيا ومناطق أخرى من وسط وجنوب أوروبا، وخلال هاتين المرحلتين شهدت العلاقة حروباً عديدة ما زالت آثارها باقية حتى اليوم. وما زالت أوروبا تنظر إلى ما فعلته بالمسلمين في الأندلس عن طريق محاكم التفتيش على أنه انتصار ساحق على المسلمين، ينبغي ألا تقوم للمسلمين قائمة بعدها في العالم عامة، وأوروبا خاصة.

أما المرحلة الثالثة فتتمثل في الحروب الصليبية:

قيام أوروبا بغزو العالم الإسلامي والعربي، والسيطرة على خيراته، تارة تحت عباءة المسيحية في الحروب الصليبية، وتارة عن طريق الاستعمار المباشر لأراضي المسلمين، واستنزاف خيراتها وتقسيم البلاد إلى دويلات متناحرة، والقضاء على الدولة العثمانية وتقسيم المناطق التي كانت تسيطر عليها. والاستراتيجية الغربية الحالية تقوم على عدم وجود دولة إسلامية قوية في العالم كله. أما المرحلة الرابعة فبدأت مع انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفياتي. ورغم سعي أوروبا للسيطرة على المسلمين بكل الوسائل إلا أن احتياجها لليد العاملة الرخيصة لقيام نهضتها الصناعية جعلتها تستعين بالعمال المسلمين من مستعمراتها، وقد استقر أولئك العمال وهاجر آخرون لأسباب متعددة، وكانوا نواة لأقلية إسلامية بالغرب التي أصبحت واقعاً كبيراً ومؤثراً في المجتمعات التي يعيشون فيها، وهو ما أظهر جماعات غربية استرجعت العداء لأي وجود إسلامي، بل إن أحزاباً وجماعات ظهرت ومهمتها الأولى التصدي لأي وجود إسلامي في الغرب، وإيقاف هجرة المسلمين والمطالبة بعودتهم إلى بلادهم، وتنفيذ مقولة الشاعر الإنكليزي إدوارد كبلينغ (الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن أن يلتقيا). والمخيف أن الاقتناع بهذه المقولة والعمل على تنفيذها لم يعد شعار مجموعات صغيرة من الشعوب وإنما أصبح فكر بعض القيادات الغربية اليمينية المتطرفة التي تعلن أن مهمتها الهيمنة على المسلمين، وقيادة حرب صليبية ضدهم، وبروز نظريات صراع الحضارات والأديان، ومنطق المؤامرة وقوة تيار الصهيونية المسيحية.

ويخلص الدكتور جعفر عبد السلام إلى أننا وحتى نكون منصفين لا بد من أن نؤكد أن هناك بعض الغربيين الذين يدعون إلى حماية الوجود الإسلامي في الغرب، وتمتع المسلمين بحقوقهم كافة ويستندون في دفاعهم هذا على عدة مرتكزات أساسية أهمها:

- تقديم المسلمين خدمات جليلة للمجتمعات الغربية، حيث ساهموا في بناء أوروبا بعد أن دمرتها حربان عالميتان، بل إنهم وقفوا إلى جانب أوروبا في الحرب التي راح ضحيتها الملايين منهم.
- المسلمون يسدون فراغاً في الحياة الأوروبية حيث يقومون بالأعمال المتواضعة التي يأنف الأوروبيون عن القيام بها.
- استفادة أوروبا من عقول المسلمين، ونبوغ بعضهم، وإسهامهم في التقدم العلمي.
- معاناة أوروبا من نقص الإنجاب وتفاقمه مستقبلاً، وبدلاً من فتح الأبواب لهجرات جديدة، فالأفضل الاحتفاظ بالجاليات الموجودة، مع العمل على دمجها فيها حتى يكون الولاء لها.
- لا بد من فتح صفحات من الحوار والتفاهم مع المسلمين سواء المقيمين في الغرب أو الموجودين في العالم الإسلامي، لأن في هذا مصلحة الغرب في استمرار نهضته، أما الدخول معهم في حرب فإن ذلك سيضر بمصالح الغرب.

التحدي الأكبر من التاريخ الإسلامي جاء من أوروبا



❖ المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة: إن التحدي الأكبر في التاريخ الإسلامي جاء من أوروبا، وبدأ هذا منذ سعى الإسلام في سنواته الأولى على تحرير الناس من الاحتلال البيزنطي، واستمرت هذه الحروب حتى سقطت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية في أيدي المسلمين بقيادة السلطان العثماني محمد الفاتح عام 857 هجرية، خاصة وأنها كانت معقل

العداء للإسلام، ومنها كانت تنطلق الجيوش وتغذي دسائس الخيانة في أوساط الأقليات لزعزعة استقرار الدولة الإسلامية. ثم قادت البابوية في جنوب فرنسا أمراء الإقطاع الأوروبي في سلسلة الحروب الصليبية على امتداد قرنين من الزمان، أقاموا خلالها الدول والإمارات الاستيطانية في قلب بلاد المسلمين وخاصة فلسطين والشام. وأعقب ذلك تحالف الغرب المسيحي مع التتار الوثنيين ضد المسلمين، وكان دخول الإسلام أرض البلقان في النصف الثاني من القرن الخامس عشر المسيحي حافزا كبيرا للغرب ليبدأ (غزوة القرون الخمسة) التي استهدف خلالها الالتفاف حول العالم الإسلامي، وضربه من الداخل، وخلال هذه الفترة سقطت غرناطة عام 1492 مسيحي وهو الحدث الذي ما زال الغرب يتذكره جيدا حتى الآن لدرجة أنه احتفل بمرور 500 سنة على سقوط غرناطة من خلال إقامة الدورة الأولمبية في برشلونة بإسبانيا عام 1992. وتواكب ذلك مع حملة حربية لإبادة المسلمين في البوسنة وكوسوفا وهذا ما أعلنه وزير الإعلام الصربي نفسه آنذاك حيث قال بالحرف (إننا طلائع الحروب الصليبية الجديدة ضد الإسلام والمسلمين). وتركز المشروع الغربي منذ سقوط غرناطة حتى الآن لتحقيق عدة أهداف أهمها:

- تطويق وغزو العالم الإسلامي بكل الوسائل حتى لا تقوم له قائمة أبداً.
- نهب ثروة المسلمين.
- احتلال أرضهم وعقولهم.
- كسر شوكة الإسلام في بلاده وعلى أيدي أهله.

ويكشف الدكتور عمارة حقيقة يجهلها كثيرون وهي انه بعد شهر واحد من سقوط غرناطة جهز الأسبان أسطولاً بقيادة «كريستوف كولومبس» للذهاب إلى جزر الهند الشرقية الإسلامية دوراناً حول أفريقيا لاكتشاف طريق لتطويق العالم الإسلامي، فلما ضل وذهب لأمريكا نهض البرتغاليون بنفس المهمة بعد خمس سنوات، فوصل «فاسكو دي غاما» إلى رأس الرجاء الصالح، ليبدأ تطويق المسلمين بدون إنزال الهزيمة بجيش المماليك الذي خرج من مصر لمواجهة البرتغاليين على الساحل الهندي. وبعدها بسنوات قليلة كان البرتغاليون بقيادة «ماجلان»، الذي تمجده كتبنا المدرسية كمستكشف جغرافي يقتل ويبيد المسلمين في الفلبين التي تحولت للمسيحية بعد الإسلام، وأصبح اسم عاصمتها (مانيلا) بعد أن كانت أيام المسلمين (أمان الله). وبعد أن تم التطويق بدأ غزو القلب أو العالم العربي عن طريق حملة «بونابرت» على مصر عام 1798 مسيحي، ثم حملة الإنكليزي «فريزر» 1807 مسيحي، وبعد أن نجح الفرنسيون في احتلال الجزائر عام 1830 مسيحي وهيمنة الإنكليز على الهند والخليج العربي بمعاهدة 1820 مسيحي، وسقطت بلاد المسلمين واحدة تلو الأخرى وقسمها الأوروبيون في ما بينهم بموجب اتفاقية «سايكس بيكو» 1916، وأعقبها وعد «بلفور» 1917، وسقوط الخلافة الإسلامية 1924 ولا يمكن أن ينسى المسلمون موقفين ذوي دلالة لمن يعتبر، وهما ما قاله الجنرال الفرنسي «غورو» بعد احتلاله دمشق واقتحامه قبر صلاح الدين الأيوبي وركله بقدمه قائلا (ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين!!). وما فعله قبله بسنوات الجنرال الإنجليزي «اللينبي» عندما احتل القدس قائلاً: (الآن انتهت الحروب الصليبية).

المشروع الغربي

وعن أمكانية الحوار والتواصل بين المسلمين والغرب بعد هذا العداء التاريخي الطويل يؤكد الدكتور محمد عمارة أن مشكلة المسلمين ليست مع الإنسان أو العلم أو الحضارة الغربية، وإنما مع المشروع الغربي الذي يريد إلغاء مشروعنا الحضاري وطمس هويتنا،

وتهميش ديننا، وفرض وصايته علينا، وإذلالنا بكل الوسائل، ولهذا فإننا من أنصار الحوار والتواصل مع الغرب، إلا أن هذا لن يكون حقيقياً ومجدياً إلا إذا حققنا عدة شروط هامة هي:

- ❖ أن يعيد العقل المسلم ترتيب بيته من الداخل وتقليل الصراعات الفكرية والعرقية الداخلية، ومعالجة كل أشكال التناقضات الداخلية.
- ❖ إعادة ترتيب الأولويات في حياة المسلمين بدلاً من حالة (العمى الفكري) الذي جعل بأسنا بيننا شديداً مما ساعد على استشراء النزيف الداخلي.
- ❖ تحديد وتصحيح موقف الذات مع الآخر.
- ❖ معالجة حالة الغضب التي تسببها دموية المأساة التي يعيشها المسلمون، حتى وإن كان هذا الغضب بالحق وللحق إلا أن الغضب يؤدي إلى عجز العقل وضياع الحكمة والصواب. لهذا لا بد من توظيفه إيجابياً، والإحساس بخطورة التحديات التي تجعل الأمة في مفترق طرق، حيث ينفذ الأعداء مخططاتهم بقوة، ونحن نزداد ضعفاً وتفرقاً وتشرذماً.

ومن خلال إقامتي بالغرب أرى أنه لا بد من إقامة جسور للحوار والتفاهم مع التيار المعتدل، وفي نفس الوقت تشكيل لجان مشتركة لفضح آراء المتعصبين من الجانبين، وأن هؤلاء يمثلون قلة يجب التصدي لها من أجل الصالح العام للبشرية. وفي نفس الوقت لا بد من إبعاد الدين عن الصراعات السياسية الحالية، لأن تصنيف الصراع على أنه ديني سيؤدي إلى إشعال نيران ستحرق الجميع، وستستمر أجيالاً قادمة. ولا بد من أن يدرك الجميع أن جوهر الأديان كلها هو السلام والخير والتعاون بين البشر، وأن ما أدخله اليهود على ديانتهم من مفاهيم عنصرية هي في الحقيقة مفاهيم مدسوسة ليست من صحيح اليهودية التي أنزلها الله. لهذا نجد بعض الحاخامات الذين يرفضون المشروع الصهيوني الذي أدى لقيام (الكيان الصهيوني) ويرونه مخالفاً للمفاهيم التوراتية. وفي نفس الوقت هناك مسيحيون كثيرون يرفضون الافكار اليمينية التي يؤمن بها البروتستانت من العودة الثانية للمسيح، وضرورة قيام إسرائيل الكبرى ومعركة «هرمجدون» لتبدأ الألفية السعيدة.

هناك منصفون يرفضون الإسلاموفوبيا



❖ الدكتور إبراهيم الجيوشي العميد الأسبق لكلية الدعوة ومدير المركز الإسلامي بلندن لأكثر من عشر سنوات: من الخطأ الحكم على الغرب بأنه كتلة واحدة معادية لنا، بل إن هناك منصفين يرفضون تيار الإسلاموفوبيا ويرونه خطراً على مستقبل البشرية كلها، وليس الغرب فقط. إلا أن تيار العقلاء ليست بيده دفة السياسة التي تحدد علاقة الغرب بالعالم كله وعلى رأسه المسلمين.

عقدة نفسية

الدكتورمحمد أبو ليلة رئيس قسم اللغة الإنكليزية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر، له رؤية متميزة للقضية فيقول فيها: الخوف من الإسلام أصبح اليوم يمثل شبه عقدة نفسية لدى كثير من الغربيين، وترجع بداية هذه العقدة إلى بداية انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، وخاصة في أفريقيا وآسيا، واقترابه المستمر من أوروبا، وأثمر هذا عن انتشار الإسلام في بعض مناطق أوروبا نفسها، لبساطة تعاليمه وقوته الإقناعية، وهذا ما جعل القيادة المسيحية هناك تشعر بالخوف الشديد من الإسلام، لهذا عمدت إلى حربه وتشويه صورته في عيون الأوروبيين، فوجدنا

بعض المتطرفين من أتباع الكنيسة حينذاك تشوه صورة الرسول والقرآن بل وتهاجم ما تسميه بإله المسلمين. وتطور الأمر إلى إخراج أول ترجمة للقرآن على يد بطرس المبجل ، وجاءت كلها تحريفاً وتشويهاً متعمداً، مما أدى إلى تعميق العداء والكراهية ضد المسلمين، حتى وصل الأمر إلى استخدام المصطلحات والمفاهيم المسيحية في هذه الترجمة حتى يظهر القرآن على أنه مجرد نقل مشوه ومحرف لكل ما في الإنجيل والتوراة، وأن محمداً كتبه بشكل سيء. وتواكب هذا مع إنتاج أعمال أدبية وفنية كلها كراهية للإسلام، وما زال هذا يمثل ميراث الكراهية لنا منذ قرون عديدة. بل إن «روجر بيكون» الإنكليزي وهو من المدينين للعرب وللمسلمين ينادي بضرورة التصدي للمسلمين وتعلم لغتهم ودراسة عاداتهم ودينهم وميولهم، حتى تسهل السيطرة عليهم، وهذا ما فسر انتشار جيوش المستشرقين في أرجاء العالم الإسلامي، وتحالف الاستشراق والاستعمار الأوروبي. بل إن «بيكون» اتبع تقسيم «أرسطو» لطرق معايشة الناس في العالم إلى ستة أصناف لكل صنف منها ما يناسبه من العمل ووسائل التغيير. ولم يكتف «بيكون» بذلك بل إنه تحالف مع «وليم أوربروك» البلجيكي ووليام أتربلوس وبوشر الألماني للترويج لنبوءة كاذبة أنه خلال 30 سنة سيتم القضاء على الإسلام من الوجود كله، وليس من أوروبا فقط. وهذا ما يفسر سعي أوروبا لإنزال كل الكوارث بالعالم الإسلامي سواء عن طريقها مباشرة،أو التحالف مع أعداء المسلمين. ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما زاد العداء ليتم تحالف مسيحيي آسيا وخاصة النساطرة مع التتار في السعي للقضاء على الإسلام وغزو دياره، وكانت المفاجأة مزيداً من القوة للإسلام بعد دخول التتار في الإسلام، رغم أنه دين المغلوبين. ومن المعروف تاريخياً أنه كلما تقدم الإسلام وانتشر جغرافيا زادت الحملات ضده، وهذا ما برز أيام قيام الدولة العثمانية وقيام الغرب بزراعة الكيان الصهيوني المصطنع في قلب العالم العربي، والدعم الغربي المستمر والرعاية الكاملة له، وكل ما من شأنه الإضرار بالمسلمين. وزاد هذا العداء في العقد الأخير من خلال نظرية صراع الحضارات والأديان، ومن قبله الرئيس «نيكسون» في كتابه (الفرصة السانحة). ووصل العداء قمته بعد أحداث 9/11، لهذا تكاتف الإعلام وصنّاع القرار في تحجيم كل ما هو إسلامي وظهور مئات الكتب وبروز الكثير من المروجين للإسلاموفوبيا عملياً وليس قولاً فقط، بل إن غزو أفغانستان والعراق ومشروع الشرق الأوسط الكبير وخطة غزو بلاد الإسلام ما هو إلا تعبير عملي عن الخوف والعداء للإسلام، وخاصة بعد أن دخل العنصر الديني والنبوءات التوراتية فيها، وضرورة إقامة ما يسمونه إسرائيل الكبرى من النيل للفرات كشرط لنزول المسيح وبداية الألفية السعيدة كما يدعون.

المشكلة الكبرى أن العلمانيين يؤكدون ارتباط الدنيوي بالديني

❖ الدكتورة زينب عبد العزيز ـ أستاذ التاريخ والحضارة بجامعة المنوفية، بمصر تقول: إن المشكلة الكبرى في علاقة المسلمين بالغرب هي أننا لا نجيد قراءة التاريخ، وإذا قرأناه لا نستفيد منه، لهذا نجد الأخطاء متكررة وما تبعها من كوارث صورة طبق الأصل لما في تاريخنا، وكل الاختلاف في الزمن والأشخاص فقط. وقد أدرك الغرب ذلك فخطط ونفذ أفكاراً وهو يعرف أننا لن نقاوم، وإذا قاومنا فهي



مقاومة عشوائية، لأننا لا نستشعر الخطر، وإذا استشعرناه لا نتحرك تحركاً سليماً في مواجهته. وللأسف فإن المراكز البحثية ـ وخاصة في التاريخ والسياسة ـ في واد والقيادات السياسية والدينية في واد آخر. فمن يصدق أنه لا يوجد في عالمنا الإسلامي مراكز للدراسات المستقبلية ويتم الأخذ بقراراتها وتوصياتها إذا وجدت، في حين نجد لدى الغرب مراكز تخطط وما على القيادات السياسية إلا التنفيذ، لهذا لا نجد فروقاً جوهرية بين ذهاب حكومة ومجيء أخرى، لأن الخطط واضحة ومجهزة، وما الحكومة إلا جهات تنفيذية، إلا أن الأمور في عالمنا العربي بالذات تسير وفق نظرية (سمك ـ لبن ـ تمر هندي). فالعشوائية هي طابع حياتنا. وإلا ماذا فعل العرب بعد احتلال العراق الذي سيكون مقدمة لاحتلالهم جميعاً؟ وماذا كان موقفهم في اجتماع الدول الثماني الكبرى الذي يحدد لهم حاضرهم ومستقبلهم دون استشارتهم وكأنهم أناس بلا عقول؟! ويزيد الطين بلة أن الغرب العلماني بدأ يسخّر الدين لخدمة مخططاته في غزونا، وبرز تيار المحافظين وقوى الصهيونية المسيحية ونحن في غفلة وكأن الأمر لا يعنينا من قريب أو بعيد، وهذا ما عبر عنه «إدوارد مورتيمو» في دراسته (المسيحية والإسلام) والتي أكد فيها ارتباط الدنيوي بالديني في الموقف الغربي من الإسلام وأمته وحضارته، وأنه نقل مفهوم إمبراطورية الشرق الشيوعية إلى الإسلام. وأشير هنا إلى نموذج قريب لم يحرك المسلمون حياله ساكناً رغم أنه يمس عقيدتهم مباشرة، حيث أنه في الذكرى الثلاثين لإقامة إسرائيل وبالتحديد 15 الماء (مايو) 1978 مسيحي اجتمع قساوسة الكنائس وإرساليات التنصير الغربي في العالم الإسلامي في مؤتمر غلين آيري بولاية كولورادو وقدم الباحثون أربعين بحثاً تتناول الحاضر والمستقبل في علاقة المسيحية وكذلك اليهودية بالمسلمين، حيث أكد «ستانلي مونيهام» رئيس المؤتمر على طموحه لتغيير مجرى التاريخ بتنصير المسلمين جميعاً واقتلاع الإسلام من جذوره. بل إنه في كلمته الافتتاحية كأنه يصف مؤتمراتنا ومؤتمراتهم حيث يقول (يجتمع المؤتمرون في كثير من المؤتمرات فيتبادلون الرأي ويعلنون بعض القرارات ثم ينفضون فتصبح قراراتهم حبراً على ورق ولكن مؤتمراتنا تغير مجرى التاريخ). وبعده بسنوات وبالتحديد في 30 ديسمبر/الكانون 1993 مسيحي تم توقيع معاهدة الاتفاق الأساسي بين الفاتيكان معقل الكاثوليكية مع إسرائيل وجاء فيها (بعد إعلان تبرئة اليهود من دم المسيح فإن هناك بعداً روحياً يجعل هناك طابعاً فريداً للعلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية والشعب اليهودي بعد المصالحة التاريخية بينهما، وأنهما يتعهدان بالتعاون لمكافحة كل أشكال العداء للسامية والعنصرية والتعصب الديني. وأن يبقى الفاتيكان معترفاً بالوضع الحالي بالأراضي المقدسة). فماذا فعل المسلمون والعرب لمواجهة هذه المخططات الصريحة لغزوهم وإذلالهم؟ للأسف فإن ردود فعلنا تقل عن الحيوانات التي تتجمع عندما تستشعر الخطر يتهددها.

مواجهة التطرف

❖ المستشرق الفرنسي الدكتور بيير لوري المكلف من وزارة التعليم الفرنسية برصد الأخطاء الموجودة عند الإسلام في المناهج الدراسية وتصحيحها: يقول لا شك في أن البشرية كلها في حاجة لحوار الأديان والحضارات لمواجهة موجة التطرف اليميني الذي يسعى إلى نشر الصراع بين البشر، وسيدفع الجميع

ضريبة ذلك وليس الضعفاء فقط.. واستنكر ما يقوم به بعض مفكري الغرب من نكران فضل الحضارة الإسلامية على الغرب وكذلك أرفض ربط التطرف والعنف بالإسلام.

وقال: لا بد من أن يتحرك المسؤولون لتصحيح تلك الصورة المشوهة والمغلوطة فهذا نوع من الأمانة العلمية التي تقتضيها العقلية المنصفة.

يروجون أن صراع الحضارات والأديان في صالح الغرب: أنتم واهمون لأن غير الغربيين أصحاب حضارات عريقة أثرت الفكر الإنساني، كما أنهم يعتزون بدينهم ومستعدون للتضحية في سبيله بكل ما يملكون.. وهذا ما أكده عقلاء الغرب الذين حذروا من مستقبل العلاقة بين الغرب وبقية العالم.

وأنا أعرف أن هناك تيارات غربية وإسلامية ترفض الحوار بين الأديان والحضارات، ولا يدركون خطورة ما يدعون إليه.. ولا تخفى خطورة انتشار هذا الفكر الرافض للتفاهم، وأرى أن هذه الدعاوى مرفوضة دينياً وعقلياً.. فالأديان الحقة كلها تستهدف خير الإنسانية، وتدعو للتعاون والتسامح بين كل بني آدم الذين خلقهم الله لتعمير الأرض وليس لتخريبها تطبيقا لمبدأ ميكافيللي (الغاية تبرر الوسيلة).. فالمشكلة ليست في الأديان نفسها وإنما في سوء الفهم للأديان، والإدعاء بأن هذا هو صحيح الدين.. ولهذا لا بد من أن يقوم قادة المؤسسات الدينية الكبرى في العالم بدور لتشجيع الحوار والتعاون لمواجهة موجة الصراع الديني التي يروّج لها اليمين المتطرف في كل الأديان.

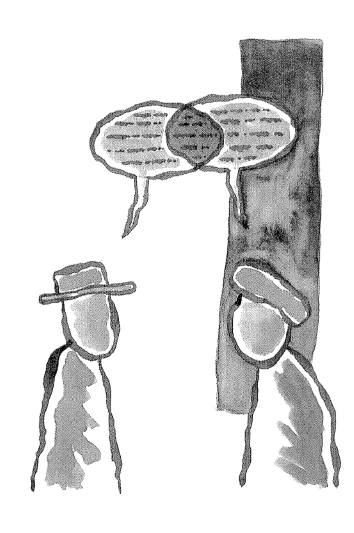
حقيقة الأصولية

لا شك في أن الإعلام لدينا حاول إبراز الأصولية كمفهوم يعبر عن التطرف والعنف الذي قد يصل إلى الإرهاب.. والحقيقة أنني من خلال دراستي عرفت أن الأصولية مفهوم جاء من داخل الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية، وهذا ما أكده جاك بيرك المستشرق الفرنسي المعروف، حيث أوضح أن الظاهرة الإسلامية ليست أصولية بالمعنى الغربي السلبي لهذا المصطلح، وإنما هي حركات إسلامية تسعى لتقريب مجتمعاتها من منابعها، وإقامة دولة ومؤسسات تقدم حلولا لمشكلات العصر انطلاقا من مرجعية إسلامية بدلا من المرجعيات غير الإسلامية، أي أن الأصولية مصطلح غربي في الأساس تم نقله بمفهومه السلبي للإسلام، وهذا ما يرفضه أي إنسان إلا أنني أتعجب لماذا تم إلصاقه بالإسلام فقط وبالمفهوم السلبي؟ وأين دور مفكري الإسلام في توضيح ذلك للغرب إذا كان قد تم إلصاقه خطأ بالإسلام دون غيره ؟. ولماذا لم تتم الاستفادة مما قاله المستشرق الفرنسي الشهير مكسيم رودنسون من أن الأصولية الإسلامية تتميز عن الأصوليات الدينية الأخرى، وذلك لتميز الإسلام عن بقية الأديان بأنه دين ودولة.

جحود ونكران

هناك مفكرون غربيون يحاولون إنكار أي فضل للحضارة الإسلامية على الغرب رغم أن هذا سجلته كتب التاريخ، ولا شك في أن أمثال هؤلاء يتصفون بالعداء الشديد لكل ما هو إسلامي، ويرفضون فهم الحقائق التي لا ينكرها إلا جاحد.. فتلاقي وتمازج وتواصل الحضارة أمر طبيعي، وكل حضارة استفادت من الحضارات السابقة والمعاصرة لها، ومن ينكر

ذلك ينظر للعالم وكأنه مقسم إلى جزر منعزلة ليس بينها أي روابط، وهذا أمر يرفضه أي عاقل.. فالحضارة الإسلامية كان لها دور عظيم في الفكر الإنساني، وقد عبر عن ذلك بعض المؤرخين المنصفين أمثال المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي الذي قال في كتابه (دراسة التاريخ): إن الحضارة الإسلامية باقية لقيامها على الجوانب الروحية أساساً، بينما الحضارة الغربية غير مستقرة لأنها حضارة مادية. لهذا فإن الأوروبيين بنوا حضارتهم الحديثة ثم دمروها في الحرب العالمية الأولى، وعندما أعادوا بناءها دمروها مرة ثانية في الحرب العالمية الثانية لهذا فأنا أؤيد أي محاولة للتواصل والحوار بين الغرب والعالم كله، وخاصة المسلمين الذين يمثلون ربع سكان العالم.. فالتفاهم والحوار في مصلحة البشرية جمعاء وفي مقدمتها الغرب نفسه، سواء كانت مصالح سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية، أما الصراع فهو خراب على الجميع وقتل لأي محاولة للتفاهم.



صراع الحضارات

إنني أنظر إلى الحضارات على أنها من صنع البشر جميعاً وبدرجات متفاوتة، وحمايتها وتعاونها في مصلحة البشر جميعاً، والعالم الآن أصبح قرية صغيرة، ما يحدث في طرف من أطرافها يؤثر على بقية العالم، لهذا فإن من مصلحة العالم الآن أن يقوده الحكماء بدلاً من القوى اليمينية المتطرفة التي ستؤدي إلى زيادة الصراعات، ويزيد الأمر صعوبة إذا رفعت هذه القوى اليمينية شعارات ونبوءات دينية تعمل على تحقيقها حتى ولو كان فيها هلاك الآخرين، فهذا الأمر يقود العالم كله إلى مستقبل غامض مشحون بالصراعات التي ستدفع ثمنها البشرية جمعاء، وستسود الكراهية بين الأجيال القادمة.



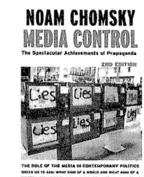
مفكرون غربيون يناهضون الإسلاموفوبيا

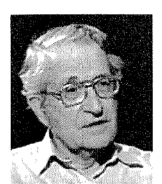
مناهضة الإسلاموفوبيا بالكشف عن آلياتها وفضح أدواتها

نعـوم تشومسكي وسيطرة الأعــلام

يُعد نعوم تشومسكي في رأي أكبر المؤسسات العلمية أشهر كاتب معاصر على الإطلاق، وأهم باحث أكاديمي استطاع أن يلتزم إلى أكبر حد بالحَيْدة العلمية. وبالرغم من أنه اشتهر عند علماء اللغة بأنه صاحب أشهر نظريّة لغوية في العصر الحديث، وهي ما يُطلق عليه اسم (النحو التوليدي)، إلا أنّ له مشاركات في مجال الفكر السياسي متميّزة، حتى أنها طغت أو أوشكت أن تطغى على مجاله العلمي الأصلي وهو علم اللغة.

يقول أحد الباحثين العرب: «يقول عنه رجال الدين إنه «ملحد»، أما مثقفو السلطة فيؤكدون أنه «فوضوي» يهدف إلى تفكيك هياكل السلطة وسيطرة الدولة. ويصرّ منظرو العولمة على أنه من أنصار «نظرية المؤامرة». والحقيقة أن إيمانه لن ينفعنا كمسلمين بكل تأكيد، كما أنّ فوضويته لن تضرّنا كعرب دون شك. وأما اعتقاده بنظرية المؤامرة لو سلمنا بذلك جدلاً فهذا لم يمنع «نيويورك تايمز» وهي أشهر صحيفة في العالم من وصفه بأنه «أهم مفكر على قيد الحياة». كما أكدت مجلة «نيوزويك» أنه مع عالم الفيزياء الأمريكي إدوارد ويتن (1951) يعتبران «أبرز عبقريين ظهرا في النصف الثاني من القرن العشرين». وأضافت صحيفة «بوسطن غلوب» أنه يضاهي سيغموند فرويد وألبرت أينشتاين. بل اتضح في دراسة للمركز الوطني للمعلومات العلمية في





الولايات المتحدة أنه «أكثر شخص على قيد الحياة يتم الاستشهاد بأقواله، ويحتل المركز الثامن تاريخياً ضمن قائمة العشرة الأوائل من الأعلام الذين يستشهد بأقوالهم على مر العصور». وتضم القائمة ماركس، وشيكسبير، وأرسطو، وفرويد، وغيرهم. وتشومسكي وُلِد عام 1928 في ولاية بنسلفانيا لعائلة تنحدر من أصول يهودية وهو الآن في طريقه إلى تقاعد جزئي من عمله كأستاذ في اللغة واللسانيات في معهد ماساشوستش للتكنولوجيا. وهو يعد أعظم من كتب في اللسانيات الحديثة. كما أحدثت نظرياته في اللغة ثورة ضخمة في علوم النفس، والفلسفة، والإدراك والعقل، والأنثروبولوجيا، والتعليم، والذكاء الاصطناعي، والاتصالات.

نشر تشومسكي ما يربو على سبعين كتابا، ومئات المقالات في العديد من المجالات.

من مؤلفاته:

- أسرار وأكاذيب الديموقراطية
- هيمنة أم بقاء على قيد الخياة

❖ دولة مارقة

❖ صناعة الإجماع السكوتي

إلا أن أهمية تشومسكي وشهرته الحقيقية تنبع من نشاطه السياسي بنوعيه الفكري والحركي. ويمكن تلخيص فلسفة تشومسكي السياسية في عبارة مهمة قالها في محاضرة له في جامعة هارفارد عام 1966 بعنوان «مسؤولية المثقفين» ضمن نشاطه السياسي المعادي لتدخل الولايات المتحدة في فيتنام حيث قال: «إن من مسؤولية المثقفين أن يقولوا الحقيقة ويفضحوا الأكاذيب». ومن المعروف أن تشومسكي هو من أشد المناصرين للقضايا العربية وخاصة قضية فلسطين مما دعا منظمة « بناي بريث» أي أبناء العهد اليهودية إلى وصفه بلقب «اليهودي المعادي للسامية». ونتيجة لمواقفه الناقدة لسياسة الولايات المتحدة فإن وسائل الإعلام الأمريكية بأصنافها الثلاثة تهمشه تماماً ولا تعطيه الفرصة للظهور. وقد أنتج عنه أنصاره فيلماً وثائقياً رائعاً في 166 دقيقة عام 1992 بعنوان «فبركة الموافقة: نعوم تشومسكي وأجهزة الإعلام»، والفيلم يقدم سيرة ذاتية وفكرية لتشومسكي بتسلسل مثير وطريقة مبتكرة. ويشمل الفيلم مقاطع من مناظرة مهمة لتشومسكي مع الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو وأخرى ساخنة جداً مع فريتس بولكشتين وزير الدفاع الهولندي السابق، وكذلك قصة موقف تشومسكي الأخلاقي ودفاعه عن حق الدكتور الفرنسي روبرت فوريسون في التعبير عن رأيه عندما أنكر وجود غرف الإعدام بالغاز في ألمانيا، وما تلاها من حملة افتراء بشعة تعرض لها تشومسكي. بالإضافة إلى العديد من المقابلات والمحاضرات والأحداث المشوقة والنادرة. كما يقدم تشومسكي في الفيلم معلومات دقيقةً وأدلةً موثقة توضح كيفية سيطرة أجهزة الإعلام الأمريكية على عقول الناس مما ينتج عنها الموافقة على سياسة النظام التي تكون دائماً مفيدة لصالح الشركات الكبرى.الفيلم مدهش وغير مسبوق من حيث تقنية الإخراج الوثائقي ولذلك حاز على 15 جائزة دولية وكل من يشاهد هذا الفيلم سيدرك أن هناك تواطؤاً إعلامياً ورسمياً أمريكياً لتهميش هذا المفكر العظيم والنّاشط السياسي العنيد الذي رفض أن يكون (مثقف سلطة) وأختار أن يخلص حياته كلها للدفاع عن مصالح المسحوقين والمضطهدين.

لم تخطئ صحيفة «التايمز» اللندنية حين وصفته بأنه «عدوٌّ لسياسة الولايات المتحدة وبطل للناس العاديين». وكذلك صحيفة الغارديان التي أكدت أنه «ضمير الولايات المتحدة الأخلاقي وفاضح الأكاذيب». وكتابه الأخير الذي يحمل عنواناً هو:

(سيطرة الإعلام: الإنجازات المثيرة للدعاية)

Media Control: The Spectacular Achievements of Propaganda

من منشورات Seven Storie Press، يمثل نقلة جديدة في فضح الأدوار الخفية التي تؤدّيها وسائل الإعلام. ويناقش خطورة هذه الآلة الجهنمية في توجيه الرأي العام وتوظيفه في مصالح يفترض أنها في خدمته، وليس تحقيقاً لأغراض خاصة. وينبّه تشومسكي إلى خطورة هيمنة الدولة على مؤسسات الإعلام التي ما انفكت تروّجُ للأباطيل خدمةً لسياسات وأهداف ثلّة من الناس داخل مؤسسات الدولة، حتى باتت معرفة الحقيقة من ذلك الكمّ الهائل من الأكاذيب أمراً عسيراً. ويقول تشومسكي إنّ أوّل عمليّة دعائية حكوميّة حديثة تمت في عهد الرئيس الأمريكي ويلسون الذي انتخب رئيساً للولايات المتحدة سنة 1916 على أساس السياسة التي نادى بها وهي (السلام بغير انتصار). وكانت هذه الدعوى تنسجم مع الثقافة العامة للأمريكيين الذين كانوا يميلون للمسالمة وكراهية الحرب التي اندلعت في أوروبا ولا شأن لهم بها. ولما كانت إدارة حكومة ويلسون قد تعهدت لحلفائها أن تشارك في تلك الحرب، لم تجد أمامها إلا

أن تستخدم الدعاية لتغيير الرأي العام من رأي يدعو إلى المسالمة إلى رأيّ يدعو إلى الحرب، رأي متعطش لدماء العدو الألماني.

لقد وقع هذا الأسلوب الدعائي موقعاً حسناً في نفوس صنّاع السياسة الأمريكية اللاحقين، فأخذوا يتوسّعون في الأنشطة الدعائية، والإغداق على مؤسساتها، والإسراف في توظيفها. فاستخدمت بطريقة فعّالة في نشر الرعب والهلع من الخطر الأحمر العالمي الذي سيأتي على كلّ جميل في هذا العالم. لقد نجح هذا الأسلوب بشكلٍ فائق حتى تلبّس الأمريكيين هوسٌ اسمه الشيوعية ذلك الوباء الذي يجب أن يجتث من جذوره.

لقد تحوّلت هذه الآلة إذ ذاك إلى وسيلة شريرة من وسائل القمع تحت مبررات واهية. إن تأثير الفلسفة الذرائعية (براغماتيزم) على العقل الأمريكي كان واضحاً جداً. وهي فلسفة تبريرية مصلحية.

وقد كشف تشومسكي في كتابه هذا عن التوافق بين النظرية الماركسية اللينينية والنظرية الديموقراطية الليبرالية، فكلتاهما تسخر آلاتها الدعائية من أجل الترويج لفلسفة بعينها، وتمكّن ثلّة من أنصارها المتبنين لها والمدافعين عنها من أن يفكّروا نيابةً عن السواد الأعظم من النّاس. فالجمهور في كلتا النظريتين كالسفيه الذي ينبغي أن يُحجر عليه، بمعنى أن يُفكّر له. ولهذا نرى سهولة انتقال أنصار إحدى النظريتين إلى الأخرى على مدار السنين، على رأي تشومسكي، دون الإحساس بأدنى تغيير. إنها فقط عملية تقدير موقع السلطة والقوّة. ويرى تشومسكي الآثار السلبية لنظرية ليبمان في الديموقراطية، حيث ينقسم المواطنون إلى فئتين: فئة فاعلة، مفكّرة، وهي فئة الصفوة أو النخبة، وهي التي تتسلّم مقاليد السياسة والحكم وقيادة الأمة، وهي فئة صغيرة الحجم، كبيرة التأثير. وفئة منقادة، يطلق عليها ليبمان اسم «القطيع المرتبك المتخبط». ويقول ليبمان: «يجب علينا حماية أنفسنا من صياح أي قطيع مرتبك ومتخبّط. وهذا الصنف الثاني هو مستهدف الآلة الدعائية، حيث يعاد تشكيلهم ذهنيّاً لتوظيفهم في تأييد هذا أو ذاك». ويقول تشومسكي عن خطورة تزييف التاريخ وتشويه الحقيقة: «إنه من الضروري ، وفقاً للتيّار السياسي المسيطر، أن يُزيّفَ التاريخ، وتلك طريقة أخرى للتغلب على القيود الشعبية غير المرغوب فيها، مثل الاتحادات والنقابات التي يندر وجودها في الولايات المتحدة، لجعل الأمر يبدو كما لو أننا نهاجم أو ندمّرُ شخصاً ما لكي نحمي أنفسنا، وندافع عنها ضد معتدين ووحوش خطرين».

ومن أخطر الأمور التي يتحدّث عنها تشومسكي في كتابه، هدم القيم الأخلاقية عندما تتصادم مع السياسات الأمريكية، لا سيما المتبعة في الخارج مع دول العالم الثالث. فالقتل تحت مسميات جديدة يصير مبرّراً، وسرقة ثروات الشعوب ونهب خيراتها تتم تحت غطاء تمدين الشعوب وتطويرها.

وأهمية الكتاب تكمن في أنه دعوة صريحة إلى إعادة التفكير في كثيرٍ مما يحسب على أنه من المسلمات، وهو ليس بالضرورة كذلك. وإذا علمنا أن أخطر الآلات الجهنمية التي توظفها الإسلاموفوبيا اليوم هي الإعلام الجماهيري، أدركنا أهمية هذا الكتاب.

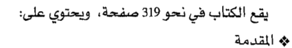
جون ايسبوزيتو وخرافة التهديد الاسلامي

(التهديد الإسلامي: أسطورة أم حقيقة):

The Islamic Threat: Myth or Reality



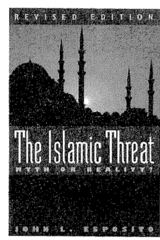
كتابٌ من تأليف جون إيسبوزيتو John Esposito ظهرت منه مؤخراً الطبعة الثالثة. وقد صدرت طبعته الأولى بتاريخ 1999. وهو من إصدارات مطبعة جامعة أكسفورد بنيويورك.

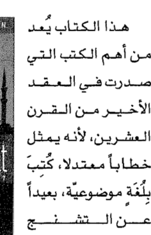


يقع الكتاب في نحو 319 صفحة، ويحتوي على:

- ❖ المقدمة
- ❖ الإسلام المعاصر: الإصلاح والثورة
- ❖ الإسلام والغرب: جذور النزاع، والتعاون، والمواجهة
- ❖ الغرب المنتصر: ردود أفعال إسلامية
- ❖ الإسلام والدولة: ديناميكيات الانبعاث
- ❖ التنظيمات الإسلامية: جند الله
- ❖ الإسلام والغرب: صدام الحضارات
- ❖ ملاحظات
- ❖ فهارس

يأتي هذا الكتاب في زمن تعالت فيه أصواتٌ معادية للإسلام، تدعو تصريحاً تارة وتلميحاً تارةً أخرى إلى محاربته والتضييق على أهله، لأنه في نظرهم بات يُشَكّلُ خطراً على الإنسانية والحضارة الحديثة، وهو دينٌ معادٍ للحداثة والتطوّر على حسب زعمهم. في هذا الزمن الذي خرج فيه منظّرون يبشّرون بصدام الحضارات، ونهاية التاريخ، زمنٌ يمكن وصفه بأنه زمن «فقدان الرشد»، خرج القس جون ايسبوزيتو John Esposito بكتابه (التهديد الإسلامي: أسطورة أم حقيقة) ليردّ هذا العالمَ المهووس بالدمار، والقتل، والفجيعة، إلى صوابه.





هذا الكتاب يُعد من أهم الكتب التي صدرت في العقد الأخير من القرن العشرين، لأنه يمثل خطاباً معتدلا، كُتِبَ بِلُغَةٍ موضوعيّة، بعيداً عن التشنج والاستعداء.

والكتابة بهذا الوضوح عن الإسلام يعدّ تهمةً في بلاد الديموقراطية والحريّات التي تسيطر فيها مافيا الثقافة على وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري. ولذا ليس من العجيب أن يتعرّض الكتابُ إلى نقدٍ جارحٍ من أمثال عرّاب الإسلاموفوبيا وأنصاره دانيال بايبس Daniel Pipes الذي كتب في وول ستريت جورنال بتاريخ 30/10/1992 عرضاً مقتضباً في صفحة ونصف لكتاب (التهديد الإسلامي)، وصف فيه جون ايسبوزيتو بأنه من ذلك النوع الذي لا يبصر العدوّ حتى يضربه بقبضته على وجهه. وهو يرى أن الجملة الأخيرة التي أنهى بها ايسبوزيتو كتابه، وهي: «أن الإسلام، وأغلب الحركات الإسلامية ليست بالضرورة معاديةً للغرب، أو معادية للأمريكيين، أو معادية للديموقراطية.. والتحدي الذي نواجهه هو أن نفهم تاريخ العالم الإسلامي وحقائقه بشكلٍ أفضل»، فيها مغالطةٌ كبيرة.

يرى ايسبوزيتو أن هذه المخاوف من الإسلام بدأت تتصاعد مع انتهاء الحرب الباردة، لا سيما مع ذلك الفراغ الهائل الذي أحدثه تهاوي المعسكر الشرقي بشكلٍ سريعٍ مذهل. ولأن الثقافة الأمريكية والأوروبية قد تكوّنت على أساس مواجهة الآخر الثقافي، كان لا بدّ من اختراع عدوّ جديد تنشغل به العقول والمؤسسات لأمد، حتى ينتهي الأمريكيون والغرب من إعادة تشكيل العالم. وفي التسعينات من

القرن الماضي تعالت أصوات معاداة العرب والمسلمين من فوق منابر مختلفة: سياسية، وثقافية، وأكاديمية، وعسكرية. وخرجت نغمةٌ جديدةٌ وهي «النظام العالمي الجديد»، وشرعت وسائل الإعلام المختلفة تروّج له بترويع الشعوب وتخويفهم من الخطر الوشيك، وتلوّح بعناوين صحافية مستفزّة،مثل: «الحرب الإسلامية ضد الحداثة»، «الهلال الجديد في أزمة»، «الهلال الجديد والغرب»، «القنبلة النووية الإسلامية». وقد أظهرت هذه الحملة الشرسة على كلّ ما هو إسلامي مقدارَ السطحية التي ينظر بها الغرب للوقائع.

وشدّد ايسبوزيتو حملته النقدية على المؤسسات العلمية والثقافية التي لعبت دوراً في عملية التشويه وطمس الحقائق، والاكتفاء بإظهار جانبٍ واحدٍ من الصورة، وطمس الجانب الآخر، مبيناً خطورة الأسلوب الانتقائي في فهم الآخر وتصويره. ويقول ايسبوزيتو:

«إن هذا المنهج الانتقائي أضاف إلى جهلنا بالإسلام والعربَ ،جهلاً، وضيّق مجالَ رؤيتنا بدلاً من أن يوسّع آفاق إدراكنا وفهمنا». وقد استعرض الكاتب نماذجَ من المؤلفات التي أمعنت في تصوير العرب والمسلمين تصويراً نمطياً لا يختلف عن تلك الصورة الكاذبة التي اخترعتها الكنيسة للشرق المسلم في القرون الوسطى. ومن النماذج التي اختارها ايسبوزيتو للتدليل على رأيه مؤلفات برنارد لويس المتحيّزة والممعنة في التشويه وتزييف الحقائق. ويرى أن هذا النوع من الدراسات أُعِدّ ابتداءً لتحقيق أحد الأغراض الآتية:

1. خدمة أهداف سياسية
2. خدمة أهداف عسكرية واستراتيجية
3. إرضاء الصهيونية العالمية، ودعم الأهداف الإسرائيلية.

ولا يسلّم ايسبوزيتو بأن السبب الحقيقي وراء إعلان فكرة «التهديد الإسلامي» هو ازدياد تكاثر المسلمين في الغرب، كما يروّج لذلك دعاة الإسلاموفوبيا. واعتبر المؤلف إرجاع فكرة التهديد الإسلامي إلى عوامل ديموغرافية أسلوباً فاشلاً في إدراك الأسباب الحقيقية للخصومة بين الغرب والإسلام المعاصر. ويرجّع المؤلف حالة العداء المتنامي بين الغرب والإسلام إلى محاولات الغرب من قديم تطويع المسلمين لينصهروا في بوتقته لظنّه أن العقيدة، والأحكام الشرعية في الإسلام مسألة اختيارية وليست واجبات دينية. ويرى المؤلّف أن أسباب كراهية العرب والمسلمين للغرب والولايات المتحدة، تعود إلى:

- الاستعمار وما خلّفه من آثار سلبية.
- انحياز أمريكا المطلق لإسرائيل، وتعصبها ضد العرب والمسلمين.
- تأييد الولايات المتحدة للأنظمة القمعية المستبدة في العالمين العربي والإسلامي من أجل تحقيق مصالحها الذاتية على حساب حقوق الإنسان.

ويخصوص مسألة العنف عند المسلمين، وأنهم مستعدون لذلك بطبيعتهم، يرى ايسبوزيتو أن هذه الدعوى قروسطية قديمة، وهي أسطورة من أساطير الغرب عن الشرق.

وقد شنّ الكاتب أيضاً هجوماً شديداً على الاستعمال الفاسد والمغلوط لمصطلح (الأصولية) وفق الاستعمال اللاهوتي لها في أدبيات الكنيسة، وإسقاطه بذلك المعنى على المسلمين، وهو ما لا يتفق في دلالته مع أدبيات المسلمين.

ويرد ايسبوزيتو إخفاقَ الغربِ في فهم الإسلام إلى جملة من العوامل، هي:

- تتلمذ كثير من الخبراء الذين اهتموا بالدراسات الدينية في الغرب على أيدي أساتذة في علم التاريخ والاجتماع يفتقرون الخبرة الحقيقية والفهم الصحيح للدين الإسلامي، وكان ذلك وفقاً لبرامجَ

دراسية نظرت إلى الإسلام باعتباره جزءاً من تراث ثقافيٍّ وحصيلةٍ تاريخيّةٍ ترتبط بالماضي أكثر منها بالحاضر.

❖ التوجّه الفكري للنخبة العلمانية في الغرب، والتركيز على دراسة سياسات الحكومات الإسلامية وتوجّهات النّخب. حيث عكس هذا التوجّه شكلاً من التحيّز، أعاق فهمَ طبيعةِ الحركات الشعبية والإسلامية في البلدان العربية والإسلامية . أضف إلى ذلك أنّ معظم الدارسين الغربيين ونظراءهم المسلمين الذين تعلّموا في الغربِ كانوا أكثرَ ارتباطاً بالعملِ والدراسة مع جماعاتٍ من النخبِ من ذوي الفكرِ المماثِل، مما أدى إلى دراسة السياسات والتوجهات الإسلامية المعاصرة وفقاً لقالَب حضاريٍّ غربيٍّ معاصر.

❖ التحيّز الأكاديميّ العلماني، والمعرفة المحدودة بالإسلام، وبالبعد الدينيّ في المجتمعات الإسلامية مما أدى بكثيرٍ من الدراسات إلى الوقوع في التعميم، واستخلاص نتائجَ من منطلقات وأحكام وقوالب مسبقة.

❖ النظرة الماضوية للإسلام، وانكباب معظم الدارسين للإسلام على دراسة قضايا ومجالات عامة، خاصةً القضايا السياسية والقانونية والاجتماعية فضلاً عن الموضوعات المرتبطة بالنفط والعلاقات الدولية. ويرتبط بذلك أيضاً ندرة العلماء والباحثين في مجال الدراسات الخاصّة بالشرق الأوسط عموماً، والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية خصوصاً.

❖ محدودية معرفة معظم الخبراء والدارسين للحركات الإسلامية المعاصرة، واعتماد أغلبهم على التخمين والتعميم فضلاً عن النقلِ عن التقارير الصحافيّة، أو الوثائق والتقارير الصادرة عن الحكومات المعادية. ومن هنا جاءت نتائج معظم الدراسات الغربية عن الحركات الإسلاميّة مخالفة للواقع، لأنها انطلقت من قوالب جاهزة وتخمينات لم تستند على البحث العلمي الرصين. بل إنّ هذه الحركات تعرّضت للتشويه بسبب وصفها جميعاً بالحركاتِ الأصوليّة.

وأخيراً فإن كتاب (التهديد الإسلامي) أماط اللثام عن كثيرٍ من الشبهات، وكشف حقيقة هذه الدعوى الزائفة، وختم كتابه بأن مسألة التهديد الإسلامي للعالم هي محض خرافة، صنعها الغرب وصدّقها، ووقع في أسرها.

جاك شاهين الجراح الذي عرّى الورم

بَكَرَة أفلام العرب الأشرار: كيف شوهت هوليوود شعباً

Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies A people

كتاب من تأليف الدكتور جاك شاهين Jack Shaheen صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة 2001، وصدرت طبعته الثالثة سنة 2003 ويقع في 573 صفحة وهو من نشرOlive Branch Press.

والمؤلف جاك شاهين، كاتبٌ أمريكي من أصل عربي لبناني، من مواليد بنسلفانيا. وهو أستاذ سابق في مادة الاتصال الجماهيري بجامعة إلينويز الجنوبية بإدواردزفيل Southern Illinois University at Edwardsville

وهو الآن أستاذ زائر في مركز التفاهم الإسلامي ـ المسيحي بجامعة جورج تاون. وللمؤلف كتبٌ عديدة في حقل الإعلام والاتصال من أشهرها:

❖ عرب التلفزيون The TV Arab

❖ الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الثقافة الشعبية الأمريكية.

وكتاب (العرب الأشرار) حصيلة بحثٍ متأنٍ ودراسةٍ متواصلة، استغرقت من المؤلّف عشرين عاماً تتبّع خلالها بالعرض والتحليل أكثر من 900 شريطٍ

سينمائيّ وتلفزيونيّ تصوّر العرب والمسلمين في السينما الأمريكية خلال القرن العشرين برمّته.

يحتوي الكتاب على:

- ❖ كشاف المختصرات والرموز
- ❖ شكر وامتنان
- ❖ تمهيد
- ❖ القسم الأول: المقدمة (39 صفحة).
- ❖ القسم الثاني: عروض الأشرطة السينمائية من الألف إلى الياء. (500 صفحة).
- ❖ ملاحظات (8 صفحات).
- ❖ فهارس.

يعد هذا الكتاب صدمة ثقافية حقيقية A real cultural shock فهو فضيحة للعالم الذي يزعم أنه حر، ومعقلٌ للأحرار. العالم الذي يدّعي أنه يحترم عقلَ الإنسان.

لم يكن الرجل الغربي والأمريكي ليُصَدّق بسهولة لو قيل له إن مؤسسات بلاده الإعلامية تمارس الكذب، والتشويه، والافتراء. ولم يكن ليُصدّق أن هذا الإمعان في التشويه ليس وليد اللحظة، بل إن عمره يتجاوز القرن. إنّ المضلّلَ الأول في هذه المسألة هو المتفرج الغربي/الأمريكي. ذلك المتفرّج المخدوع الذي أعيد تشكيل عقله ليفكّر وفق النمط الذي رُسم له.

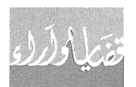
وترجع أهمية كتاب (العرب الأشرار)، على رأي النقّاد، إلا أنه استطاع أن يحقق ثلاث نتائج قلما تجتمع لكتاب. الأولى: اعتباره مصدراً أكاديمياً لكل من يريد دراسة هذا الموضوع، حيث يضع كمّاً هائلاً من الأشرطة بين أيدي الباحثين، مفهرسة، ومرتبةً ألفبائياً بحسب عناوينها. وهو بذلك ييسّر على الباحث مشقة مشاهدة تلك الأفلام، فيضع مادتها بين يديه لينتقل فوراً إلى المرحلة اللاحقة وهي البحث عن العلل النفسية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية الكامنة وراء هوس التشويه والتزييف.

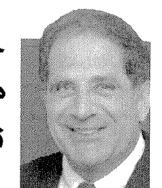
الثانية: إحداث هزة ثقافية / سياسية في أوساط النخبة المثقفة. لأنّ الكتاب إدانة سياسية لمؤسسات الدولة، وللمؤسسات الخاصة التي تسعى لتحقيق أهداف مشتركة. بل إن في الكتابِ إدانةً لطائفة من الكتّاب والمشتغلين بالإخراج والإنتاج السينمائي، الذين عملوا من أجلّ الترويج لأهداف الصهيونية وربائبها في الغرب من خلال طمس الحقائق، وإعادة تركيب الوقائع والأحداث بما يخدم مصالحهم.

الثالثة: إحداث حالة من الوعي لا في النخبة المثقفة فحسب، بل في جمهور الناس من العامة المفتونين بمشاهدة الأشرطة السينمائية. ولن يتوقف ذلك عند تشويه صورة العربي والمسلم فحسب، بل سيتجاوزها إلى غيرهم ممن شوّهوا أيضاً. فالأمريكي، مثلاً، عندما يقرأ هذا الكتاب سيتساءل: هل حقاً كان الهنود الحمر متوحشين ؟ هل تلك الصورة القاتمة التي رُسِمت لهم حقيقية؟ هل هي تبرير أخلاقي لجرائم ومذابح صمت عنها التاريخ ؟ هل كان الأمريكي حقاً بطلاً أسطورياً في فيتنام ؟ وفي كامبوديا ؟ وفي كوريا؟ وفي اليابان ؟ خطورة الكتاب أيضاً تكمن في أنه سيعيد فتح ملفاتٍ حرص الغرب على إغلاقها.

لقد عالج المؤلف البروفيسور جاك شاهين الموضوع بحيدة تامة، وبلغة أنيقةٍ مهذّبة، شجّعت الكثيرين على قراءته. لغة بلغت درجةً عاليةً من الإقناع والموضوعية.

والسؤال الذي ينبغي أن نجيبَ عنه هنا: أما آن الأوان أن يُتَرْجَمَ هذا الكتاب، وكتبٌ أخرى لهذا المؤلّف الفذ إلى اللغة العربية ؟ أم أن قراء العربية في غنىً عن ذلك، مع أن تلك الأشرطة تغزوهم في عقر دارهم.





جاك شاهين يتحدث للتواصل:

هوليـوود منـذ أكـثر مـن قـرن تشـوه صـورة الإسـلام

أجرى المقابلة: الصديق بشير نصر *

س. يُعدّ كتابكم (العرب الأشرار في السينما ، أو كيف تشوّه هوليوود شعبا) صدمةً ثقافية. إلى أيّ مدى توافقون على هذا القول؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا؟

ج. حقاً إن كتاب (العرب الأشرار) صدمة ثقافيّة، وصدمة ماديّة أيضاً . فقبل صدورِ الكتاب لم يكن أغلبُ القرّاء، بمن فيهم العرب والمسلمون، يدركون أنّ هوليوود كانت لأكثر من قرنٍ تشوّه الإسلام وكلّ ما يمتّ للعرب بصلة .

س. بعد انقضاء فترة طويلة من العمل المتواصل والمؤلفات العديدة في الإعلام، كيف تقوّم آثار جهودك النقدية في تقييم وسائل الإعلام الأمريكية؟

ج. تسعى أعمالي لإحداثِ نوع من الاختلافِ لا سيّما مع نقاد السينما، والأساتذة، وصنّاع صورة الأمريكية للمسلمين والعرب من الأمريكيين الشباب. ولكن أن يقوم فردٌ واحدٌ بالكتابة في هذا الموضوع أو المحاضرة فيه فذلك لا يعدو أن يكون قطراتٍ من الغيث. ولكي نغيّر هذه الصورة النمطية (المقولبة) فنحن نحتاج إلى طوفان. وثمة مثلٌ عربيٌّ يقول : «اليد الواحدة لا تصفّق ». ونحن لا نزال أحوج إلى العمل منا إلى الكلام، أيّ أننا نحتاج إلى أيدٍ كثيرة لتصفّق.

س. الإسلاموفوبيا اليوم تهديدٌ حقيقيٌّ يوظّفُ كلّ وسائل الإعلام المتاحة لتشويه ثقافتنا، وتاريخنا، وديننا. لذا ما الذي تنصح به لمواجهة هذا التحدّي؟

ج. اعْمَلْ. توقف عن التذمر والشكوى. تطوّع أو قدّم دعماً لتلك المؤسسات، و للباحثين، وصنّاع السينما الذين يقومون بجهدٍ لإعادة الوجه الإنساني للعرب والمسلمين. شجّع أطفالك على أن يصبحوا جزءاً متمّماً لوسائل الإعلام. وعندما يقوم شخصٌ ما من وسائل الإعلام بإهانة ثقافتك أو عقيدتك، التقط سماعة الهاتف ورتّب للاجتماع بذلك الشخص، إذ ليس في مقدورنا أن نستمر في الصمت واللامبالاة.

س. إنّ إحدى آليات الإسلاموفوبيا سوء استعمال وسائل الإعلام بشكلٍ متعمّد، وقد نبّه البروفيسور ناعوم تشومسكي في كتابه (سيطرة الإعلام) إلى هيمنة تلك الوسائل، ولكن كيف يمكن السيطرة على وسائل الإعلام نفسها؟

ج. كلا. وسائل الإعلام لا يمكن السيطرة عليها، ولكن يمكن تغييرها. وهي دائماً تتغيّر وتتبدّل. أنظر كيف تغيّرت صورة الأمريكيين السود (الأفارقة). لقد تغيّرت لأن الأمريكيين الأفارقة ومناصريهم قاموا بالعمل المطلوب من أجل خلق صورة أكثر إنسانية لهم.

س. في كتابكم (الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الثقافة الشعبية الأمريكية) قلتم إنكم قابلتم في سنة 1974 مدير البرامج في قناة CBS وأخبركم بأنّ صورة العربي النمطية (المقولبة) جذّابة ومثيرة لكثيرٍ من الناس، وأنه من السهل فعل ذلك.. وعلّقتم على ما ذكر بقولكم: « ولم يتغيّر شيءٌ منذ ذلك الوقت».

---

* كاتب وباحث/ ليبيا

واليوم، وبعد مُضيّ أكثر من ثلاثين سنة على ذلك القول، كيف هو الحال الآن؟ هل ترى أيّ تغيير؟

ج ـ إنّ الهجوم على العرب والمسلمين اليوم أسوأ من ذي قبل. والآن، وللمرّة الأولى في تاريخ الإعلام الأمريكي، وبرامج التلفزيون، والصوّر المتحرّكة، يُصوَّرُ العرَبُ الأمريكيون، والمسلمون الأمريكيون على أنهم نسخة أخرى من أسامة بن لادن وصدّام حسين. وهو ما يعبّر عنه بالأمريكية «لو أبصرت واحداً فكأنك أبصرت الجميع». إنه كليشيه.

س. وضع بعض النقّاد كتابك وكتاب (الاستشراق) لإدوارد سعيد في مستوى واحد. فكلاهما يسعى لإماطة اللثام عن التشوهات الذهنية والثقافية للعقل الأمريكي. أي ظاهرة التحيّز في التفكير الأمريكي. هل توافقون على هذا؟ إذا كان جوابكم (نعم) أو (لا) فلماذا؟

ج ـ إنّ كتاباتي، والكتابات الرائعة لصديقي وزميلي المتميّز إدوارد سعيد، تشتركان في هدفٍ واحد. إنها تهدف إلى فتح أعين النّاس وجعلهم يدركون ويفهمون هذه الصورة النمطية، ماضياً وحاضراً ومستقبلا. وتسعى للتعريف بتاريخها، وتأثيرها المدمّر على الأبرياء، والسياسة العامة، والعلاقات الأمريكية الخارجيّة.

س. كيف استقبل المثقفون المعادون للعرب كتابكم (العرب الأشرار)؟

ج ـ إنّ المتحاملين والباحثين الذين لهم برامج منظّمة (أجندة) لمعاداة العرب تجاهلوا الكتاب. وبعضهم دافع عن الصورة النمطية لأن العرب يعبدون (إله القمر).

(يريد جاك شاهين مقالات روبرت موري الذي يزعم في كتاباته أن المسلمين يعبدون وثناً هو إله القمر).

س. كيف استقبل الأمريكيون غير المتخصّصين الكتاب؟

ج ـ الكتاب مستمر في التأثير على القرّاء. وتقريباً أغلب الأمريكيين الذين اطّلعوا على الكتاب تقبلوا أطروحتي بسرور. فأنا أتلقى رسائلَ أسبوعيّاً من القراء في جميع أنحاء العالم، وهم يؤيدون عملي، وكثير منهم قدّم لي يد العون سواء بالاقتراحات، أو بعرض أشرطة سينمائية وتلفزيونية جديدة.

س ـ هل ثمة انطباعات إيجابيّة عن كتابكم عند رجال الحكم والسياسة وصنّاع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية؟

ج ـ للأسف لا أعلم.

س ـ هل تُرجمت أيٌّ من كتبكم إلى العربية أو إلى أيّ لغات أخرى؟

ج ـ كان من المفترض أن تصدر ترجمة لكتاب (العرب الأشرار) بعد صدوره مباشرةً في يونيه سنة 2001. وقد أخبرني ناشر الكتاب قبل ثلاث سنوات أن مؤسسةً حكوميّةً غير ربحية في مصر ستقوم بترجمة الكتاب ونشره باللغة العربية. لقد أسعدني ذلك كثيراً لأنه ستتاح الفرصة للقراء العرب للاطلاع على الكتاب. ولكن إلى الآن لم تظهر ترجمة عربية إلى الوجود. ولا زلت أنتظر شيئاً من مصر.

س. ما هي مشروعاتك المستقبلية؟

ج ـ إلى جانب المحاضرات التي ألقيها، والكتابات ذات العلاقة، فإنني منهمكٌ الآن في إدخال تعديلات على كتابيّ (بكَرَة العرب الأشرار) و(عرب التلفزيون).

س. ختاما، إنّ كتابكم (العرب الأشرار) مرحلة تشخيص للدّاء، وينبغي أن تكون الخطوة القادمة التعرّف على الأسباب الظاهرة والباطنة التي تكمن وراء ظاهرة الصورة النمطية للعرب والمسلمين . فهل تفكرون في العمل على هذا المحور؟

ج ـ نعم، ومحاور أخرى أيضا. وما يدهشني ويصدمني أنّ العرب والمسلمين، الذين اعتادوا التهليل والتكبير، لم يقوموا بأيّ محاولة لاقتناء الكتاب وشرائه وتوزيعه في أرجاء العالم. فلماذا لا يحدث هذا؟ لماذا لا يقوم البعض بمدّ يد المساعدة.. المساعدة التي يستفيد منها الجميع. نحن، وفي يأس، نسعى لجعل هذا الشكل الجديد من معاداة السامية منظورا. وأكثر الناس في حاجةٍ إلى معرفة ذلك التنميط الشرير. فقط بالإرادة الواعية والمهتمّة سنقوم بالتغيير المطلوب. وحتى يأتي العونُ والمددُ المطلوب سأستمر في المساعدة حتى يظهر للوجود صنّاع للصورة من العرب والمسلمين الأمريكيين. فهم المستقبل، وبعون الله سيصنعون التغيير.

إدموند غريب: الرؤية المتشظية

(الرؤية المتشظية:
صورة العرب في الإعلام الأمريكي)

Split Vision: The Portrayal of Arabs in the American Media

كتابٌ من تأليف الكاتب الأمريكي العربي الأصل د إدموند غريب وهو من مطبوعات مجلس الشؤون العربية الأمريكية بواشنطن دي ،سي، سنة 1983.

ولأدموند غريب عدد من المؤلفات، منها:

- ❖ المسألة الكردية في العراق
- ❖ أعداء الشمس (شعر المقاومة الفلسطينية) بالاشتراك مع آخرين.
- ❖ حرب الخليج. بالاشتراك مع آخرين.
- ❖ القاموس التاريخي للعراق.

ويعالج كتاب (الرؤية المنقسمة) موضوع تشويه صورة العربي في وسائل الإعلام الأمريكية. وبالرغم من أن الكتاب قد مضى على صدوره حقبة من الزمن، إلا أنه يظل على رأس قائمة الكتب الأكثر قراءة من المتخصصين. ويقع الكتاب في نحو 400 صفحة. ويحتوي على:

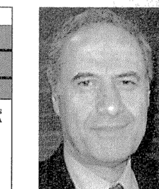
ـ مقدمات.

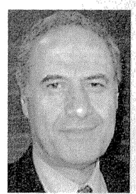
القسم الأول:

- ❖ عدم التوازن في وسائل الإعلام الأمريكي
- ❖ مقابلات مع شخصيات إعلامية
- ❖ التحيّز على صفحات التحرير الأمريكية
- ❖ تتبع الرسوم الساخرة في تعاملها مع الشرق الأوسط

القسم الثاني:

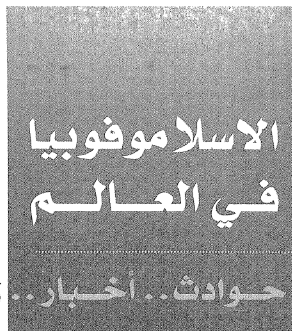
- ❖ نظرة جديدة للمتابعة الأمريكية للأحداث العربية. نحو فهم أفضل.





- ❖ مقابلات.
- ❖ في منتصف الشرق الأوسط، الإعلام والسياسة الأمريكية الخارجية.
- ❖ أساطير الإعلام عن الشرق الأوسط، بقلم ماري ماكديفيد.
- ❖ صور الشرق الأوسط في الرواية المعاصرة . بقلم جانيس تيري.
- ❖ صور العرب في التلفزيون الأمريكي، بقلم جاك شاهين.
- ❖ أثر التصورات الأمريكية على قضايا الشرق الأوسط، بقلم مايكل سليمان.
- ❖ التصوير النمطي للعرب في الرسوم الأمريكية السياسية الساخرة، بقلم نيل لندنمان
- ❖ الصورة الأمريكية في وسائل الإعلام العربي. بقلم عدنان أبو عودة.
- ❖ تكوين الصورة والكتب المدرسية، بقلم إياد القزّاز.
- ❖ دراسة العرب في كتب علم الاجتماع المدرسية الأمريكية، بقلم سمير الجرّار.
- ❖ وسائل الإعلام الكندية والشرق الأوسط، بقلم كريستوفر نيلور.

ويستطيع القارئ أن يعرف قيمة هذا الكتاب حينما ينظر في قائمة مراجع المؤلفات التي جاءت بعده حتى اليوم. فلا تكاد تجد كتاباً عالج هذا الموضوع يمكنه الاستغناء عنه.



تقارير



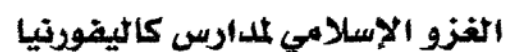
الإسلاموفوبيا في أمريكا
تقاضي جامعة كارولينا الشمالية :

رفعت منظمة مسيحية دعوى قضائية ضد جامعة North Carolina لأنها قررت على طلابها كتاباً بعنوان:
(مقاربة لفهم القرآن: إرهاصات الوحي) للكاتب الأمريكي مايكل سلز:

Approaching to Quran: The Early Revelation's by Michael Sells.

واستندت الدعوى إلى أنّ الجامعة بصنعها هذا تروّج لدينٍ معيّنٍ على حساب الأديان الأخرى. واحتجت إدارة الجامعة بأن الحاجة لفهم الإسلام والقرآن باتت اليوم ماسة. كما رفع مركز رابطة الأسرة الأمريكية دعوى مماثلة نيابةً عن خمسة من طلاب الجامعة المذكورة، وادّعت أن الجامعة بفعلها هذا انتهكت تعديلات الدستور الأمريكي الداعي إلى حرية الاعتقاد، فضلاً عن أن القدر المختار من الكتاب للدراسة لم يتحدث عن آيات الجهاد التي يستند إليها الإرهابيون في تبرير جرائمهم. وردّت جامعة كارولاينا الشمالية بمطالبة القاضي برفض الدعوى، واتهم أستاذ الأديان كارل دبليو إرنست Karl W.Ernest المنظمة المذكورة بالتحيّز، وقال لصحيفة واشنطن بوست: «إنه من السهل انتزاع جملة من سياقها في أي كتاب مقدّس.. وذلك جزءٌ من تاريخ طويل من الانحياز ضد الإسلام، وهو شيءٌ مشابهٌ لمعاداة السامية».

والعجيب أن الإقبال على قراءة القرآن وفهم الإسلام تعاظم بعد أحداث 11 سبتمبر مما دعاالإسلاموفوبيا إلى رفع عقيرتهم بمعارضة قراءة القرآن أو حتى محاولة فهم الإسلام عن كثب، ولذا صرّح أحد عتاة المنصّرين وهو فرانكلين غراهام لصحيفة وول ستريت بأن «القرآن يقدّم دليلاً على أن الإسلام يشجع العنف من أجل كسب المزيد من المؤمنين به لتحقيق هدفه الأكبر وهو أسلمة العالم».



الغزو الإسلامي لمدارس كاليفورنيا

تحت هذا العنوان كتب براين كونور Connor Brain مراسل CBN NEWS بتاريخ 2002/2/4 عن حالة الاختلاف التي ظهرت بين أولياء أمور الطلبة والمعلمين في مدرسة بايرون بولاية كاليفورنيا بسبب كتاب (عبر القرون) الذي قُرر على الطلاب. والكتاب يشرح تاريخ العالم، وقد خصّص الفصلان الثالث والرابع منه لدراسة أصول الدين الإسلامي، وبواكير البعثة. ويحتوي الفصلان أيضاً على رواية مفصّلة لحياة محمدﷺ، كما يتكلم الكتاب بالتفصيل عن القرآن باعتباره عند المسلمين وحياً نزل من الربّ على محمدﷺ، والسنّة باعتبارها أحكام الإسلام الإرشادية، وأركان الإسلام الخمسة. يقول المراسل: «ولكن بدلاً من عرض الكتاب عرضاً مبسّطاً يمثّل الجذور التاريخية للإسلام ونشأته، بدت بعض العقائد الإسلامية وكأنها حقائق أكثر من كونها مسائل دينيّة، حيث ورد في الصفحة رقم 62 ما يلي: «القرآن هو الوحي الأخير، كما أنّ محمداً هو آخر الأنبياء». وورد في الصفحة رقم 63: «والرسالة التي أُوحي بها إلى محمد هي نفسها الوحي الذي نزل على إبراهيم وموسى وعيسى». وجاء في الفصل الذي يتضمن أسئلة للإجابة، عبارات مثل: «إنك جندي مسلم في طريقك إلى فتح بلاد الشام.. ومثل: دع بيتك في الإسكندرية وامض حاجاً إلى مكّة».. ويحتجّ بعض الآباء بأنّ الأديان الأخرى مثل المسيحية واليهودية والبوذية لم تعرض بالتفصيل كما هو الحال مع الإسلام».

وجاء في التقرير: «ولكن، لم ير الجميع أذى في الكتاب. وقالت ليندا تايلور وهي عضو في مجلس مدرسة بايرون، وأم مسيحية لطفلين يدرسان في الكتاب المذكور: لا يعتبر الكتاب تهديداً لي، ولا تهديداً لأطفالي، وليس ديننا مهدّداً بذلك. وإذا حدث أن ظهر مثل هذا فإنني استغلّ ذلك منصة انطلاق إلى البيت من أجل الحصول على حوارٍ غنيّ وعميق عن ديننا».

الإسلاموفوبيا في إذاعات محلية أمريكية

تشويه صورة المسلمين والتخويف من الإسلام أصبح المادّة المفضّلة في المحطات الإذاعيّة المحلية في داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وقد شجّع على ذلك:

- ❖ ضعف المؤسسات الإسلامية في أمريكا عن ملاحقة من هم وراء ذلك.
- ❖ تمييع الجهات القضائية في أمريكا للحقوق الإسلامية تحت تأويلات غير مقبولة.
- ❖ تأثير اللوبي الصهيوني على المؤسسات الإعلامية.

ومن الأنماط المسيئة للإسلام، والمستهزئة بالمسلمين، والمحرِّضة على معاداته تلك الحلقة التي بثتها إذاعة KFI AM 640 المحلية بلوس أنجيلوس صباح يوم 2004/3/10 والتي يقدمها المذيع بل هاندل. وقدّمت الحلقة لقاءً هزلياً مع شخصٍ وهميّ اسمه محمد إقبال أكبرود، يزعم أنه خبيرٌ مسلم في الدستور العراقي الموقت، وقد افتتحت الحلقة بقراءة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» باللغة العربية في مستهل اللقاء الساخر وفي نهايته. سُئل الضيف عن الدستور الموقت لعراق ما بعد الغزو، فقرأ الموادّ الآتية:

مادة 1: نحن شعب العراق- من أجل بناء اتحاد نموذجي ينشر عدم العدالة، ويؤكّد الديموقراطية الفوضويّة،

ويدعم دولة الجماعات الراديكالية الأصولية الدينية، وينشر تسخير النساء، ويضمن بركات الله لنا ولذريتنا ـ نقرر ونصدر الدستور الموقت للعراق الجديد.

مادة 2: الموت لليهود، الموت لليهود، الموت لليهود. (ضحك)

مادة 3: يتكوّن مجلس النوّاب من إرهابيين يكرهون أمريكا، والذين يمكنهم الدخول في حرب مدمّرة بطيئة لألف سنة، أو أن يختفي الأمريكي الكافر من الوجود.

مادة 4: الشهداء..

مادة 5: يمنح كلّ مسلم بمشيئة الله 72 حورية عذراء عند دخوله الجنة. العذارى لن يكن عراقيات، ولكن تلميذات يابانيات جميلات. (ضحك) هذا شيءٌ نضمنه شخصياً بمشيئة الله.

مادة 6: العبري يجب أن يموت، فلسطين حرّة، العبري يجب أن يموت. (ضحك)

مادة 7: يجب منع جميع عادات الغربيين منذ هذا اليوم في العراق، لا سيما عاداتهم في الاستحمام بشكل منظّم.

مادة 8: الموت للمؤامرة الصهيونية، الموت للمؤامرة الصهيونية، الموت للمؤامرة الصهيونية .

مادة 9: يجب منع زواج الشواذ بصفة خاصّة، وسوف تتم معاقبتهم بالموت. مع الموافقة على الزواج غير الرسمي بين العراقيين البالغين والجمال والماعز المحبوبة.

لا نظنّ أن إنساناً فيه مسكة من عقل يستسيغ هذا الهراء والإسفاف، والانحطاط الذي يبدو أنّه بلغ مبلغاً يستعصى على العلاج. لقد طالب مكتب مجلس العلاقات الأمريكية العربية CAIR بلوس أنجيلوس المحطّة المسيئة بالاعتذار، ولكنها رفضت. مما دفع المجلس إلى مخاطبة شركة: Clear Channel Communication وهي الشركة الأم للمحطة المذكورة، ومخاطبة لجنة الاتصالات الفيدرالية FCC وهي وكالة اتحادية معنيّة بإصدار الرخص لوسائل الإعلام وسحبها، من أجل ردع هذه المحطات عن تجاوزاتها المسيئة للإسلام، وعن تشجيعها الكراهية.



إسلاموفوبيا إيطالية أفرخت في أمريكا

(الغضب والكبرياء) La Rabbia e L'Orgoglio اسم كتاب من تأليف الصحافية الإيطالية أوريانا فالاتشي Oriana Fallachi. اشتهرت الكاتبة بمقابلاتها الصحافية مع رؤساء الدول وزعماء حركات التحرر في العالم في السبعينات من القرن العشرين. وقد عُرفت بميولها اليسارية، عندما كانت النزعة اليسارية من سمات المثقفين في تلك الحقبة قبل أن يتداعى المعسكرالشرقيّ بانهيار الاتحاد السوفياتي. لقد أحدث تفكك تلك المنظومة زلزالاً في معتقدات الكثيرين الذين كانوا يراهنون على الأيديولوجيا الخاسرة. من هؤلاء أوريانا فالاتشي، التي آثرت الإقامة في الولايات المتحدة، وطلّقت اليسار، وتزوجت اليمين المتطرّف. والانتماء إلى معسكر أيديولوجي جديد يقتضي التخلّص من موروثات الماضي. وفالاتشي التي جاوزت السبعين

من عمرها لم يعد لديها ما تدفعه في شيخوختها ثمناً لهذا الانتماء الجديد إلا أن تعزف على وتر الإسلاموفوبيا، فجاء نغمها نشازاً مباشراً مكشوفاً. فأخذت تصبُّ اللعنات على ثوّار الأمس، مجرمي اليوم. وتعلن في كتابها الجديد الذي هلّلت له مؤسساتٌ معاديةٌ للإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة، وإيطاليا، وفرنسا، وترجم إلى الفرنسية والإنجليزية، أنها تلعن ذلك الأمس البغيض الذي ربطها بأسماء تمنت لو لم تكن تعرفهم. لقد أصبح قديسو الأمس شياطين اليوم، وانكشف المستور !!

ويمكن تصنيف كتابها في دائرة الخواطر الشخصية، إذا اعتبرنا ما كتبته جنساً أدبياً. يبدأ الكتاب بالحديث عن ذلك الصباح الذي استيقظت فيه فالاتشي في بيتها بمانهاتن بنيويورك، وقد انتابها شعورٌ غريبٌ بأنّ ثمة شيئاً ما سيحدث. ما هو ؟ لم تستطع معرفة كنهه. استبدّ بها ذلك الشعور الذي تحوّل إلى نوع من الكشف أو الرؤيا Apocalypse على حدّ تعبيرها. امتلأ الشارع الذي تقيم فيه بالضوضاء: لقد سقط، لقد سقط. ما هذا الذي سقط. لم تعرف. اتجهت إلى التلفزيون، وأدارت المفتاح وقلّبت القنوات المائة الموجودة في جهاز استقبالها، وذهلت عندما وجدت صورة واحدة في جميع المحطّات حتى خالت أنه نقل داخل دائرة تلفزيونية مغلقة. اكتشفت ما جرى. لقد روّعها المشهد. لقد رأت أحداثاً كثيرة يموت فيها الناس في أنحاء متعددة من العالم. لكنها لم تر قط أناساً يهربون من الموت بقتل أنفسهم بالقفز من الطابق الثمانين من برج التجارة العالمي. رأت أناساً يهبطون، يسبحون في الهواء وكأنهم مظلات (باراشوت). شيٌ مروّع. بعد هذه المقدمة الميلودرامية شرعت في الحديث عن المجرمين الذين آوتهم أمريكا مهد العالم الحر. وطفقت تسبّ المسلمين، وتلعن الفلسطينيين القنابلَ الموقوتة التي تهدّد أمن العالم، وتندم على تعاطفها معهم. وتصف العرب والمسلمين بأنهم حثالة قذرون، يتناسلون كالجرذان، ويبولون في كلّ مكان حتى أجران الكنائس لم تسلم منهم.

«إنه الغضب.. فلا تسألونني أكثر. ولا شيء غير الغضب». أمها كانت تحدثها عن التنوّع الثقافي، وأثره في خصوبة الوجود الإنساني. فكم كانت أمها المسكينة واهمة. لم تكن تعرّف مقدار الرسالة النبيلة التي كان يقوم بها شارون في خدمة الإنسانية بقمع هؤلاء الجرذان. وكم كان رائعاً عندما اكتشفت أنّ شارون يشبه شيكسبير !! هذا التشابه المزعوم عند فالاتشي جعل النقّاد يسخرون منها بحق. وأيقنوا أن هذه العجوز التي جاوزت السبعين قد بلغت مرحلة الخرف، ولن يردّها إلى ماضيها صورُ شبابها القديمة التي تحرص على أن تكونَ مع مقالاتها، حتى إنك لا تجد لها صورةً حديثةً في شيخوختها. إنه هوس الشيخوخة، وهو من أسوأ أنواع الهوس.

وقد قالت الناقدة رنا قباني في مقال نُشِر في صحيفة الغارديان بتاريخ 6/ 10/2002 تحت عنوان «إنجيل كراهية المسلمين»: «لقد ظننت في القراءة الأولى أنّ الكتاب ينحدر من القرون الوسطى يحكي عن الشرّ والأشرار.. ولكنه كتاب أُلف في القرن الواحد والعشرين. ولو أُلف هذا الكتاب عن غير المسلمين هل كان سيجد له ناشرا ؟». هي ذي باختصار حكاية الغضب والكبرياء التي باضت في روما وأفرخت في مانهاتن.. وجه من وجوه الإسلاموفوبيا.



تفجّر الإسلاموفوبيا في المملكة المتحدة

تحت هذا العنوان: Islamophobia "Explosion" in UK كتبت BBC News يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر مايو 2002:

«تتفق المجموعات المسلمة في المملكة المتحدة مع ما جاء في التقرير الذي أعدته اللجنة الأوروبية لمراقبة العنصرية EU Race Watching على أنّ الشعور المعادي للإسلام قد اندلع في المملكة المتحدة منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وقد أعلن المركز الأوروبي لمراقبة العنصرية والخوف من الأجانب (EUMC) أن هناك ارتفاعاً كبيراً في الهجوم على المسلمين في بريطانيا بما في ذلك الانتهاك الجسدي. وأشار التقرير إلى وجود أعداد كبيرة من التقارير مسجّلة في مراكز الشرطة عن اعتداءات ضد أفراد مسلمين وكذلك مؤسسات إسلامية مثل: المساجد والمراكز الثقافية. فضلاً عن ذلك فهناك المضايقات اليومية التي يعاني منها الأطفال في المدارس، والتحرش بالنساء في الشوارع وفي الحافلات، لا سيما المحجبات منهن وذلك بجذبهن من ملابسهن أمام أعين المارة.

وقد تعرّضت طالبة جامعية بمدينة غلاسكو للضرب في إحدى الحافلات حيث اعتدى عليها شخصٌ بأن هوى على رأسها بزجاجة، وكانت الحافلة تغصّ بالركاب ولم يحرّك أحدٌ منهم ساكناً بمن فيهم سائق الحافلة الذي كان يرى ذلك، ولم تنج الفتاة حتى نزلت في المحطة التالية وهي تترنح. وسُجّلت الحادثة تحت مسمى عنف بسبب الكراهية وقُيّدت ضد مجهول. وفي سويندون Swindon تعرّضت فتاة مسلمة محجّبة للضرب من قِبَل رجالٍ بيض بأن انهالوا عليها ضرباً بواسطة مضرب البيسبول، وعولجت في المستشفى وغادرته، وسجلت الواقعة على أنها أيضاً اعتداء بسبب الكراهية، بعد أن فشلت الشرطة في الحصول على شهود للواقعة التي تمت أمام عدد كبير من الناس. كما تعرّض سائق سيارة أجرة أفغاني للاعتداء على يد راكب إنجليزي في تويكنهام بجنوب غرب لندن Twikenham in SW London انتهى به إلى الشلل في ركبته.

وقد صرّحت السيدة عزو ميراني من وكالة حقوق الإنسان الإسلامية لشبكة BBC News Online أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت عاملاً محفّزاً لتفجير المشاعر المعادية للإسلام في المملكة المتحدة. «إنها مشاعر لم تعد مخفية». والشعور بالمعاداة انتقل إلى الوظائف حيث يتعرّض المسلم في مكان عمله للإهانة والمضايقة التي قد تصل إلى صرفه من الخدمة. وجاء في التقرير أن الشرطة، والساسة، والإعلام، والشخصيات العامة حاولت أن تمنع الهجوم على الأهداف الإسلامية وأن تقلل من الشعور بالخوف عند المسلمين. ولكن الجماعات الإسلامية قالت إن السياسيين ما زالوا يتسببون في المشاكل من خلال تعليقاتهم البليدة. وقد عبّر المجلس الإسلامي البريطاني مؤخراً عن الاهتمام بالتعليقات التي صدرت عن وزير الداخلية ديفيد بلانكت David Blunkett حول الانعزالية والتقوقع بين الجماعات المسلمة. كما انتقد مجلس المساواة العنصرية الوزير الأوروبي بيتر هاين بسبب إضرامه نار الإسلاموفوبيا ثانية بتعليقاته عن المفاصلة.



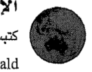
إنهم يتفقون على ستر جرائمهم العنصرية

(اعتقالُ مسلمٍ في غارة على الإرهاب يعاني من 50 إصابة) تحت هذا العنوان تقول صحيفة (الغارديان) اللندنية بتاريخ 11 /9/ 2004 إنّ الادعاء البريطاني CPS رفض الدعوى المقدّمة من بابار أحمد، أحد المسلمين الإنجليز لمقاضاة الشرطة التي اعتقلته لمدة ستة أيام ثم أفرجت عنه دون أن توجّه له اتهاماً بعد أن تعرّض للتعذيب والإهانة ضرباً ورفساً، بحجّة عدم توافر الأدلّة، وأن الدعوى ليست أكثر من ادّعاء مزعوم بالرغم من صحّة التقرير الطبي الصادر عن مستشفى جامعة لندن الذي اطلعت عليه صحيفة الغارديان. ويقول التقرير إن بابار أحمد، 30 سنة، كان ينزف من أذنه، مع وجود دم في البول، وإصابات في الوجه والذراعين، والعمود الفقري. ويقول التقرير ان أحمد تعرّض لمعاملة عنيفة. وقد أعلن الادعاء البريطاني يوم 2004/9/10 أنه لا يمكن اتهام أيّ ضابط بالاعتداء المزعوم على المواطن بابار أحمد الذي ألقِي عليه القبض بمنزله جنوب لندن في ديسمبر 2003. وبعد أن رفع المجني عليه تظلمه أعيد اعتقاله مرة أخرى في شهر أغسطس بعد صدور طلب من أمريكا بتسليمه إليها بتهمة دعم شبكة إرهابية في الشيشان وأفغانستان. وقد جددت النيابة تمديد توقيف المجني عليه للنظر في الدعوى الأمريكية(1). وقد صرّح المجني عليه لصحيفة Eastern Eye أن اعتقاله الأخير كان بسبب الدعوى التي رفعها ضد الشرطة الإنجليزية. وأخيراً إنهم يتفقون على الباطل لستر جرائمهم العنصرية. هذه حالة من حالات كثيرة مماثلة يتعرّض لها المسلمون لا في بريطانيا فحسب، بل في بلدان كثيرة من العالم، مما دعا مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية RIAC أن يُصدِرَ كتيباً بالعربية والإنجليزية للتعريف بسبل المحافظة على سلامة وأمن المسلمين والعرب، مع تعريفهم بحقوقهم القانونية، وكيف ينبغي أن يتصرّفوا مع رجال الشرطة عند اقتحام منازلهم أو حتى عند استجوابهم.

نصائح NASUWT لمواجهة الإسلاموفوبيا في المدارس والكليات

أعدّ NASUWT وهو أكبر اتحاد يمثل المعلمين في المملكة المتحدة في كلّ القطاعات التعليمية كتيباً لمواجهة الإسلاموفوبيا في المدارس والكليات في انجلترا، وويلز، واسكوتلندا، وإيرلندا الشمالية، بعنوان: **Islamophobia: Advice for Schools and Colleges**

وقد جاء في الكتيب أن الإسلاموفوبيا والتعصب ضد المسلمين أخذ يتزايد في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأن ربطاً غير معقول بين حقوق الإنسان، والتطرف وشبكات الإرهاب، والتجمعات الإسلامية، وطالبي اللجوء السياسي، موجود في بريطانيا. وهذا قاد إلى تأجيج التعصب والتوتر الدينيّ في بعض المدن والقرى وساهم في انبعاث الأحزاب السياسية اليمينية المتطرفة. وكلّ تلك التطوّرات تسببت في زيادة مستوى الخوف داخل التجمعات المسلمة، وأثّر ذلك على التلاميذ والطلاب والمدرسين في المدارس والكليات. وقد حثّ الكتيب الجميع على تبليغ أحد مراكزها عن أيّ تجاوزات عنصرية. كما نبهت على المعلمين تجنب كلّ ما من شأنه أن يفضي إلى التحرش العنصري والديني في دروسهم وتعاملهم مع التلاميذ. ودعت جميع المدارس إلى إعادة النظر في سياساتها التعليمية بدءاً من المناهج التي تدرّس وانتهاءً بشكاوى أولياء أمر التلاميذ.



الإسلاموفوبيا في استراليا

كتبت ليندا موريس Linda Morris يوم الخميس 2003/2/20 في صحيفة سيدني مورنينغ هيرالد The Sydney Morning Herald تحت عنوان (المسلمون، الغيلان الجديدة في استراليا العنصرية):

Muslims, The New Bogeymen of Rasist Australia

«لقد تخطى المسلمون الأستراليون عدد الآسيويين باعتبارهم واحداً من أكبر التجمعات الإثنية والدينية المهمّشة في البلاد. والمسلمون والقادمون من الشرق الأوسط، أكثر من أيّ مجموعة ثقافية إثنية أخرى، يعتقد أنهم غير قادرين على التكيّف في استراليا مع أكثر من نصف الأستراليين الذين يفضلون ألا يقترن أقاربهم بأيّ عائلة مسلمة عن طريق الزواج. يقول الدكتور كيفن دون Kevin Dunn الأكاديميّ بسيدني، في ورقة بحث قدّمها لمؤتمر الهجرة والاندماج: «الإسلاموفوبيا تنمو في أستراليا»، ويقول أيضاً إن في استراليا كتلة صلبة من العنصريين. وأن أسوأ أنواع العنصرية وُجِدت في الطبقات العاملة الفقيرة في سيدني. وبينما ظلّ التعصّب مستمراً ضد سكان البلاد الأصليين، والأستراليين اليهود، إلا أن المشاعر المعادية للمسلمين هي الأقوى. وقد تزايدت درجة المعاداة بعد أحداث سبتمبر، وتفجيرات بالي، والتجريم العلني لشباب مسلمين أدينوا في عمليات اغتصاب في جنوب غربي سيدني. ويقول إنّ المسلمين عانوا كثيراً بشكل دراميّ من الصور النمطية التي ألصقت بهم. وقد بنى الدكتور دون نتائجَ دراسته على البحث الذي أجراه مع إيمي ماكدونالد Amy McDonald الذي تحدّى الحكمة الشائعة التي تقول: «العنصرية أكثر شيوعاً في البيئات الريفية». كما أثبتت الدراسة أنّ كثيراً من الأماكن القروية أقل عنصريّة من أجزاء أخرى في سيدني. وقد تبيّن أن الأماكن الأكثر عنصرية تقع داخل سيدني وبريسبان ولا سيما في الضواحي الفقيرة. وقد أسفرت نتائج المسح الذي أجراه الدكتور دون كيفن على نحو 5056 شخصاً عما يلي:

- 54٪ ممن شملهم المسح يهتمون إذا تزوج أقرباءٌ لهم بمسلمين.
- 7٪ يعادون التنوّع الثقافي.
- 83 ٪ قالوا بوجود مشكلة مع العنصرية في أستراليا.
- 45 ٪ قالوا إنّ بعض المجموعات الثقافية لا تنتمي إلى أستراليا.
- 12 ٪ يسلمون بوجود التحامل والتحيّز.

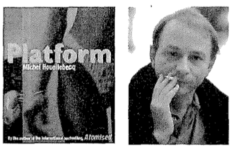
وفي دراسة أعدّها معهد بريسبان نشرت بتاريخ 11 / 11 / 2003 بعنوان: المسلمون في أستراليا: الجديد المحروم (المعْوِز) **Muslims in Australia: The New Disadvantaged**.

أظهرت ما يعانيه المسلمون في أستراليا من عنصرية وحرمان، وخطورة الربط بين الأحداث العالمية والتمييز ضد المسلمين بالرغم من تزايد عدد المسلمين الملحوظ في السنوات العشر الأخيرة. ولا شك أن تزايد العنف في البلاد المجاورة، واستهداف المواطنين الأستراليين في بالي ألقى بظلاله القاتمة على وضع المسلمين في أستراليا. وفي سنة 1996 كان معدّل البطالة بين المسلمين في أستراليا 25 ٪ مقارنةً بـ 8 ٪ للأستراليين المولودين في بريطانيا وايرلندا، و 9 ٪ للمولودين في استراليا والوطنيين. بالرغم من أن مستوى مهارات المسلمين في الغالب مساوية لمهارات المولودين في استراليا والوطنيين. والمسلمون من حيث الدرجات العلمية التي يحملونها أفضل

من المجموعات الأخرى. وكثير من المسلمين يؤمنون بثقافتهم الإسلامية التي تعكسها أسماؤهم وملابسهم وقد أثّر ذلك على فرص توظيفهم. ويقول عالم الاجتماع ستيفن كاستلس Stephen Castles ومؤرخ العلاقات العنصرية اندرو ماركيوز Andrew Markus: إن العنصرية اليوم ليست مسألة لونٍ فحسب . فالعامل الثقافي، والديني، واللغوي، والأصول الوطنية هي الأقوى تأثيراً في الوقت الراهن. وهنالك عوامل أخرى ساهمت في تقليل فرص المسلمين في الحصول على الوظيفة مثل: قصر الإقامة في أستراليا، النقص في مهارات اللغة الإنجليزية، قلة الاندماج، استمرار العنصرية البنيوية.

الإسلاموفوبيا في فرنسا

ميشيل ويلبك ورواية (المنصة ـ بلاتفورم)



من لطائف العربية التي قد لا نجدها في غيرها من اللغات أن لفظة (الأدب) تحمل في تضاعيفها دلالات أخلاقية، وبمعنىً آخر فإن (أدب) في لغة العرب تساوي (أخلاق)، بينما نجد لفظة (أدب) في اللغات الأخرى Literature في الإنجليزية، Littérature في الفرنسية وأصلها لاتيني Litteratura تعني الكتابة. فلا تحمل لفظة أدب في لغة الغرب ما تحمله أختها في العربية من معانٍ أخلاقية. وهذا يعني أن صناعة الأدب عند الغربيين لا تستلزم من صاحبها الأديب أن يكون ملتزماً أخلاقيا، في الوقت الذي لا نتصوّر في لغة العرب وجود أديب بلا أدب، أيّ بلا أخلاق على رأي أديب العربية وكاتبها الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد. ولذا فليس من المستهجن في ثقافة الغرب أن يكون الأديبُ عندهم فاجرا، عديمَ الأخلاق، منحطّ السلوك. لأنه لا رابط عندهم بين سلوك الكاتب وما يكتب، ولذا لمع عندهم كتابٌ فجرة، ولصوصٌ وشذّاذ من أمثال القاص الفرنسي جان جينيه وغيره، و د. هـ. لورنس الإنجليزي.

وإذا كان هذا هو مفهوم الأدب في الغرب، أو عند بعضهم على الأقل، فليس من العجب أن يخرجَ من حينٍ إلى آخر نمطٌ من هذه الأنماط لينفث في وجوه القرّاء ما تعفّن في جوفه، ثم لا يعدم مادحاً من صنفه يصفّق له واصفاً ما جاء به بأنه قمة الإبداع، وذروة الفن. ورواية (المنصّة Platform) للكاتب الفرنسي ميشيل ويلبيك Michel Houellebecq تصبّ في هذا المستنقع الآسن.

هذه الرواية تشعرك بأنها كتبت بثقافة القرون الوسطى لما تحتويه من غلّ وحقدٍ على الإسلام والمسلمين. إنّ رواية (بلاتفورم) ليست مجرّد عمل مناوئ للإسلام فحسب، بل إنها استخفاف بالقيمة الإنسانية ذاتها. وليس من باب المصادفة أن يكون اسم بطل الرواية (ميشيل)، هو نفسه اسم المؤلف. فما ينثال على لسان بطل الرواية ما هو إلا مشاعر مقموعة في نفس المؤلف، لم تستطع أن تنطلق من سجنها، فلم تجد لها نافذة تتنفس منها إلا هذه النافذة.

رواية (بلاتفورم) تنضح بالتعصب، والكراهية

إن أبطال الرواية يؤسسون وكالة «للسياحة الجنسية» تؤمن للسائح الغربي فرصة أن يستمتع، ويشبع نزواته البهيمية في إحدى البلدان الفقيرة بالعالم الثالث، حيث تُباع الأجساد بأثمانٍ بخسة.

ويفصح المؤلف عن أحقاده عندما يتلذذ بالكلام عن قتل العرب في فلسطين، أو عندما يقول على لسان أحد أبطال روايته إن منتهى سعادته تكون عندما يرى طفلاً أو فلسطينية حبلى تقتل. لأن ذلك لا يعني عنده كما يقول أكثر من مسلمٍ نقص من أعداد المسلمين في العالم.

لا ريب أن رواية (بلاتفورم) تندرج في إطار الإسلاموفوبيا. وقد حاول المدافعون عن الكاتب، كشأنهم عادة في الدفاع عن المعادين للإسلام والمسلمين، أن يصفوا الرواية بأنها مجرد عمل إبداعي ليس بالضرورة أن يكونَ تصويراً لواقع حقيقي.

غير أن المؤلف خذلهم عندما صرّح في لقاء أجرته معه مجلة (لير) Lire الأدبية بأن القرآن يثير الاشمئزاز والامتعاض، وأن من يقرأه يشعر بالانهيار، وأن الدين الإسلامي دينٌ خطير، وهو الأكثر بلادةً وغباء.

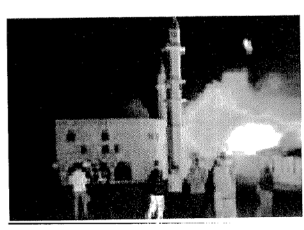
وإذا علمنا أن سبب حنق المؤلف الشديد على الإسلام هو اعتناقُ أمّه الإسلامَ قبل بضع سنين، فلا نستغرب أن يُفجّر ذلك ما كان مكبوتاً في داخله.



الإسلاموفوبيا في السويد

النازيون الجدد والمتطرفون اليهود يتّحدون تحت هذا العنوان:

Neo-Nazis, Extremist Jews unite In hatred of Muslims

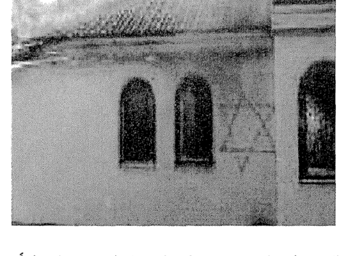


مسجد أوبسالا وعملية إحراقه

كتبت Liberty Post Org. بتاريخ 18 / 7 / 2003:

شكّل النازيون الفرنسيون الجدد اتحاداً مع مجموعات يهودية متطرفة على الأنترنت لنشر وابلٍ من رسائل الكره ضد العرب والمسلمين بحسبما ورد في تقرير لمجموعة مناهضة للعنصرية. وقد جاء في التقرير نفسه: «إن أعضاء من المجموعات اليمينية المتطرفة أُعدّوا ليضعوا مشاعرهم المعادية للساميّةِ جانباً ليشاركوا في مواقع على شبكة الإنترنت مع مؤيّدين متطرفين لإسرائيل من أجل توظيف ظاهرة العنف المتفشي في الشرق الأوسط».

يقول الأستاذ مولود عونيت، رئيس مجموعة MARP تي نشرت تقريراً من 170 صفحة: «إنها ظاهرةٌ جديدةٌ !! لقد أردنا أن نقرع جرس الإنذار للتنبيه على خطورة تطوّر هذا الشكل من العنصرية، والذي لم يكن مجرد إجراء شكليّ فقط، بل انتشر في الحياة اليومية كذلك. يقول التقرير إن 26 موقعاً على شبكة المعلومات الدولية تتبع الجناح اليمينيّ ومجموعات يهودية متطرفة في فرنسا تعمل على نفس الخادم Server في الولايات المتحدة منذ



سنة 1999 وحتى الآن. ويشارك أعضاء المجموعات في تقديم الاستشارات والنصائح لمعرفة الطريقة التي يتم بها إرسال الرسائل دون أن تترك وراءها أثراً إليكترونياً يمكن تعقبها من خلاله حتى لا تقع تحت طائلة القانون.

ويعتقد المحققون أنّ المواقع قد تمّ تفكيكها بسبب الخلاف بين المجموعات حول قيادة الولايات المتحدة للحرب في العراق، حيث إن المتطرفين اليهود باركوا ذلك وأيدوه، بينما عارضت ذلك بعض الأطراف الفرنسية من أجنحة اليمين المتطرف. ولم تظهر الشرطة الفرنسية اهتماماً بالتقرير، كما لم تعلّق عليه المنظمة اليهودية الرئيسة في فرنسا CRIF. ويقول الأستاذ عونيت إن اتحاداً مماثلاً سوف يظهر على السطح قريباً.

يقول التقرير إن هذه المجموعات المتطرفة المتحدة ترسل يومياً ألف رسالة إليكترونية منذ سنة 2001 إلى سنة 2003 تحرّض على مهاجمة المساجد على أمل اندلاع حرب أهلية بين العرب والشعب الفرنسي، كما تدعو أيضاً إلى اغتيال الرئيس الفرنسي جاك شيراك الذي يلقبونه بلقبٍ ساخرٍ هو (بن شيراك) على وزن (بن لادن).

بالرغم من أنّ الجالية المسلمة في السويد ليست كبيرة، إلا أنها ليست في منجاة من أعمال العنف والترويع، فقد أحرِق المسجد الوحيد بمدينة مالمو ليلة الأحد 2003/4/27، واتت النيران عليه برمّته. وسجّلت دوائر الشرطة في المدينة أن الحادث لا يستبعد أن يكون متعمّداً بفعل تنامي الكراهية للمسلمين لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وقد رسم الجناة على أحد جدران المسجد النجمة السداسية إمعاناً في تحدي سلطات المدينة التي لم توجّه الاتهام إلى أحد، مكتفية بإجراء تحقيقات شكلية. وتشهد السويد موجة اعتناق للإسلام كبيرة، ويقول إمام مسجد أوبسالا: «إن أحداث 11 سبتمبر كان لها عظيم الأثر على تزايد وعي السويديين بالإسلام». وقال: «من منطلق عملي واتصالي المباشر بالمجتمع السويدي أرى أن أحداث سبتمبر فتحت المجال للسؤال عن الإسلام والبحث والدراسة في تشريعاته».

نظّم «مكتب مكافحة التمييز ضد المسلمين» بالسويد مؤتمرا يوم الأحد 12-9-2004 بمدينة شيستا يعرض خلاله بالأدلة أشكال التمييز التي تعرض لها مسلمو البلاد خاصة منذ هجمات 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة ويقوم بجمع شكاوى المسلمين.

وأوضح المنظمون أن المكتب الذي تأسس فعليا في إبريل 2004 سيدشن أعماله بجمع كل ملفات التمييز ضد المسلمين التي قدمت للحكومة مصحوبة بالأدلة القاطعة مثل لقطات مصوّرة لمتظاهرين عنصريين ضد المسلمين خارج مسجد استوكهولم، أو رمي الخنازير في المساجد، أو إحراق مسجد مالمو.

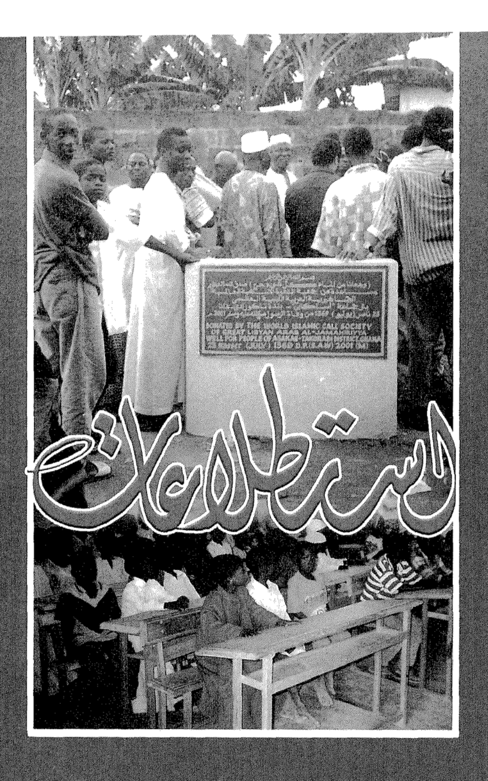
وحث المكتب كلّ المسلمين الذين تعرضوا للتمييز أن يكتبوا ذلك في كتاب يكون مشفوعا بدليل لتقديمه للحكومة، مشيرين إلى أن هذا هو الهدف الأساس لمهرجان الأحد.

وأشار المسؤولون في المكتب إلى أن تعامل السلطات كان إيجابياً في مجمله مع شكاوى حوادث التمييز التي تقدم بها المكتب في السابق.

ووافقت الحكومة السويدية على تأسيس المكتب الذي بدأ في شهر إبريل 2004 في مباشرة أعماله، حيث تم تعيين موظفين لجمع كلّ الملفات المتعلقة بحوادث العنف والكراهية وقضايا التمييز ضد المسلمين. ويتخذ المكتب من مسجد استوكهولم مقرّاً له، ويرصد كلّ ما من شأنه أن يحمل طابع التمييز ضد المسلمين في كل مناحي الحياة وتبليغ الحكومة السويدية. وتأسس المكتب بمبادرة من المجلس الإسلامي السويدي وبقيّة الجمعيات الإسلامية والاتحادات الإسلامية الفاعلة في السويد.

ويحدد المشرفون على مسجد أستوكهولم المركزي التحديّات التي تواجه مسلمي السويد منذ ثلاث سنوات في ما يلي:

- ❖ مطالبة عدد من السياسيين السويديين بمنع لبس الحجاب في المدارس وأماكن العمل.
- ❖ مطالبة بعض الأحزاب السويدية بإغلاق باب الهجرة على طالبي اللجوء السياسي من أبناء الدول العربية والإسلامية.
- ❖ مطالبة بعض الأحزاب السويدية بإغلاق المدارس الإسلامية في السويد.
- ❖ مطالبة ممثلي الجالية اليهودية بالتشديد على المساجد بزعم أن فيها خلايا إرهابية.
- ❖ اتهام بعض السياسيين اليمينيين المؤسسات الإسلامية بدعم الإرهاب.
- ❖ قيام الأجهزة الأمنية بمراقبة بعض العناصر «المتطرفة» واعتقال بعضهم بتهمة التخطيط لعمليات إرهابية.
- ❖ تعرض المسافرين من أصول عربية لمضايقات أمنية في المطارات بسبب اللباس الديني أو الشكل، وتم احتجاز عدد منهم ومنع البعض من السفر.
- ❖ حرق مسجد مالمو والمدرسة الإسلامية التابعة له.
- ❖ إلقاء رؤوس خنازير، والقاذورات في بعض المساجد والجمعيات الإسلامية.
- ❖ تحطيم زجاج مسجد استوكهولم المركزي أكثر من 30 مرة.
- ❖ الاعتداء الجسدي على عشرات المسلمين.
- ❖ مظاهرات عنصرية ضد المساجد، جابت شوارع العاصمة السويدية ومدن أخرى.
- ❖ تمتلئ صفحات الإنترنت التي يمتلكها عنصريون سويديون بمقالات متطرفة ضد المسلمين
- ❖ ادّعاء اليهود بأن العرب يشكلون خطراً أمنياً عليهم في السويد ويطالبون بحماية لهم كأفراد ومؤسسات ومعابد.



الماء.. الصحة.. العلم

ثلاثية الأفريقي مع عالمه

الماء.. الصحة.. العلم
ثلاثية الأفريقي مع عالمه

إعداد: علي الويفاتي
كاتب وصحفي / ليبيا

صمم الخرائط/م. جمال البكشي
❖ الخرائط المنشورة هنا تقريبية وليست رسمية.

ما تختزنه العين



منذ عدة سنوات كنت ضمن وفد من جميعة الدعوة الإسلامية العالمية مهمته افتتاح عشرات المدارس والمستوصفات والمساجد في النيجر، وغانا، وبوركينا فاسو، وبنين، والتوغو..

وميزة هذه الرحلة أنها كانت براً.. وتلك ميزة لا شك تجعلك أمام تجربة خاصة تتيح لك فرصة لا تعوض لكي ترى ما لا يمكنك أن تراه وأنت سائح أو مسافر لمهمة رسمية لدولة أو دولتين جواً.

والغريب في هذه الرحلة أنها محددة بزمن محصور في أيام قلائل وهذا يعني أن عينك ستدور بأقصى ما تملك من حركة لكي تختزن ما يمكنها أن تختزنه مع كل التعب الذي توفره لك الطريق مهما كانت رفاهية السيارة التي تركبها.

إن الاندهاش هو سيد الرحلة، أما الوعي بها والقدرة على التعبير عنها فتلك مسألة أخرى قد تتوفر وقد لا تتوفر، لأن الوعي يحتاج إلى استقرار وانتباه وامتصاص لتأتي مرحلة الكتابة، أما في هذه الرحلة فإن تعدد المناظر وسرعة مرورها وانقضائها كأنها حلم استغرق لحظة جمع شخوصاً ومساحات من الرمال والأحراش والغابات والجوع والعطش وشلالات وعمارات وامتدادات بشرية غنية بالحب والتعلق بالإنسان يحتاج لفترة من الزمن لكي يتم التحميض ثم الطبع.

لم يكن بإمكاني أن أتوقع أن أقف وسط شوارع وأزقة مترية في قرى النيجر أو بنين أو غانا أو التوغر أو بوركينا فاسو.. أسماء أراها لأول مرة وقد تكون آخر مرة.

إن النظرة السريعة هي الحكم الذي يفرض سلطاته على حركاتي.. وليس أمامي إلا أن أنقل قلمي بسرعة مع كل حركة، متأكداً أنها لن تتكرر أمامي..

هذه المقدمة ضرورية لأن ما يعرض هنا إنما هو خطوط عريضة لتلك المنجزات التي تحققت بتمويل ومتابعة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

كانت أقدام الفتيات والفتيان حافية لكن صوت ارتطامها بالأرض الغنية بالحصى والحجارة يوقع في داخلك صدى يتماوج من الحاضر إلى القدم من الأيام ليرسم صورة الوعد الأفريقي البهيج.

البداية

انطلقت فكرة إقامة هذه المنجزات - بداية - التي بدأها معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية من طرابلس إلى لومي عاصمة التوغو.

وكان موكب القائد معمر القذافي وهو يشق طريقه البري نحو لومي يتوقف مراراً في محطات بشرية.. ولا بد أن يكون لهذا التوقف معنى لصيق بالنماء والازدهار ولذلك كانت هذه المشاريع التربوية والصحية والاجتماعية.

تولت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية هذه



المهمة في برنامج عرف باسم (المسار) ليكون دالاً على تتبع مسار رحلة معمر القذافي البرية من طرابلس إلى لومي.

ومن هنا - أيضاً - كان على الفريق الذي شكلته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أن يصل إلى الذين زحفوا من قراهم ومدنهم بعيدة أو قريبة لذلك اللقاء مع معمر القذافي.

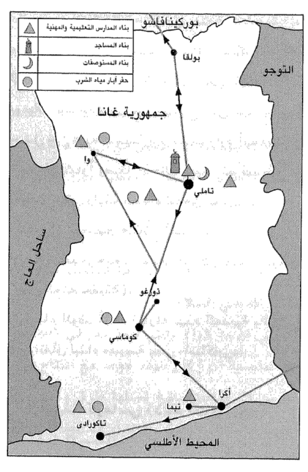
تحركت قافلة فريق المسار - إذن - في البداية لتتحسس هموم المواطنين في القرى والمدن حيث تشكلت ظروف الرحلة حسب الفصول.. حيث الأمطار الغزيرة التي تحول الطرق إلى مستنقعات من الوحل والطين أو الجفاف والهواء الساخن الخامد.. وحيث الغابات الكثيفة أو الأحراش أو الصحراء القاحلة.

وبطبيعة الحال استعان الفريق في البحث بمكاتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في عواصم هذه الدول وذلك عبر الدعاة الذين يعملون داخل هذه المكاتب والذين هم من أهل البلد القادمين من مختلف المناطق والذين يعرفون جيداً ما يحتاج السكان وماذا ينقص هذه المنطقة أو تلك.

وإلى جانب هذه الاستعانة كان الاتصال المباشر بالأهالي عبر الرحيل المباشر إلى تلك القرى والمدن يستغرق الوصول إليها ساعات طوال من الترحال فوق طرق غير ممهدة، يخيل إليك أن بعضها ما زالت على حالتها الأولى التي صنعتها قوافل الجمال والمسير البشري بحثاً عن الماء والغذاء.

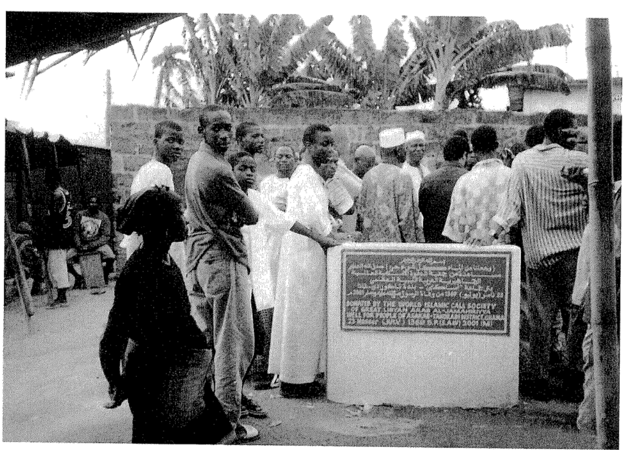
لقد شاهدت في رحلة الافتتاح كيف كان المهندس جمال البكشي يقود السيارة الطاوية إلى

تلك المناطق وكأنه يقود سيارته في شوارع مدينته، كما تابعت الأستاذ مفتاح البوعيشي رئيس الفريق كيف كان يتقن المسافات ويعرف توالي المدن والقرى والفتحات المتشابهة المؤدية إلى هذه القرية وتلك، كل هذه الخبرة تم اكتسابها من تعدد الرحلات إلى تلك المناطق والتعامل معها ومع أهلها.



بداية الرحلة - غانا

وصلنا إلى أكرا جواً في النصف الثاني من شهر الحرث (نوفمبر) حيث بدأ الفريق في العمل من مدينة (تاكورادي) التي شهدت احتفالات شعبية بمناسبة افتتاح خمسة مشاريع لمياه الشرب في عدد من قرى المنطقة، من بينها كوسيفتم، وداغومبا، واساكابي، وامغانادو، التي كانت تفتقر إلى مياه الشرب، حيث شكل في السابق الحصول



على الماء لأبناء تلك المناطق مشكلة حقيقية زاد من حدتها وبروزها ارتفاع الكثافة السكانية، وقلة الإمكانات، مما جعل الحصول على المياه مشكلة يومية، تمتد معاناتها من الصباح حتى المساء، مما جعل من هذه المشاريع حلماً راود أبناء تلك المناطق كباراً وصغاراً، قالوا عنه (لم نستطع أن نصدق حتى رأينا المياه تتدفق بجانب بيوتنا)، واستدرك بعضهم قائلاً: (لقد كنا نحلم وندرك أننا لن نتعدى حدود الحلم أما الآن فقد أصبحنا نعيش الحلم حقيقة).

وقام الوفد أثناء زيارته لهذه المدينة بالتوقيع على اتفاق لبناء مدرسة بحي «اساكابي».

مدينة كوماسي (ذلك الذي أزهر)

تقول الأسطورة إن اسم كوماسي ينسب إلى شجرة (كوم) وتقول الذاكرة الشعبية أن الملك (اوزيي توتو) موحد شعوب الأشنتي ومحررها عندما أراد أن يختار موقع عاصمته زرع كهنته غصنين في مكانين مختلفين فأزهر أحدهما فيما جف الآخر، وبذلك أقيمت العاصمة في المكان الذي ازدهرت فيه شجرة (كوم).

زار الوفد وهو في طريقه إلى مدينة كوماسي التي تبعد عن مدينة أكرا بحوالي 240ك.م مسجد بلال بن رباح الذي يقع بمنطقة اكورسي. سوهوم والذي يضم مدرسة ثانوية للبنات، وداراً للأيتام، وكانت ليبيا قد زودت هذه المدرسة والدار بخطوط الكهرباء، إضافة إلى تمويل المدرسة والدار بكافة اللوازم، وكذلك توفير مصدر للمياه الصالحة للشرب لتغذية المرفقين والسكان المجاورين لهما.

وفي منطقة «أسيم» بمدينة كوماسي اطلع الوفد على مراحل تنفيذ مشروع بناء مدرسة ثانوية إسلامية تشتمل على «12» فصلاً، وكان قد تم حفر بئر للمياه الصالحة للشرب بمقر المشروع لخدمة المدرسة والسكان المجاورين لها.



وقد لاحظت أن هذه المدرسة تقع وسط مجموعة من المدارس التابعة للإرساليات المسيحية، مما يعكس الأهمية التي يعلقها أبناء المنطقة على هذا المشروع.

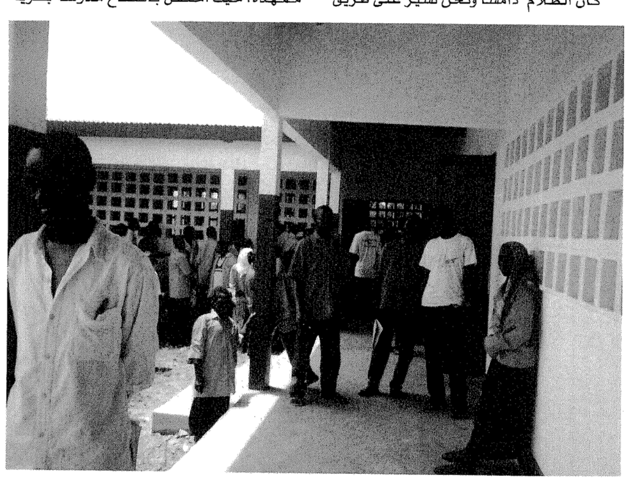
(مدينة وا)

إن مدينة (وا) كغيرها من المدن نشأت وازدهرت بفعل موقعها على طريق القوافل التي كانت تنتقل من شمال الساحل الأفريقي نحو الشاطئ.. وهي عاصمة المنطقة الغربية العليا على مسافة 229 كيلو متراً جنوبي (كومو) عبر طريق ترابية و68 كلم شمال غربي (بولغنتغا) عبر طريق ترابية.

كان الظلام دامساً ونحن نسير على طريق ترابي غير ممهد يخترق غابات، تمر الأشجار العالية كمخلوقات خرافية، تظهر أمامك ثم تختفي وراءك.. في هذه الأجواء المظلمة تظهر أمامك أشباح تحمل سيوفاً تقطع بها الأشجار. كانت أجسامنا ترتفع وتنخفض مع ارتطام السيارة بالحفر وأخاديد الفصول الممطرة دون أن نعرف متى يظهر الإسفلت.

لم نشعر بالخوف إلا عندما وصلنا المدينة واسترجعنا ما كنا فيه.. عندها تساءلنا ما هذا؟ الحمد لله على السلامة..

وفي مدينة (وا) والتي تبعة بحوالي 800 كلم عن العاصمة أكرا كان للوفد موعد مع افتتاح عدة مدارس في مناطق نائية تصلها طرق وعرة غير ممهدة، حيث احتفل بافتتاح مدرسة بقرية



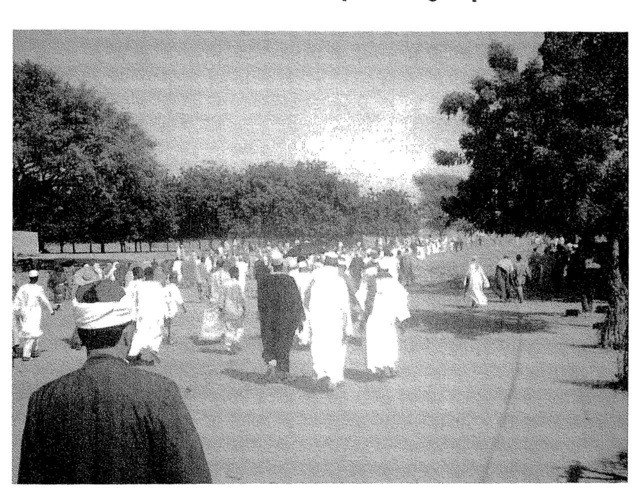
بيسقاني، بحضور الأخ سحنون مختار وزير إقليم «وا» وعدد من أمراء المنطقة والفاعليات الإسلامية بالإقليم.

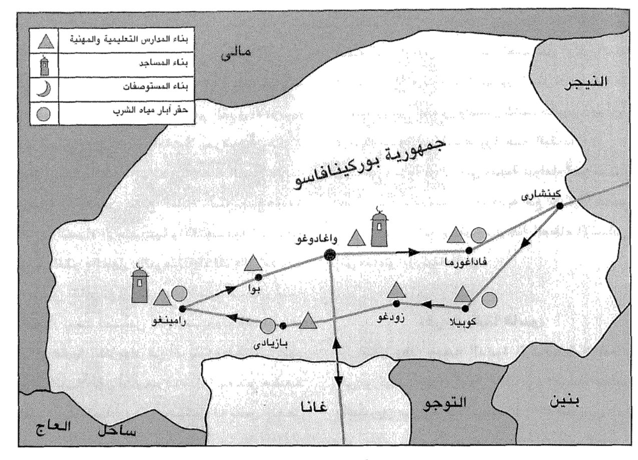
وفي قرية أخرى هي قرية «تدودبر» كان الوفد أيضاً على موعد لافتتاح مدرسة أخرى بمدينة «وا» حيث ازدان موقع المدرسة بفرحة أهالي القرية الذين شاركوا بتقديم لوحات موسيقية تعكس فرحة السكان بهذا الإنجاز.

وفي قرية «جومو» التي تبعد عن مدينة «وا» بحوالي 200 كلم نظم أبناء المنطقة احتفالاً جماهيرياً بمناسبة افتتاح مدرستهم التي اشتاقوا طويلاً لوجودها لتجمع أطفالهم على مائدة العلم.

والتقى فريق العمل في قرية «يروو» بمدينة «وا» بالجماهير المشاركة في افتتاح المدرسة التي أنشأتها الجمعية مؤخراً، وضم التجمع عمدة البلدية وأمراء المنطقة وإمام وأهالي القرية وذلك أمام مدرستهم الجديدة التي تعد بشير خير لأن قرية «يروو» تعد تاريخياً نقطة انطلاق للدعوة الإسلامية، فمن هذه القرية انطلقت الدعوة الإسلامية في المناطق المجاورة على يد أميرها الذي اعتنق الإسلام واحتضن العلماء من المسلمين ليكونوا دعاة لهذا الدين.

وقد شهد هذا الاحتفال حدثاً جديداً حيث أشهر حوالي عشرين مواطناً إسلامهم أمام وفد الجمعية ونطقوا بالشهادة جماعياً، وفي قرية «سنكاتا» التي تبعد 26 كلم عن مدينة «وا» احتفل الأهالي بافتتاح مدرسة جديدة لأطفالهم بدلاً من المدرسة القديمة التي كانت عبارة عن مبنى عتيق





من سيقان الشجر مغطى بسعف النخيل، وقد أبقى عليها أهالي القرية لتظل شاهداً على النقلة النوعية ببناء هذه المدرسة.

إلى مدينة تمالي

تمالي عاصمة المنطقة الشمالية وهي المدينة الخامسة في غانا بعد أكرا وكوماسي وسيكوندي - تاكورادي وتيما.

وقد قطع الوفد 220 كلم من مدينة «وا» ليصل إلى مدينة «تمالي» حيث كان على موعد مع افتتاح المدرسة الإسلامية «فاطمة الزهراء» التي تم تشييدها بجانب مدرسة أخرى بنتها ليبيا مع مسجد قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بترميمه.

وفي خطوة أخرى في المدينة زار الوفد مشروع بناء 6 فصول دراسية ومبنى إدارياً للاتحاد النسائي بتمالي، كما قام الوفد بافتتاح مدرسة الشاكرية بمنطقة كنيفلي بمدينة تمالي، وهكذا كانت غانا المحطة الأولى لرحلة الفريق.

وكما ورد في كلمات وفد الجمعية في أكثر من موقع في هذه المرحلة من الرحلة فإن هذه المشاريع تقدم السلاح الحقيقي لمواجهة الإرهاب بجميع أشكاله، فكل مشروع مائي يفتتح هو خطوة جديدة للقضاء على العطش العدو الحقيقي للإنسانية وكل مستوصف يقام إنما هو خطوة في طريق مواجهة عدونا المرض وكل مدرسة تقام هي خطوة في معركة الإنسان ضد العدو الأكبر الجهل، فالعطش والمرض والجهل مثل التخلف لا يفرق بين أبناء أفريقيا مسلمين كانوا أم مسيحيين، ولذلك فإن هذه المشاريع لجميع أبناء أفريقيا دون تخصيص أو تمييز.

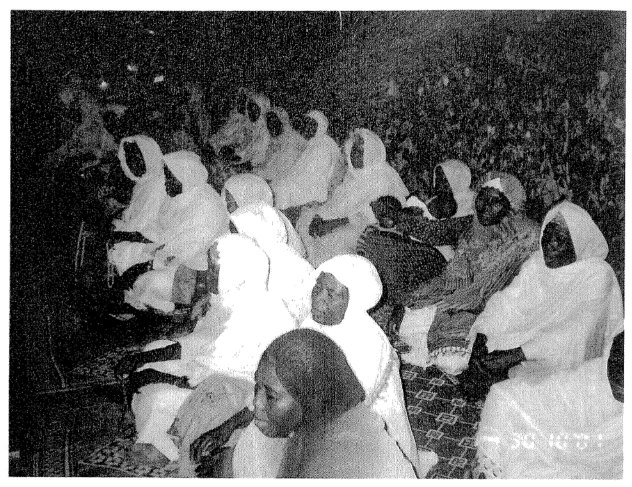
فكل الوجوه السمراء التي التقيناها اشرأبت لعناق الأمل وهو يخطو حثيثاً نحو الخلاص من الواقع المضني المنفصل تماماً عن حياة العواصم المنعمة، فالأطفال شبه العراة في القرى الأفريقية المعجونة بحياة الغابات لا يعرفون أن هناك اختراعاً اسمه الحذاء مثلاً، لأن هذه القرى عاشت مهمشة بعيدة عن إيقاع الحياة السريع، محكومة بقسوة الحياة الاجتماعية والاقتصادية المصابة بوباء الفقر والجهل والمرض، ولذلك فإن مدرسة بفصلين تقام في إحدى هذه القرى ستكون أشبه بانفجار يبعث بصيص أمل يضيء ولو قليلاً مواقع أقدام عارية لطفل ولد في أفريقيا وربط على ظهر أمه طويلاً دون أن يعرف ماذا يعني مقعد المدرسة، كما أن بئراً سيكون له نفس الفعل الانقلابي لأنك ستشاهد على حواف الغابات صبايا انضغطت رقابهن إلى اسفل تحت ثقل أواني الماء القادمة من بعيد، وماذا سيكون البئر لديها عندما تتخلص من أحمال وأثقال كانت كابوساً يومياً فرضته قسوة الحياة وغريزة حب البقاء؟.

ومن مدينة تمالي إلي مدينة «بولغا» آخر مدينة تصل غانا بالمنطقة الحدودية مع بوركينا فاسو سار الوفد 15 كلم لينتقل في رحلة العطاء الإنساني إلى مناطق بوركينا فاسو.

«في بوركينا فاسو»

انتقل وفد جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى بوركينا فاسو براً وكان ذلك يوم السبت السابع والعشرين من الحرث (نوفمبر) 2001 مسيحي.





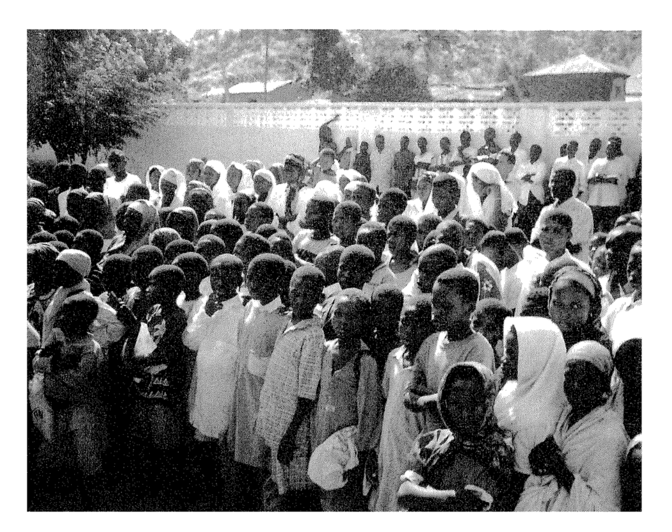
ومنذ الساعات الأولى من دخول قافلة الجمعية إلى أراضي بوركينا زار الوفد موقع مشروع يتم تشييده بمنطقة كوماتري التي تبعد عن واغادوغو نحو 40 كلم يتكون من مسجد وفصول دراسية بمرافقها مع مبنى الإدارة.

وانطلق الوفد على مدى ثلاثة أيام في افتتاح عدة مدارس مع احتفالات شعبية بحضور فاعليات إسلامية من أمراء ومشايخ وأئمة المساجد في كل منطقة ومدينة أقيمت فيها هذه المدارس.

وقد توزعت المدارس الإسلامية في عدة مناطق من بوركينا فاسو على مسافات شاسعة تشهد على دراسة لحاجيات تلك المناطق للتعليم.. وهذا ما يمكنك أن تلمسه لا من خلال الكلمات التي ألقيت في الاحتفالات الشعبية التلقائية فحسب بل وفي عيون أولياء الأمور والمعلمين وأمراء المناطق وأئمتها وفي عيون الأطفال أيضاً.

وخلال يوم الأحد 2001/10/28 مسيحي تم افتتاح:

❖ مدرسة سبيل الفلاح بمنطقة «روغو» التي تبعد عن العاصمة بحوالي 110 كلم.
❖ مدرسة النجاح بقرية بوانتغا.
❖ مدرسة هارون الرشيد؛ كفرسيغي محافظة كولويتنغا.
❖ مدرسة نور الإسلام بقرية تمبوغو وهي مدرسة تصل إليها عبر طريق وعر يخوض بين الأحراش وبيوت القش.
❖ مدرسة نور الإسلام بمدينة «بوا» شرق بوركينا.
❖ مدرسة الاتحاد الإسلامي بمنطقة كوبيالا.



المرأة في المسار

ولقد توزعت خريطة هذه المدارس على المناطق الأكثر فقراً والأكثر حاجة للتعليم، كان اهتمام هذا المشروع الإسلامي الكبير انعكس على المرأة بشكل واضح عبر تخصيص فصول في كل مدرسة لتعليم المرأة مهنة الحياكة بتزويد هذه المدارس بآلات الخياطة وحياكة الملابس.

وعبر اهتمام هذا المشروع بالمرأة المسلمة في المجتمع البوركيني تم افتتاح مسجد القدس ومركز الخدمات الاجتماعية بمنطقة «راما نقو» وهو مشروع يضم مسجداً وفصولاً لتعليم المرأة القرآن الكريم والعلوم المتنوعة إلى جانب تعليم المرأة الحياكة والمهن المناسبة لها.

وفي قمة هذا الاهتمام تم افتتاح مركز التدريب المهني للنساء ليكون مركز إشعاع تتعلم فيه نساء وبنات المسلمين.

وقد أكدت الأخت ـ الحاجة ـ عائشة تراوري رئيسة الرابطة الإسلامية لنساء بوركينا فاسو إن هذا المشروع يدل على اهتمام الجماهيرية العظمى بالمسلمين في بوركينا فاسو خاصة وفي أفريقيا عامة.

وقالت إن هذا المركز سيساهم في رفع المستوى الثقافي والمادي والمعنوي للمرأة المسلمة ويجعلها قادرة على الاعتماد على نفسها وتعزيز مكانتها في المجتمع الإسلامي كما أنه سيساهم في تنشيط ودفع النساء إلى المزيد

من الجهود في سبيل الدعوة الإسلامية، وفي نفس الاتجاه وتأكيداً على دود المرأة المسلمة وأهمية الرقي بها قام الوفد بزيارة المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بمدينة واهيغويا شمال بوركينا فاسو عاصمة إقليم ياتنغا وهي المدينة التي تعد معقل المسلمين حيث يشكل المسلمون فيها 97٪ من عدد سكانها، وكانت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد أقامت هذه المدرسة وبجانبها المركز المهني النسائي الذي افتتح في وقت سابق ويضم عدة مناشط منها الحياكة والصباغة والتطريز ومصنع صغير للصابون إلى جانب معرض لمنتجات المركز من الملابس النسائية والرجالية الأفريقية والمفارش الأنيقة.

وفي هذه المدينة قام الوفد بافتتاح عدد من المساجد موزعة على طول الطريق المؤدي إلى مدينة «رحمة الله».

بلدة رحمة الله

ترتبط بلدة «رحمة الله» بالطريقة التيجانية الصوفية فقد أسسها الشيخ أبو بكر مايغا الأول عام 1917 فراراً بدينه من قومه الوثنيين ولإتاحة الفرصة لنفسه ولأتباعه لعبادة الله وإقامة شعائر الإسلام في البلدة الجديدة التي سماها «رحمة الله» تفاؤلاً بقوله تعالى :

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِى رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ﴾

[سورةآل عمران : الآية107]

كما أن إنشاء هذه البلدة جاء محاولة لإفشال مخطط التحالف الاستعماري الفرنسي مع الملوك المحليين التقليديين والهدف إلى محاربة آية





صحوة إسلامية تستهدف نفوذهم وأطماعهم.

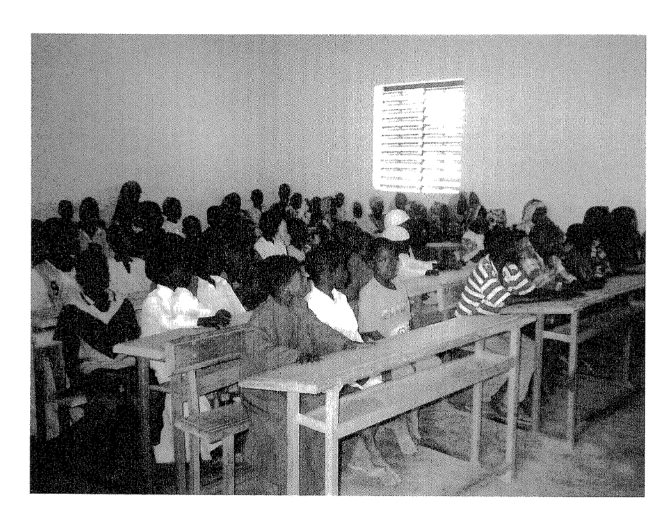
تقع بلدة رحمة الله في إقليم ياتنغا شمال بوركينا فاسو على بعد 25 كلم عن عاصمة الإقليم واهيغويا التي تبعد مسافة 60 كلم عن حدود مالي المجاورة وتبعد عن واغادوغو العاصمة حوالى 210 كلم.. والأجمل في الطريق التي تصل إليها أنها تمتد أمامك كثعبان اسود لا ينقطع ولا ينتهي إلا بعد أن تبدو أمامك من بعيد.. بعيد.. صومعة مسجد تصبح هي هدف بصرك.. كلما كبرت شعرت بفرحة الوصول. عندما وصل الوفد الى مدينة «رحمة الله» كان الاستقبال حافلاً ومؤثراً.

فقد احتشد أعيان البلدة وعلى رأسهم الشيخ أبو بكر مايغا الثاني شيخ التيجانية الذي كرمته ثورة الفاتح الاسلامية بوسام لدوره الدعوى الكبير وخدمته الاسلام والمسلمين في بوركينا فاسو.

وقد تجمع هذا الحشد الكبير لافتتاح «معهد الفاتح العظيم لتحفيظ القرآن الكريم» وافتتاح «قسم التعليم الثانوي بمدرسة مفتاح العلوم».

دعم التعليم العربي

وقد اعتبر المتكلمون في هذا الحفل إقامة معهد الفاتح العظيم لتحفيظ القرآن الكريم تحقيقاً لطموحات أبناء البلدة والإقليم لأنه يملأ الفراغ الكبير على صعيد التعليم العربي الاسلامي في هذه البقعة من بوركينا فاسو وأكد الشيخ عبد العزيز مايغا مدير المعهد وأحد قادة العمل الإسلامي في البلدة أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بهذا العمل البناء تكون قد أضافت لأعمالها الجبارة في شتى أنحاء المعمورة على وجه العموم وفي القارة السمراء على وجه الخصوص



عملاً آخر جليلاً وخدمة اخرى عظيمة لأتباع هذا الدين الحنيف تتيح لأبنائه حفظ كتابه الكريم والتعرف على علومه وأسراره وحكمه، مشيراً إلى المنجزات التي قدمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية للمسلمين على جميع الأصعدة، مؤكداً بأن هذه المنجزات تدل على الاهتمام الذي يوليه معمر القذافي قائد ثورة الفاتح الإسلامية للشعوب المغلوبة على أمرها وتحقيق الرفاهية والعلم لها، وقال: إن هذه الجماهير المحتشدة في هذه البقعة اليوم تبلغ تحياتها للثائر المسلم معمر القذافي وتقديرها العالي لبناء هذا المعهد وبناء القسم الثانوي بالمدرسة وتزويدها بمختلف المعدات واللوازم.

وألقى الشيخ سليمان كونغي مدير معهد النور بديبو كلمة حيا فيها القائد معمر القذافي لتوجيهاته الصادقة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لخدمة الإسلام والمسلمين وقال: إن هل بلدة «رحمة الله» يدعون الله أن يوفق القائمين على هذه الجمعية التي تسير بتوجيه من الأخ القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية الذي خرج ورأى بأم عينه ما يجري في أفريقيا فقرر محاربة الجهل والجوع والعطش.
وألقى الشيخ أبو بكر مايغا الثاني كلمة عبر فيها عن فرحته لإنجاز معهد الفاتح العظيم لتحفيظ القرآن الكريم وقسم التعليم الثانوي اللذين تم إنجازهما بتمويل من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

وفي مساء يوم الثلاثاء 30-10 شهد الوفد إشهار

عدد من أبناء بوركينا فاسو إسلامهم وسط مدينة واغادوغو.

وعلى روائح ونسمات الإيمان غادر الوفد يوم الأربعاء براً إلى جمهورية النيجر لمواصلة افتتاح مشاريع الخير.

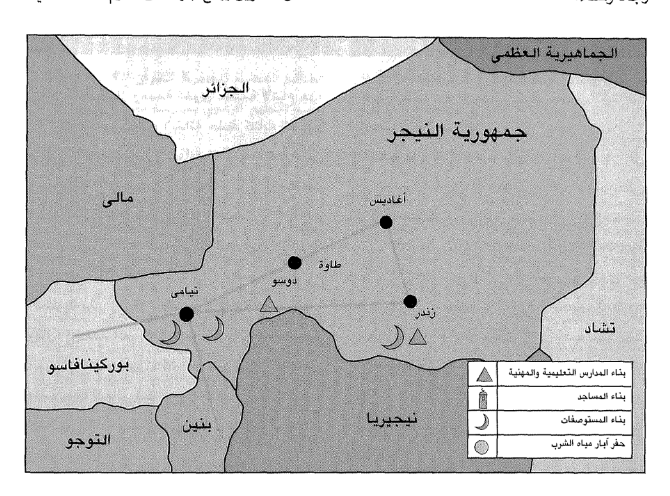
نحو النيجر

بدأت القافلة رحلتها نحو النيجر ففي طريق بين الأحراش الصحراوية والرمال اتجهت القافلة إلى قرية «كوتشري» على بعد 25 كلم من العاصمة بمنطقة لها إيحاءاتها الجميلة» حمد الله»..

في هذه القرية تم افتتاح مستوصف «ابن سينا» ومدرسة «عمر المختار» وسط حشد من أبناء القرية رجالاً ونساءً.

وكانت الكلمات بسيطة تحمل الحب كله لعمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وتبحث عن المزيد من فعل الخيرات وفي نفس الدائرة وبقرية «يوري» تم افتتاح مدرسة «خالد بن الوليد» بحضور وزير التربية في النيجر ومدير التعليم العربي وإلى جانب المدرسة تم افتتاح مستوصف «ابن الهيثم» وكانت أصوات أطفال القرية ترطن بكلمات لم أتبين منها إلا (ليبيا) و(النيجر) وقد حاولت أن أصغي لأفهم ما يقولون دون جدوى، وأرجعت عجزي إلى أن أصواتهم كانت تختلط بأصوات الخطباء، أحد الذين كانوا يحضرون الاحتفال لاحظ حيرتي فهمس في أذني: إنهم يقولون: «ليبيا والنيجر... واحد».

كان الطريق يبتلع جزءاً من اليوم فيما نمضي





الجزء المتبقي مع أبناء أفريقيا في احتفالاتهم ويبتلع الظلام جزءاً من عودة القافلة إلى قواعدها.

وفي يوم الجمعة الثاني من الحرث (نوفمبر) بدأت القافلة يوماً جديداً من رحلتها بزيارة سريعة لعيادة أقامتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بجانب فرع كلية البنات بجامعة ساي الإسلامية ومقر رابطة المرأة المسلمة بالنيجر.

ومن هذه الزيارة انطلقت القافلة إلى مدينة «كيوتا» التي تبعد عن نيامي 125 كلم.. حيث كان مئات المواطنين يلتفون حول شيخ الطريقة التيجانية في استقبال أعضاء القافلة.

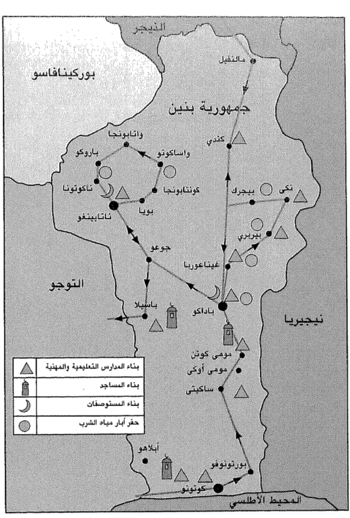
وفي صلاة الجمعة رأينا عدداً كبيراً من البعثة الأزهرية التي تعمل في هذه القرية.

وبعد الصلاة احتشد الناس بفعالياتهم الإسلامية وقياداتهم الدعوية للاحتفال بإضافة 6 فصول إلى معهد عمر جوتا وافتتاح مدرسة أبو بكر الصديق.

إلى بنين

ومن كيوتا إلى دوسو وإلي قايا ومنها إلى مايا لفيل، وكاندي حيث الحدود البنينية، وهنا جعلنا الليل والظلمة الحالكة نبيت في «كاندي». حتى نستطيع أن نمضي في الصباح المبكر إلى مدينة «بيروابوي» البينينية لتفتتح القافلة مدرسة ذات ثلاث فصول.

وعلى بعد 115 كلم من مدينة كاندي كانت هناك قرية «نيكي» (NIKKI) حيث تم افتتاح مدرسة ذات 6 فصول وبجانب القافلة في رحلة الخير



لتصل إلى قرية بيريري (Perere) لمحافظة بورغو (Borgon) البينينية حيث أقامت الجمعية مدرسة جديدة بثلاث فصول.

ولا نتحدث عن الاحتفالات التي رافقت هذه الخطوات فقد كان أبناء هذه القرى يتنادون ويتجمعون بمجرد أن تطأ القافلة تراب كل منطقة... وعبرت كل هذه الكلمات عن الفرحة الغامرة بوجود هذه المدرسة أو تلك معتبرة أن قيام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بهذا الجهد إنما يعكس ما توليه من اهتمام لأبناء أفريقيا ومستقبلهم، وفي نفس القرية «بيريري» تم افتتاح مدرسة أخرى بمنطقة «غينيا غوروبا»، حيث كانت الموسيقى الأفريقية الشعبية تصاحب الراقصين على أنغام أقدام الأطفال وهي تهرول نحو هذه المدرسة الجديدة.

وكان لا بد أن نزور ملك المدينة في بيته الذي بنته له جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

وسرنا نحو مدينة «باراكو» حيث «مستوصف الفاتح» الذي شيدته الجمعية لأبناء هذه المدينة.

وفي يوم الأحد 11/14 سارت القافلة صباحاً بين حقول القطن إلى منطقة بوكوقا بمحافظة بورغو شمال بنين حيث حفرت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بئراً يمد القرية بالمياه.

وأيضاً وبين الطرق الضيقة الملتفة بين الأحراش هناك قرية Kom Koma كانت حاجة هذه القرية للمياه شديدة، فتم حفر بئر لأهلها ليساعدهم على تخطي أزمة مياه الشرب.

بين السجناء

وعبر طرق متعرجة بمدينة «باراكو» كان الهدف هذه المرة ضاحية من هذه المدينة يقبع بها (سجن) كان للأسف يعج بالشباب المسلم الذي قادته الحياة إلى الخطيئة.

وداخل السجن التقى السجناء بأعضاء القافلة داخل مساحة يتخذها السجناء المسلمون كمسجد للصلاة.. كانت الجمعية قد جهزتها بما يقي المصلين حرارة الشمس وغزارة الأمطار.

ولم تكن مطالب السجناء معقدة، فقد انحصرت في أواني للوضوء، ولوحة تعينهم على



الدراسة، وملابس تغطي جلودهم.

وفي مدينة (باراكو) أيضاً وبقرية (تورو) تم افتتاح مدرسة.

وبقرية جينلرو (Guinlerau) بمدينة براكو تم افتتاح مسجد وحفر بئر.

وبقرية فيارو (Fiarou) افتح بئر.. ثم سارت القافلة إلى مدينة ناتينغو (Natitingou) في اشمال الغربي من بنين وتبعد عن العاصمة بحوالى 700 ك.م.. حيث تم افتتاح مستوصف.

وفي يوم الاثنين 11/5 سارت القافلة صباحاً نحو مدينة (جوقو) التي تبعد حوالى 75 ك.م. من «تاتاتنغو» حيث زارت القافلة مشروع بناء مدرسة إسلامية ذات 6 فصول.

وعلى بعد 88 ك.م. من (جوقو) كانت هناك مدينة (باسيلا) (Bassila) كان خبر وصول القافلة إلى المدينة قد وصل قبلها، فقد وجدنا على الطريق رجالاً ونساء على دراجات نارية صغيرة قادتنا إلى المدينة.

سعدية

كان من بين الذين استقبلونا في الطريق سيدة افريقية ذات ملامح رشيقة تحمل دائماً معها ابتسامة جميلة... هذه السيدة تدعى (سعدية) هذه (السعدية) هي التي لحقت يوماً (قافلة الدراسة ولاختبار) على (موتوسيكل) إلى داخل الحدود البنينية - التوغولية لتقنع أفرادها بأن يعودوا إلى باسيلا لأنها في حاجة إليهم.

ونتيجة لجهد هذه السيدة تم افتتاح «مركز

الفاتح الاجتماعي التربوي» ويتكون من مسجد و4 فصول دراسية في هذه المدينة. تقودك إلى طريق فرعي طويل غير ممهد إلى حدود التوغو دون أن تشعر أن هناك ما يشير إلى فاصل سوى أن سعدية قالت لنا: «نودعكم الآن لنعود إلى بنين».

التوغو

دخلنا شمال التوغو حيث منطقة سيكودي التي تضم مدن «تشامبا» و«بافيلو» و«كارا» و«بسار» ففي مدينة «تشامبا» التي تمتلئ بالمساجد مما يوحي بالوجود الإسلامي المكثف بها... زارت القافلة المقر الجديد لمنظمة رعاية المرأة المسلمة في تشامبا، وكذلك مستوصف تشامبا وأيضاً المعهد الثانوي الإسلامي ذو 6 فصول.

وفي يوم الثلاثاء 11/6 كان أعضاء القافلة على موعد مع مدينة «بافيلو» حيث تم افتتاح مركز التدريب المهني ويضم أقساماً للنجارة والخياطة والحاسب الآلي، وفي نفس الدائرة تم افتتاح مستوصف بافيلو.. وقد أقيم المشروعان داخل باحة المدرسة الإسلامية ببافيلو.

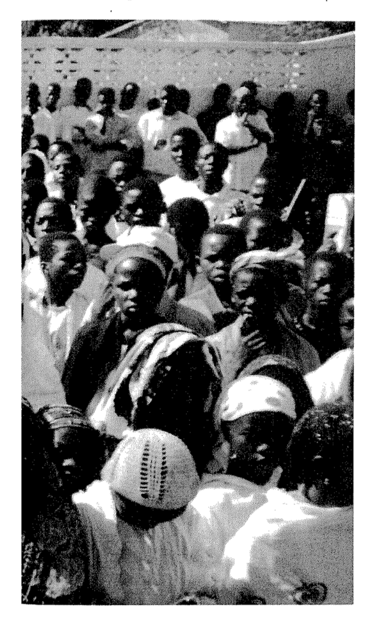
وفي مدينة كارا (Kara) تم افتتاح مشروع آخر مكون من مسجد و6 فصول.. وفي مدينة (بسار) زارت القافلة مشروع بناء مدرسة بها.

عودة إلى بنين

من أجل كسب الوقت دخلنا شمال التوغو من الشمال البنيني ولكي نغطي الجنوب البنيني كانت العودة حيث عادت القافلة إلى بنين لتجد بعد الخروج من الأراضي التوغولية مباشرة مدينة «هيلاقنجي (Hala Gondji)» بمحافظة «مونو» حيث يوجد مشروع تقيمه الجمعية يتكون من مسجد ومدرسة. وعلى بعد خمسين كيلومتراً من كوتونو عاصمة بنين زار أعضاء القافلة مسجداً بمنطقة «ويدا» تمت صيانته بالكامل من قبل الجمعية.

بوابة اللاعودة

وأنت تقترب من كوتونو تقف أمام شاهد على جريمة نكراء ارتكبها البيض الغزاة في حق أبناء أفريقيا تلك التي قام فيها تجار الرقيق يوماً من الأيام الخالية بحشد أبناء افريقيا في سفن نحو

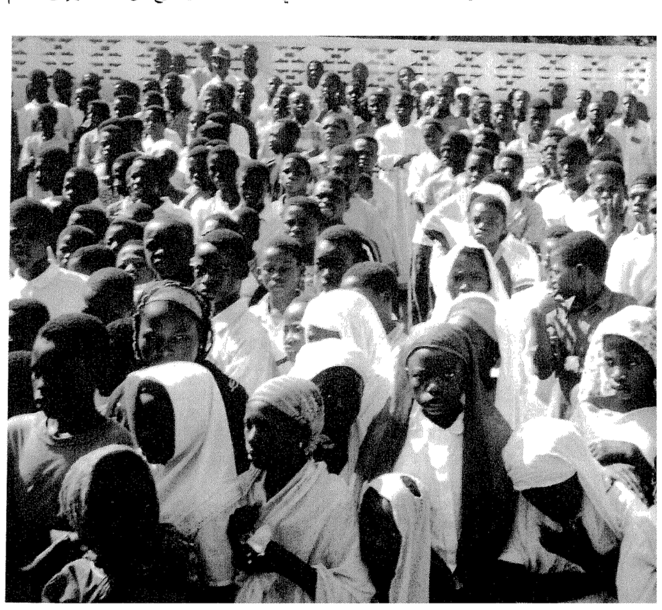


امريكا ليكونوا عبيداً لحضارة الغرب.. ساهمت اليونسكو في تخليد هذه الجريمة وإحيائها في ذاكرة أفريقيا ببناء بوابة تطل على البحر الشاهد على الجريمة كتبت عليها عبارة (بوابة اللاعودة) La pot du non Retoure.

زار أعضاء القافلة مسجداً ومركز خدمات اجتماعية بمنطقة (هومي كوتن) التي تبعد عن كوتونو 100ك.م.. كما قام الدعاة التابعون لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالمنطقة بتوزيع مواد غذائية وملابس على أهالي القرية.

وبمنطقة «ساكيتي» تم افتتاح مدرسة ذات 6 فصول في أجواء من الفرح الأفريقي تتمثل في لوحات موسيقية وهتافات إسلامية من أجل أفريقيا الموحدة.. وعبر الأناشيد الجماعية للطلبة تكتشف أن ثورة الفاتح الإسلامية هي ثورة أفريقيا كلها صغيرها وكبيرها نسائها ورجالها مسلميها ومسيحييها.

كانت أقدام الفتيات والفتيان حافية لكن صوت ارتطامها بالأرض الغنية بالحصى والحجارة يوقع في داخلك صدى يتماوج من الحاضر إلى القادم

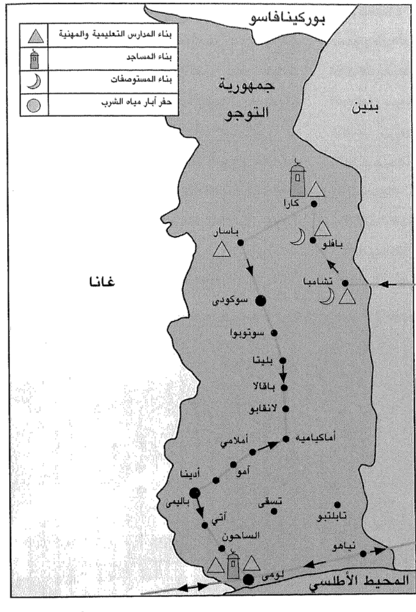


من الأيام ليرسم صورة الوعد الأفريقي القادم.

كان الاحتفال غنياً بالمعاني يجعلك تدخل حلبة الرقص مع الراقصين.

وفي يوم السبت 2001/11/10 مسيحي، قام أعضاء القافلة بزيارة لمقر معهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية الذي أنشأته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية داخل جامعة بنين، وافتتح عام 1999 مسيحي ويضم طلبة من دول غرب أفريقيا حيث يضمن لهم التخرج بدرجة ليسانس.

كما قام الوفد في اليوم ذاته بافتتاح مدرسة بمدينة (أغوي) بمحافظة (مونو) ببنين ذات 3 فصول.



عودة للتوغو

ومن جديد عادت القافلة إلى التوغو ليلاً لتغطية جنوبها ليكون لأعضائها لقاء مع افتتاح مسجد الهداية بالعاصمة لومي ومعه عدد من الفصول الدراسية كان ذلك اليوم هو الأحد 2001/11/11 مسيحي.

هذه هي الرحلة.

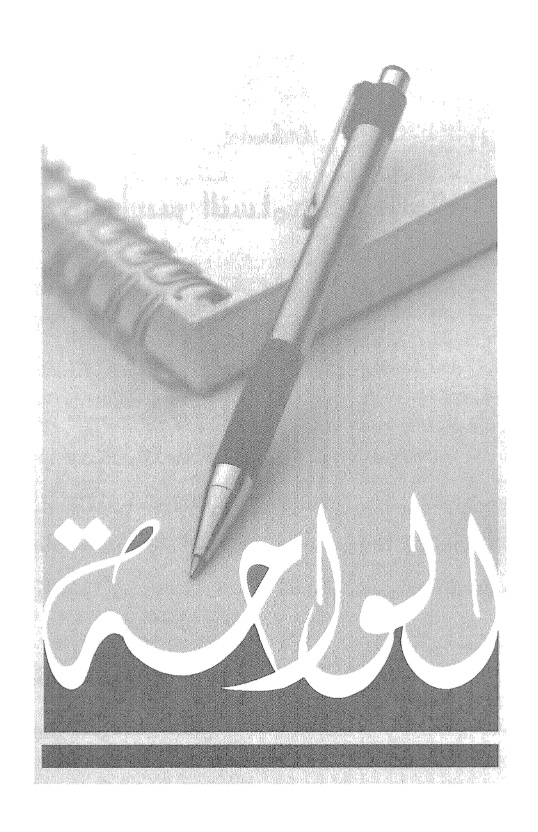
وتلك النتائج..

واليوم بعد مضي سنوات على هذه الرحلة وتلك النتائج.. هل يا ترى ما زالت الأشياء على حالها..؟

هل بقيت المدرسة مدرسة..؟

هل عرفت العيادات وظيفتها أم أنها تحولت إلى شيء آخر..

هل مسؤولية أبناء تلك القرى الذين كانوا في حاجة إلى مدرسة وعيادة فتحقق ما يريدون بعون الله.. وبقي أن يحافظوا على ما تحقق مما كانوا يريدون.



- من أسس التسامح في الإسلام
- تسامح الإسلام في عيون مفكرين غربيين



من أسس التسامح في الإسلام

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [سورة البقرة : الآية 256]

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون : الآية 7]

﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة يونس : الآية 99]

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [سورة الفرقان : الآية 63]

﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [سورة فصلت : الآية 34]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [سورة النحل : الآية 90]

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [سورة النساء : الآية 125]

﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة : الآية 237]

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [سورة آل عمران : الآية 134]

﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التغابن : الآية 14]

التطبيق العملي لدستور التسامح

❖ عَنْ زَاذَانَ أَبِي عُمَرَ قَالَ أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ وَقَدْ أَعْتَقَ مَمْلُوكًا قَالَ فَأَخَذَ مِنَ الأَرْضِ عُودًا أَوْ شَيْئًا فَقَالَ مَا فِيهِ مِنَ الأَجْرِ مَا يَسْوَى هَذَا إِلاَّ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ».

أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك)

❖ كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا فَقِيلَ لَهُمَا : «إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ : أَلَيْسَتْ نَفْسًا ؟ ».

متفقٌ عليه

❖ قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ كُنْتُ أَضْرِبُ غُلامًا لِي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي. اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ : «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» قَالَ فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي فَقَالَ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلامِ قَالَ: فَقُلْتُ لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا».

أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك)

❖ عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ : نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَيْبَرَ وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلاً مَارِدًا مُنْكَرًا، فَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَلَكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا، وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا. فَغَضِبَ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ ارْكَبْ فَرَسَكَ ثُمَّ نَادِ :أَلا إِنَّ الْجَنَّةَ لا تَحِلُّ إِلاَّ لِمُؤْمِنٍ ، وَأَنْ اجْتَمِعُوا لِلصَّلاَةِ ، قَالَ : فَاجْتَمَعُوا ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ : «أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ أَلا وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا بِإِذْنٍ، وَلاَ ضَرْبَ نِسَائِهِمْ، وَلا أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إِذَا أَعْطَوْكُمْ الَّذِي عَلَيْهِمْ ».

أخرجه أبوداود في سننه

(كتاب الخراج والإمارة، باب تعشير أهل الذمّة)

❖ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ الْمَدِينِيُّ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

أخرجه أبو داود (كتاب الخراج، باب تعشير أهل الذمّة)

❖ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «أَلا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللَّهِ فَلا يُرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفاً»..

أخرجه الترمذي

(كتاب الديات، باب ما جاء في من يقتل نفساً معاهدة)

❖ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلا نَقْتُلُهَا ؟ قَالَ : لا. فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

متفق عليه

❖ عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»

أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الزهد، باب الحلم)

خطاب علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي

«لا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك ولله فيه رضىً، فإنّ الصلحَ دَعَةٌ لجنودك، وراحةٌ وأمنٌ لبلادك .. وإن عقدتَ بينك وبين عدوّ لك عقدة، أو ألبسته منك ذمّة، فَحُطْ عهدَك بالوفاء، وارعَ ذمّتكَ بالأمانة، واجعل لنفسك جُنّةً دون ما أعطيتَ . فإنه ليس من فرائض الله شيءٌ النّاس أشدُّ عليه اجتماعاً مع تفرّق أهوائهم، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء .. فلا تغدرنّ بذمّتك، ولا تحبسنّ بعهدك، ولا تختلن عدوّك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهلٌ شقيّق .. ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تُعوّلنّ على لحنِ القوْلِ بعد التأكّد والتوثقة، ولا يدعُونّك ضيقُ أمْرٍ لزمكَ فيه عهدُ الله إلى طلب فسخه بغير الحقّ . فإن صدّك عنه ضيقُ أمرٍ ترجو انفراجَه، وتقبلَ عاقبَتَهُ خيرٌ من عُذْرٍ تخافُ تَبِعَتَه، وأن تحيط بك من الله طلبتُه لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك».

من عظمة الإسلام وسماحته كتاب الأمان الرائع الذي كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأهل إيلياء (بيت المقدس)، وفيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم،

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمها، وبريئها، وسائر ملّتها: أنه لا تُسكنُ كنائسُهم، ولا تُهدَم، ولا يُنتقَصُ منها، ولا من حيّزها، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضَارَّ أحدٌ منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحدٌ من اليهود.. لسلوكهم المشين ونقضهم المواثيق والعهود.. وعلى أهل إيلياء أن يُعْطُوا الجزية كما يُعطي أهلُ المدائن، وعليهم أن يُخْرِجُوا منها الرومَ واللصوصَ. فمن خرجَ منهم فهو آمنٌ على نفسه وماله حتى يَبْلُغوا مأمنهم ومَن أحبَّ من أهل إيلياء أن يَخْرُجَ منها، ويسيرَ بنفسه ومَاله مع الروم. يُخلّى بينهم، ويأخذوا معهم صلبانهم، فإنهم آمنون على أنفسهم، وعلى بِيَعِهم وصُلُبِهم، حتى يبلُغوا مأمنهم. ومن شاء منهم قعد، ومن شاء رجَعَ إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيءٌ حتى يُحصَدَ حَصَادُهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهدُ الله وذِمّةُ رسوله، وذِمّةُ الخلفاء وذِمّةُ المؤمنينَ إذا أعطَوا الذي عليهم من الجزية» شهد على ذلك خالد ابن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، كُتبَ سنة 15 هجرية.

(تاريخ الطبري 5 : 2405 أحداث سنة 15)

تسامح المسلمين في معاهداتهم

معاهدة المسلمين مع أهل جرجان

هذا كتابُ من سويد بن مُقرّن لرُزبَان صول بن رُزبان، وأهل دهستان وسائر أهل جراجان:

إنّ لكم الذمّة، وعلينا المنَعَةُ، على أنّ عليكم من الجزاء في كلّ سنة على قدْرِ طاقتكم، على كلّ حالم. ومَن استعنّا به منكم فله جزاؤه في معونته عوَضاً من جزائه. ولهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، ومِلَلهم، وشرائعهم. ولا يُغيّر شيءٌ من ذلك هو إليهم، ما أدّوا، وأرشدوا ابن السبيل، ونصحوا، وقَرَوا المسلمين، ولم يَبْدُ منهم سلٌّ ولا غَلّ.

عن تاريخ جرجان لأبي القاسم السهمي ص5

معاهدة المسلمين مع أهل أذربيجان

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عاملُ عمر بن الخطّاب أهل أذربيجان: سهلها، وجبلها، وحواشيها، وشفارها، وأهلل مللها كلّهم الأمانَ على أنفسهم، وأموالهم، ومللهم، وشرائعهم، على أن يؤدّوا الجزيةَ على قَدْرِ طاقتهم. ليس على صبيّ، ولا امرأة، ولا زَمِن ليس في يديه من الدنيا شيءٌ لهم، ذلك، ولمن سكن منهم. وعليهم قِرَى المسلم يوماً وليلةً. ومن حُشِرَ منهم في سَنَة وُضِعَ عنه جزاءُ تلك السّنة. وَمَن أقَام فله مثلُ ما لِمَن أقَامَ من ذلك، وَمَن خرَجَ فله الأمان حتى يلجأ إلى حِرْزِه.

عن مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله، ص 445



تسامح الإسلام في عيون مفكرين غربيين

غوستاف لوبون Gustave Lebon

«والإسلام من أكثر الديانات مُلاءمةً لاكتشافات العلم، ومن أعظمها تأديباً للنفوس، وحملاً على العدلِ والإحسانِ والتسامحِ .. وسيرى القارئ، حين نبحث في فتوح العربِ وأسبابِ انتصاراتهم، أنّ القوّة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترَكَ العربُ المغلوبينَ أحراراً في أديانهم، وإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوامِ من النصرانيةِ الإسلام، واتخذوا العربيّةَ لغةً لهم، فذلك لما رأوا من عَدْلِ العرَبِ الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ..»

من كتاب غوستاف لوبون

(حضارة العرب)

توماس آرنولد Thomas Arnold

يقول السير توماس آرنولد: « لقد عَامَلَ المسلمون العربُ الظافرون المسيحيينَ بتسامحٍ عظيمٍ منذ القرنِ الأوّل للهجرة، واستمرّ هذا التّسامحُ في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكمَ بحقٍّ أنَّ القبائلَ المسيحيةَ التي اعتنقت الإسلامَ قد اعتنقته عن اختيار، وإرادةٍ حرةٍ . وإنَّ العربَ المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعاتِ المسلمين لشاهدٌ على هذا التسامح».

من كتاب توماس آرنولد

(الدعوة إلى الإسلام)

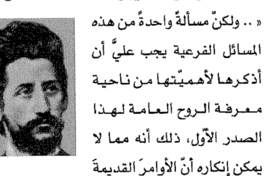
درابر Draber

يقول العلامة درابر، الأستاذ في جامعة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية في كتابه (المنازعة بين العلم والدين): «إنّ المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين، ومن اليهود على مجرد الاحترام . بل فوّضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام، ورقوهم إلى المناصب العالية في الدولة، حتى إنّ هارون الرشيد وضع جميعَ المدارسِ تحت إشراف حنا مسنيه (يوحنا بن ماسويه)... وكانت إدارةُ المدارسِ مفوّضة إلى النسطوريين تارة، وإلى اليهود تارةً أخرى. ولم يَكُن يُنظر إلى البلدِ الذي عاش فيه العَالِم، ولا إلى الدّين الذي وُلِد عليه، بل لم يكُن يُنظرُ إلا إلى مكانته من العلمِ والمعرفةِ».

(نقلاً عن كتاب «الإسلام والنصرانية»
للشيخ محمد عبده ص 15)



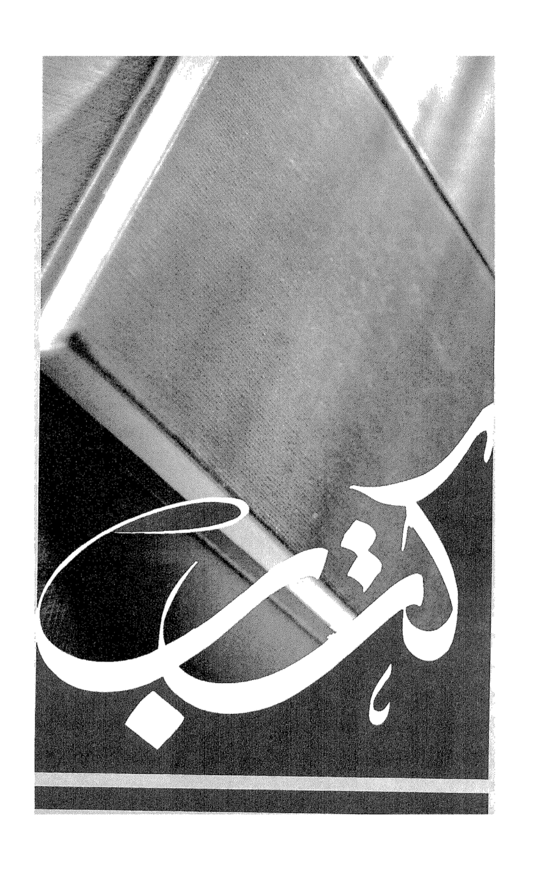
إغنتز غولدتسيهر Ignaz Goldziher



« .. ولكنّ مسألةً واحدةً من هذه المسائل الفرعية يجب عليَّ أن أذكرها لأهميّتها من ناحية معرفة الروح العامة لهذا الصدر الأوّل، ذلك أنه مما لا يمكن إنكاره أنّ الأوامرَ القديمةَ التي وُضِعَت للفاتحين المسلمين إزاء أهلِ الكتاب الخاضعين لهم كانت قائمةً على روح التسامح، وعدم التّعصّبِ . وإنّ ما يُشَاهدُ اليومَ مما يشبه أن يكونَ تسامحاً دينيّاً في علاقات الحكومات الإسلاميّة، ونجد ظواهر هذا التشريع في الإسلام في كتبِ الرحّالة في القرن الثامن عشر، يرجع إلى ما كان في النصف الأوّل من القرن السابع من مبادئ الحريّة الدينيّة التي مُنِحَت لأهل الكتاب في مباشرة أعمالهم الدينية. وروح التسامح في الإسلام قديماً، وهي الروح التي اعترف بها المسيحيّون المعاصرون أيضاً، كان أصلها في القرآن:

وقد جاءت الأخبار عن السنين العشر الأولى للإسلام بِمُثُلٍ للتسامح الدّينيّ للخلفاء، إزاء أهل الأديان القديمة . وكثيراً ما كانوا يوصون في وصاياهم للفاتحين بالتعاليم الحكيمة ... وكما أنّ مبدأ التسامح كان جارياً في الأعمال الدينيّة، فكذلك من جهةٍ أخرى كان يُراعى فقهيّاً فيما يتعلّقُ بالمعاملات المدنيّةِ والاقتصاديّة بالنسبة لأهل الكتاب، مبدأ الرعاية والتساهل. فظلمُ أهل الذمّة، وهم أولئك المحتمون بحمى الإسلام من غير المسلمين، كان يُعدُّ مُعصيةً وتعدياً على الشريعةِ ».

نقلاً عن كتاب غولدتسيهر (العقيدة والشريعة)



❖ تاريخ مسلمي صقلية

❖ علم النفس الشخصي



تاريخ مسلمي صقلية

تأليف: ميكيلي أماري

عرض: علي الصادق حسنين

بعد طول حرمان أصبح في وسع القارئ العربي، أخيراً أن يطلع على هذا العمل التاريخي القيم الذي تولى الناشر الفلورنسي فيليتشي لي مونييه إصدار طبعيتي نصه الأصلي فيما بين سنتي 1845/1939 للميلاد. كما تولى في السنة المنصرمة 2003 للميلاد إصدار الترجمة العربية التي نحن بصدد تقديمها اليوم والتي باشر بإنجازها في سنة 1995 للميلاد نخبة من الاساتذة المصريين المتخصصين في اللغة لإيطالية وآدابها، علماً بأنها جاءت في ثلاثة مجلدات تنطوي في جملتها على ألف وتسعماية وخمسين صفحة من القطع المتوسط.

تاريخ
مسلمى صقلية
كتبه: ميكيلى أمارى
إعداد
د. محب سعد إبراهيم
المجلد الأول
فلورنسا
لى مونييه
٢٠٠٣

كان ميكيلي أماري من ابناء صقلية الأقحاح المخلصين ويعتبر من أعلام الاستشراق الذين أنجبتهم إيطاليا وتفخر بهم وبمنجزاتهم.

ولد بعاصمة الجزائر في السابع من شهر يوليو سنة 1806م إبان رزوح صقلية تحت نيران البوربونيين. لقد رباه أبوه فأحسن تربيته غارساً فيه روح القومية فنشأ ماقتاً للمحتلين ناقماً على فساد حكمهم واستبدادهم.

وحين بلغ ميكيلي شيئاً من الرشد وقسطاً من النضج الفكري أدرك الوضع المؤلم الذي آل إليه وطنه الغالي.

فرغم تواضع أسرته وضعف أحوالها الاقتصادية أخذ قسطاً وافراً من العلم والمعرفة وسرعان ما تشرب مبادئ الفلسفة المادية التي تستمد أصولها من مذهب التنوير، كما اعتنق فكرة استقلال صقلية عن جنوب إيطاليا وذلك في إطار دولة تنعم بكامل الحرية.

لقد تقلب في شتى الوظائف وعكف على دراسة تاريخ جزيرته الحبيبة ولم يلبث أن أخذ يؤلف فيه. فشهدت سنة 1842م صدور قصته التاريخية «انتفاضة الأصيل» التي لم تذع صيته فحسب، ولكنها أثارت جام غضب السلطات البوربونية الحاكمة أيضاً. ولتجنب عواقب خنق هذه السلطات قرر الذهاب طواعية إلى منفاه في باريس حيث ساعده بعض الأصدقاء على إعادة نشر قصته المثيرة المذكورة.

وبالنظر إلى قناعته الراسخة بأهمية عهد الحكم الإسلامي في صقلية عقد النية - في أثناء إقامته بالعاصمة الفرنسية - على التفرغ لدراسة لغة الضاد والعمل على اقتناء المخطوطات والآثار

العربية الصقلية وغيرها من المواد الاخرى وذلك تمهيداً لتأليف «تاريخ مسلمي صقلية» كمقدمة لتاريخ عام للجزيرة كان عاقداً النية على تدوينه.

هذا وحري بالتنويه أن نشاطه العلمي لم يشغله عن الإسهام ولو عن بعيد في حركة انبعاث وطنه الاكبر «ايطاليا». وقد بقي في باريس إلى أن اندلعت في ميلانو ثورة سنة 1848م التي انضم هو أيضاً إليها وكان في طليعة صفوفها. ولما باءت هذه الثورة بالفشل أوعزت إليه قيادتها بالتوجه إلى باليرمو حيث تولى مهام مختلفة. وقد أوفد من هناك إلى باريس ولندن في مهمة للدفاع عن الثورة التي فجرها القوميون الصقليون في ربوع الجزيرة.

وبعد أن تحققت الوحدة الوطنية عاد هذا العالم إلى إيطاليا وتبوأ كرسي التاريخ واللغة العربية في بادئ الأمر بجامعة بيزا ثم في جامعة فلورانسا.

واستأنف بعدئذ نشاطه السياسي وعين وزيراً وعضواً بمجلس الشيوخ، وظل يشغل هذين المنصبين إلى ان وافته المنية في 16 يوليو 1889م. إذ كان لا يزال يبذل جهوده بهمة ونشاط في سبيل إصدار مصنفه في طبعة ثانية قدّر لها أن تخرج بعد وفاته مع العلم بأن كثيراً من أعماله الأخرى ما برحت تنتظر النشر.

ولم يمض وقت طويل على استنشاقه نسائم الحرية حتى تقلبت الأحوال وساءت الظروف فاضطر أماري إلى العودة إلى منفاه في باريس حيث انقطع عن النشاط السياسي واستأنف دراساته وأبحاثه العلمية وانكبّ على مواصلة التأليف وأخذ ينشر شيئاً فشيئا أجزاء مصنفه الذي ساهم بنشاطه الدؤوب في إثبات. على حد قول المؤرخ الاستاذ فرانكو كارديني. مدى ما تدين به أوروبا للإسلام من اسبانيا إلى صقلية وحتى بلاد البلقان وهو تاريخ عربي وإسلامي معاً. فلا يمكن إذن اعتبار الإسهام العربي في تكوين الهوية الأوروبية إسهاماً عارضاً وهامشياً، بل هو إسهام جوهري بنّاء يشكل حقيقة تاريخية علينا أن نتدبرها دائماً وأن نستوعبها. فهي حقية أساسية في حياتنا الثقافية وفي بناء مستقبل قائم على السلام والإخاء بين شعوب البحر الأبيض المتوسط».

Storia
dei Musulmani
di Sicilia

Scritta da
Michele Amari

Versione araba a cura di
Moheb Saad Ibrahim

VOLUME PRIMO

إلى هنا ينتهي كلام الأستاذ كارديني.

والكتاب بحق ذو قيمة علمية عالية يُقدّرها المشتغلون بالتاريخ الإسلامي وهو يقع في ثلاثة مجلدات:

❖ **المجلد الأول: ويتكون من مقدمة وكتابين (الأول والثاني).**

ـ المقدمة، وتحدث فيها آماري عن تطور دراسات التاريخ الإسلامي بشكل عام، وعن صقلية بشكل خاص. وقد استعرض في المقدمة أبحاثه في مشروعه الكبير الذي يتصل بالمكتبة العربية الصقلية والخارطة الجغرافية المقارنة، والأبحاث التي ينبغي إجراؤها في المستقبل. كما استعرض المؤلف المصادر العربية والبيزنطية واللاتينية التي اعتمد عليها في كتابه الكبير هذا.

❖ **الكتاب الأول: ويتكون من عشرة فصول:**

ـ عالج المؤلف في الفصل الأول تاريخ الحكومات

الأجنبية في صقلية والفتح الإسلامي والنور الإسلامي والنورماندي، كما عالج موضوع تدهور صقلية تحت حكم الرومان وأحوال البلاد في القرون الثلاثة ما قبل الميلاد، ثم أحوالها في القرون الوسطى السنة الأولى بعد الميلاد.

- وفي الفصل الثاني تطرق إلى بواكير المسيحية في الجزيرة وأثر الكنائس الإيطالية عليها.
- وفي الفصل الثالث، تحدث آماري عن شبه الجزيرة العربية والقبائل التي كانت تعيش فيها، ونظامها السياسي والقبلي وقوانينها المدنية والاجتماعية، وما كان يسود فيها من عقائد وملل. وفي هذا الفصل تحدث عن بواكير التعبئة المحمدية وحياة محمد ﷺ، ومبادئ العقيدة التي جاء بها، ومصادرها من القرآن الكريم والسنّة، وتطرق إلى أحداث إسلامية مشهورة كالهجرة والغزوات، ثم الفتوحات على عهد الخلفاء.
- وفي الفصل الرابع، ناقش بواكير وصول المسلمين إلى صقلية. ومعنى اسم (السراسنة) الذي كان يطلق على المسلمين.

وفي هذا الفصل تكلم عن الغزوات االمصاحبة لفتح صقلية.

- وفي الفصل الخامس تكلم عن أحوال شمال أفريقية وأصول البربر والفتوحات التي تمت في شمال أفريقيا على يد عقبة بن نافع وموسى بن نصير.
- وفي الفصل السادس تكلم عن نظام الحكم في البلاد المفتوحة على يد المسلمين والأسر التي تعاقبت على حكم تلك البلدان.
- وفي الفصل السابع تحدث عن اجتياح صقلية، والهجوم على سردينيا.
- وفي الفصل الثامن ناقش المؤلف الحياة السياسية في ايطاليا أثناء فتح صقلية.
- وفي الفصل التاسع تحدث آماري عن أحوال صقلية تحت حكم البيزنطيين وشكل إدارة الدولة ومؤسساتها في تلك الحقبة.
- وفي الفصل العاشر عرض الباحث لمعاهدات حكام الجزيرة مع عرب أفريقيا والغارات المتتابعة على شواطئ صقلية.

❖ والكتاب الثاني من المجلد الأول يقع في اثني عشر فصلاً:

- ناقش في الفصل الأول أسباب ثورة أوفيميو، ونقد الروايات التاريخية المتعلقة بتلك الأحداث.
- وفي الفصل الثاني تحدث عن أسد بن الفرات فقيهاً، وقيادته لجيش الفتح، وطلب اوفيميو المساعدة من افريقية.
- وفي الفصل الثالث تكلم عن النزول من مازارا، وانتصار أسد والسير نحو سيراكوزا، ومحاصرتها، ثم رفع المسلمين الحصار عنها.. وتعرّض لقتل اوفيميو وهزيمة الحاكم تيودوتو، وحصار باليرمو واستسلامها.
- وفي الفصل الخامس تكلم عن محاصرة بعض المدن واستسلامها مثل: بلاتاني وكورليولي، وجروني، وما أبرم من معاهدات مع الأهالي.
- الفصل السادس، وفيه طلب نابولي الغوث من مسلمي صقلية وإعطائهم أسطولاً لمحاصرة سيينا، ثم اقتحام سيينا وأليمينا والاستيلاء على موديكا، وهزيمة الجيش البيزنطي، وخضوع راكوزا، ووفاة الأمير أبي الأغلب، وهزيمة الأسطول الإسلامي في بحار كريت، ثم الاستيلاء على كاسترو جوفاني.
- الفصل السابع، وفيه الاستيلاء على برنديزي، وهزيمة قوات فينيسيا ويعرض هذا الفصل لجملة من المداخلات والوقائع الأخرى.

- وفي الفصل الثامن يتحدث المؤلف عن معارك في البحر الأدرياتيكي، وحصار بار.
- وفي الفصل التاسع، يتعرض الكاتب في إشارات سريعة لانتصارات المسلمين على البيزنطيين، واحتلال سيراكوزا، وما حدث من مجاعة ووباء.
- وفي الفصل العاشر، يتعرّض الكاتب لمؤامرات قصر باليرمو، وتهييج الرهبان الناس لمقاتلة المسلمين، وبعض المعجزات الإسلامية والمسيحية التي حدثت في كلتا فوتورو، وما حدث من حرب أهلية بين العرب والبربر في صقلية وتحدث المؤلف أيضاً عن أسر مجبر بن إبراهيم قائد مسلمي سيينا وشعره.
- وفي الفصل الحادي عشر، تحدث المؤلف عن أحوال امبراطوريات الشرق والغرب وخطط البابا يوحنا الثامن، والمعارك التي حدثت في كالابريا وبوليا ومؤامرة البابا ضد دوق نابولي، وأخذ المسلمين غدراً.
- وفي الفصل الثاني عشر، يتحدث الكاتب عن أحوال المسيحيين في صقلية وعلاقاتهم المختلفة مع المنتصرين عليهم، واحتلال الجزيرة، وتقسيمها إلى ثلاثة وديان، وظروف المسيحيين المختلفة، والمدن الخاضعة للجزية وقواعد الشرطة المدنية. كما تطرق إلى العهد العمري، وهو الأمان الذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس. وهذا الفصل فيه الكثير من المؤآخذات التي تحتاج إلى تصويب.

❖ المجلد الثاني من كتاب تاريخ مسلمي صقلية يتضمن الكتابين الثالث ويحتوي على أحد عشر فصلاً، والرابع ويحتوي على خمسة عشر فصلاً وجميع هذه الفصول تعالج الحياة المدنية والسياسية والدينية والاقتصادية بعد فتح الجزيرة، وكذلك الحياة العلمية ومؤسساتها المختلفة. ولعل الفصل الرابع عشر من الكتاب الرابع، أهم ما كتب عن الحياة العلمية والثقافية في جزيرة صقلية في تلك الحقبة، حيث تحدث عن أعلام الفقه، والقرآن واللغة، والأدب، والشعر.

❖ والمجلد الثالث من كتاب (تاريخ مسلمي صقلية) يتكون من كتابين الخامس ويحتوي على عشرة فصول، والسادس ويحتوي على ثلاثة عشر فصلاً ويحتوي المجلد الثالث في آخره على فهارس الأعلام والأماكن والبلدات ويعد هذا المجلد الأخير من كتاب (تاريخ مسلمي) صقلية من أهم مجلدات الكتاب الثلاثة. لاحتوائه على قدر هائل من المعلومات، لا سيما تلك التي لا يمكن الوقوف عليها في المصادر العربية.

وأخيراً، فإن كتاب (تاريخ مسلمي صقلية) موسوعة تاريخية حقيقية تفخر بها المكتبة العربية والاستشراقية معاً. والكتاب لا يخلو من بعض العيوب المنهجية التي لا تقلل من شأن الكتاب، كالإفراط في الاعتماد على المصادر غير العربية، لا سيما عند اختلاف الروايات للواقعة الواحدة بالإضافة إلى أنه كان أحيانا يملأ بعض الفراغات عند قلة المعلومات المتعلقة بالمسألة التي يطرحها اعتماداً على افتراضات وتخمينات شخصية مثلما فعل عندما تحدث عن مسألة الجزية وأحكام المؤمنين في الجزيرة مفترضاً أن ما أجرى على سكانها هو عين ما أجري على سكان البلدان المفتوحة في الشرق الإسلامي.

هو ذا عرض سريع لكتاب تأخرت ترجمته طويلاً، فهنيئاً للباحثين العرب صدوره، وهنيئاً لمن قام على ترجمته ونشره، فإنهما بذلك قدّما خدمة جليلة للتاريخ الإسلامي.



علم النفس الشخصي

كتاب عنصري يتهم المسلمين بأنهم يولدون على العنف

بقلم: د. عبد الله محمد الزيات *

مضى على خروج هذا الكتاب لأول مرة وقت ليس بالقصير، إذ حدث ذلك في يناير من العام 1997 مسيحي، ولم يطو سجل قضيته إلا في عام 2001م، وعنوان الكتاب (علم النفس الشخصي)(La Psicologia Personal)، أما مؤلفه فهو الأستاذ الدكتور غييرمو كنتانا فرناندث الذي اشتكى طلاب السنة الثالثة في كلية التربية بجامعة الكمبلوتنسي منه عندما اكتشفوا أن الكتاب الذي كان يشير إليه ويوظفه في دروسه التي يقدمها لهم يقوم على افتراض ذي طابع عنصري تمييزي ضد المرأة، وكان الأستاذ قد دافع في هذا الكتاب عن أمور كثيرة منها الشخصية الجامدة للإنسان المحافظ مقابل الطابع المتقلب وغير الثابت، بل سريع التقلب والمتناقض للإنسان التقدمي.

كما وجدت في هذا الكتاب كلمات تسيء للمرأة، وإن انتهت هذه الكلمات أخيراً إلى الحذف من الكتاب، وقد وصفت تلك الكلمات المرأة بأنها غير ثابتة، وبأنها مبالغة في الزينة متفننة في الحقد، تهوى التسوق والشراء، والأشياء المنزلية، وتتجاوب مع خطابات التجميل.

كما دعم هذا الكتاب تلك النظرة العنصرية الدونية للجنس الأسود أمام الجنس الأبيض، أما الجنس الأصفر فقد وصفه الكتاب بالحماقة والبلادة.

وقد أثارت وسائل الإعلام المختلفة في اسبانيا ضجة واسعة حول الكتاب، والسبب في ذلك كما قالت أن الكتاب به ثلاث أطروحات عنصرية خطيرة: وأولى هذه الأطروحات: القول إن الجنس الأسود أقل فاعلية، وأدنى تفكيراً وعقلية من الجنس الأبيض، أما الثانية فهي أن المرأة لا تفهم شيئاً ولا تفكر في شيء إلا في الشراء وصرف النقود والمبالغة في التجميل والتزيين، والأطروحة الثالثة - وقد ذكرت في أول الضجة ثم تنوسيت بعد ذلك - وهي أن المسلمين يولدون على العنف بالفطرة!.

اعترضت على هذا الكتاب أصوات مختلفة من وجهات نظر عديدة، ومن ذوي اتجاهات كثيرة تمخضت في الاتجاه المناهض للعنصرية الجنسية، وبشكل خاص العنصرية ضد السود، والاتجاه الأنثوي النسوي أو الفيمنسمو Elfeminsmo (تجاه المغالاة في المطالبة بحقوق المرأة).

فقد صرخت وزيرة التربية في حكومة فيليبي غونثالث في وجه هذا الكتاب معلنة أنه يقلل من شأن المرأة ويحقرها ويتفهها، وطالبت بأن يقدم مؤلفه إلى

* أستاذ جامعي / ليبيا

المحاكمة، وأن ينظر المجلس الأعلى للقضاء في هذا الكتاب لمنعه من النشر.

أما رئيس جمعية مكافحة العنصرية فقد طالب أن ينظر النائب العام في هذا الكتاب، وقد قرر هذا الأخير النظر فيه.

ضمن الضجة الكبيرة التي حدثت حول الكتاب أجريت مقابلة إذاعية مسموعة مع مؤلفه، وكانت سريعة، قال فيها: إن من تناول الكتاب بالنقد لم ينظر فيه جيداً، وبخاصة في أوله، حيث يوجد هناك ما ينفي عن الكتاب أية عنصرية.

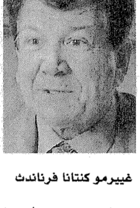
لم يدافع أو يتكلم أي أحد من أي جهة إسلامية دافعاً تهمة الإرهاب والعنف الفطري عن المسلمين.

لكن ماذا لو كان هذا الكتاب قد تناول إشارات تعتبر جارحة عند اليهود أو المسيحيين بصفة عامة؟ إيسكت الإعلام الغربي! أتسكت حكومات العالم الغربي؟ أيسكت المسيحيون واليهود؟

إنه معلوم بما لا يتطرق إليه شك عداوة الشارع الغربي بصفة عامة للإسلام والمسلمين، ومن ثم فلا غرابة أن يصدر حكم من قبل كاتب ينتمي إلى هذا الشارع الذي تلقى فيه أبجديات فكره الأولى، ولا غرابة أيضاً أن تسكت وسائل الإعلام الغربي عن هذه الإهانة للمسلمين، ولا تشير إليها إلا إشارة جاءت مرة واحدة، ثم ما لبثت أن تخلت عنها في كل تنويهاتها بعنصرية الكتاب، وكأن الكتاب ليس عنصرياً لأنه تبنى كل تلك الادعاءات التي من بينها أن المسملين ذو عنف بالطبيعة، بل لأنه تناول المرأة والسود وغير ذلك مما ليس له علاقة بالمسلمين.

وكما قلنا سابقاً فإنه لا غرابة في أن يصف الغربيون الإسلام والمسلمين بأي شيء، لكن الغرابة في غياب المسلمين، ووسائل إعلامهم؛ فيا ترى أين كان المسلمون؟ وأين كانت سفاراتهم العديدة في مدريد؟ أيعقل أن يمر خبر كهذا تثيره كل وسائل الإعلام من إذاعات وصحف ولا يعلم به سفير واحد من سفراء المسلمين؟ أو لا يطرف على أذن أحد الملحقين الثقافيين المسلمين في هذه البلاد؟ أو على الأقل لا تقع عليه عين أحد المخبرين لأنظمة الدول الإسلامية في هذه البلاد؟

ولعل أحداً يقول إن هذا من الظلم الكبير لهذه الشريحة الأخيرة فلم توظف لهذا الغرض، وإذا كان من لوم ممكن فليلق على غير هذه الأخيرة، فلماذا لم ينبس أحد من كل تلك الشرائح ببنت شفة، مفنداً مزاعم صاحب هذا الكتاب؟



غييرمو كنتانا فرناندث

ولا أحد يقول إنه ربما صدر أي تفنيد لهذا الكتاب عن سفارة إسلامية هناك، إذ لا يعقل أنه حدث ذلك دون أن تذيعه وسائل الإعلام الإسبانية المختلفة.

لكن صاحب وجهة نظر مخالفة قد يقول: لا يستغرب أن يكون قد صدر أي تفنيد ولكنه سُكِتَ عنه فلم تتناوله وسائل الإعلام، فالغرب صريح في كل شيء، ديمقراطي في كل الأمور، إلا فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، فقد يسكت عن حقائق وقد تُخفى معلومات، وتُزوّر أحداث، وتُنتهك حقوق! والدليل على ذلك ما حدث ويحدث في فلسطين، وما حدث ويحدث في العراق، وما حدث ويحدث في كل بقعة من العالم الإسلامي، كيف تتناوله وسائل الإعلام الغربي وتتصرف فيه وتوجهه حسب أيديولوجيتها وأهدافها، هذا إذا استطاعت وسائل الإعلام أن تصل إليه، ولم يهدد الصادقون فيها بكل شيء حتى الموت!

إن سكوت الجهات التي فندت بعض ما في الكتاب عن أي ذكر أو إماءة أو إشارة لعنصرية الكتاب ضد المسلمين، لدليل واضح على عنصرية ضد المسلمين، وكره وحقد يمارس ضدهم على مختلف المستويات، وإذا كان من فند مزاعم الكتاب ضد المرأة هن في الغالب نسوة أي ينتمين إلى إحدى الشرائح التي

استنقصها الكتاب، فإن من فند مزاعم الكتاب ضد السود ليس أسود، بل هو أوروبي، أو هم أوروبيون من الجنس الأبيض، وكانوا يتكلمون باسم جمعية مكافحة العنصرية، وإذا كان دفاعهم عن السود لأن الكتاب يهاجمهم مهاجمة عنصرية جنسية، فإن الكتاب هاجم المسلمين مهاجمة عنصرية دينية؛ ثم أين جمعيات حقوق الإنسان مطلقاً، كيف تسكت عن تمييز وتفريق مثل هذا؟ أي القول بأن كل مسلم يولد بطبيعته عنيفاً يجري العنف في دمه، ويحب ممارسة العنف!

سحب الكتاب من الأسواق في أول صدوره وذلك بأمر رئيس الجامعة، كما أوقف الأستاذ عن عمله وأوقف مرتبه لمدة ستة أشهر، وكان على وشك أن يقدم للمحاكمة، إلا أن ذوي الاختصاص لم يجدوا سبباً قوياً فيما يقولون لمحاكمة الكتاب أو تجريم صاحبه، لأن النائب العام اعتبر ذلك تدخلاً في تقييم الكتب ومن ثم تدخلاً في حرية فكر الأستاذ ومساساً بها وهو ما لا يصح، وأخيراً اعتبرت الجهات القضائية أن من الأكثر مناسبة أن يوقف مرتب الأستاذ كنتانا بسبب نقص كبير في الإنتاج أو الأداء، وهو ما يؤثر على وظيفته العادية وأدائه للخدمة. الملف التأديبي اعتبر الكتاب غير مناسب لتأهيل الطلاب، وبرهن على أنه لا يتطابق مع البرنامج المجاز من قبل علم النفس التطويري والتربية، وهو القسم الذي ينتمي إليه الأستاذ كنتانا. ومن ثم اعتبر عقاب الجامعة له من الإيقاف عن العمل وإيقاف المرتب لمدة ستة شهور عقاباً إدارياً أي لتقصير الأستاذ. وكان من حجة الجامعة ضد الأستاذ أنه لم يعلم الجامعة ببرنامجه الدراسي وأدخل هذا المقرر محل النزاع دون علم منها، ومن ثم فهو مقصر من الناحية الإدارية وهو مستغل استغلالاً سيئاً لوظيفته في فرض كتابه وبيعه لطلابه، رغم أنه كتاب ليس صالحاً، ثم طعن الأستاذ في الحكم أمام المحاكم العليا في مدريد، فردت هذه على الجامعة بالقول: «اتضح أن الكلية نفسها لم تلتزم بضرورة تخزين المقررات أو الاحتفاظ بها منذ الأول من يوليو؛ أي لم تحتفظ أو تخزن البرامج والمقررات التي كان كنتانا قد تبناها، ولذلك تلغي المحكمة الإيقاف وتحكم على جامعة الكمبلوتنسي بأن ترجع إلى الأستاذ أكثر من ثلاثمائة ألف بيستا (أي حوالي ثلاثة آلاف دولار) عن كل شهر، لم يتسلمها خلال النصف العام الذي كان موقوفاً فيه عن العمل»[1].

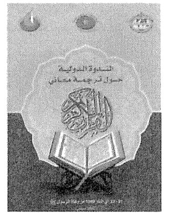
La Complutense debe reintegrar a Quintana seis meses de sueldo

ما كتبته صحيفة (الموندو: العالم) الإسبانية عن الكتاب

إذن أثيرت ضجة كبيرة حول ذلك الكتاب الذي مس أموراً خطيرة وقال بنظريات فاسدة لكن النتيجة في النهاية براءة الكتاب وصاحبه، فهل يا ترى حدث ذلك لعدم كفاية الأدلة أم أن شيئاً آخر لا يعلمه الناس قد حدث؟

ما يهمنا أكثر أن كل تلك الضجة التي أثيرت حوله لم يمس منها شيء ما يتعلق بما قيل من كلام مجاف للحقائق فيما يتصل بالمسلمين، حتى المسلمون أنفسهم لم ينبسوا ببنت شفة كما يقال حول ذلك الكتاب، فيما علم كاتب هذه السطور، الذي يرجو أن يكون علمه قاصراً في هذا الشأن، ومعلوم أن مئات أو ربما آلاف الكتب تخرج في العالم الغربي على مدى أيام أو شهور تحمل هجوماً على المسلمين والإسلام، وتمر دون تفنيد أو رفض بعلم المسلمين أو بدونه، وهذا نموذج شهد به كاتب هذه السطور وما خفي كان أكثر.

(1) جاء هذا الحكم في صحيفة البايس Alpais الصادرة بتاريخ 2001/12/4.

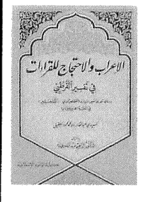


الندوة الدولية حول ترجمة معاني القرآن الكريم

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

272 صفحة/ قطع كبير

من بين أبرز القضايا التي أولتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الاهتمام والرعاية ما ينشر من ترجمات للقرآن الكريم بمختلف اللغات، وهي القضية التي أثارت جدلاً كبيراً بين العلماء المسلمين، غيرة منهم وحفاظاً على أن لا تؤدي تلك الترجمات إلى أي خلط أو تبديل أو تحريف يمس المعنى في كتاب الله من قريب أو بعيد. والضرورة الحتمية لإبلاغ دعوة الإسلام ونشره بكل الوسائل؛ اقتضت من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية العمل على الدعم والاهتمام بكل ما يختص بترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة نقية ودقيقة لا تحتمل التحريف أو التشويه أو التضليل في المعنى أو التفسير، وتعطي الفرصة لمن لا يعرفون اللغة العربية - مسلمين وغير مسلمين - للاطلاع والفهم لأسس الدين الإسلامي. ويتضمن هذا الكتاب أعمال ومداولات الندوة العلمية التي احتضنتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وتعاونت في تنظيمها مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والمعهد العالمي للفكر الإسلامي لمناقشة قضايا ترجمة معاني القرآن الكريم، وهي خطوة نحو الطريق الصحيح في الاهتمام والرعاية بكتاب الله في هذا الجانب المهم الذي حاول أعداء الإسلام الولوج منه تحقيقاً لمآربهم ونواياهم السيئة. ولا شك في أن الخطوات العلمية والعملية الرصينة هي فقط التي ستعطي النتائج الإيجابية الكفيلة بحفظ فكر الإسلام وثقافته من أي تشويه.



الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي

المؤلف: سيدي عبد القادر بن محمد محمود الطفيل

الناشر: كلية الدعوة الإسلامية

496 صفحة/ قطع متوسط

يعتبر تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) من أكثر التفاسير المهتمة بالإعراب والقراءات تداولاً بين العلماء والدارسين، لسهولة مأخذه، وغزارة مادته وتنوعها. ويدرس المؤلف في هذا الكتاب اهتمام القرطبي في تفسيره بالإعراب الذي توسع فيه كثيراً، ومزجه بين المذاهب النحوية في القواعد والمصطلحات، واتباعه في تناوله للإعراب طرقاً شتى، كما يدرس اهتمامه بالقراءات حيث شحن تفسيره بمتواترها وشاذها، وأيضاً اهتمامه بالاحتجاج للقراءات وتوسع فيها توسعه في الإعراب، وإكثاره من أدلته، وقد استفاد من الإعراب والقراءة في تقرير الأحكام الشرعية واستنباطها من آياتها.

السعادة الأبدية
في التعريف بعلماء تنبكت البهية

تأليف: مولاي أحمد بابير الأرواني

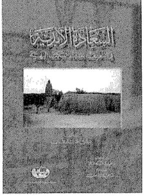
دراسة وتحقيق: الدكتور الهادي المبروك الدالي

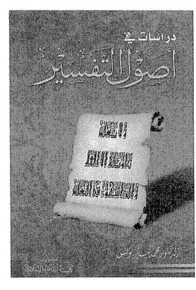
تقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

205 صفحات / قطع متوسط

حظيت مدينة تنبكت بأهمية خاصة بين مراكز العمران والاستقرار، لأنها أصبحت ملتقى الحضارات العربية الأفريقية بعد تأسيسها على يد قبائل (مقشرن) الطارقية، في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر مسيحي. ولذلك أصبحت مدينة تنبكت بجمهورية مالي تمثل بؤرة جامعة لتفاعلات جملة من العلاقات المتنوعة، باعتبارها ملتقى الوافدين، ومركز الإشعاع الثقافي الإسلامي، ومجمع الحضارات الأفريقية والإسلامية، وعلى هذا فإن الكتب التي تتناولها بالدراسة والتعريف تكون جديرة بالتحقيق والاهتمام، لأنها اكتسبت قيمتها من موقع الحدث التاريخي، الذي يحتفظ بالآثار الباقية مسطرة في الوثائق، والمخطوطات، أو محفوظة في الذاكرة. وهذا الكتاب يحتل مكانة رفيعة بين مصادر تاريخ أفريقيا، يتناول حشداً من المسائل المهمة ذات الصلة المباشرة بأمور الدين والدنيا، وعلى رأسها فوائد التاريخ الدنيوية والأخروية، وصفة تنبكت وفضلها، وأول من سكنها، والتعريف بالطوارق وبمالي، والملك سني علي، وأسكيا الحاج محمد، وذكر مساجدها والتنويه بعلمائها وأعيانها من قضاة وأئمة معروفين، والتعريف بجامعة سنكري، وعلماء بادية تنبكت.





دراسات في
أصول التفسير

المؤلف: الدكتور محمد كبير يونس

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية

480 صفحة/ قطع متوسط

دراسة كتاب الله عز وجل وتدبره تحتاج إلى ضوابط تقوم على أصول شرعية وقواعد علمية، تضمن صحة الفهم عن الله عز وجل، وتعصم من الخطأ والزلل. وفي هذا الكتاب يحاول المؤلف أن يحقق الأهداف التالية:

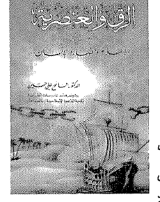
1- التعريف بأصول التفسير مع الاهتمام بصحة حجيتها، أو البرهنة على صحة حجيتها.

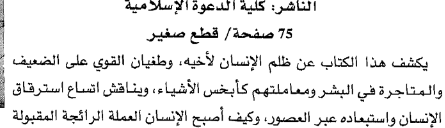
2 - بيان القواعد والأسس المنهجية للتعامل مع هذه الأصول.

3- الإكثار من ضرب الأمثلة التطبيقية التي توضح القواعد والأسس النظرية.

ولتحقيق هذه الأهداف يسلك المؤلف منهج الاستقراء والتصنيف والتحليل العلمي، وعلى أساس ذلك يتم استنتاج الأحكام، وبناء الأسس والقواعد.

الرق والعنصرية
بين الإسلام وحضارة الإنسان





المؤلف: د. الشيخ علي حسين

الناشر: كلية الدعوة الإسلامية

75 صفحة/ قطع صغير

يكشف هذا الكتاب عن ظلم الإنسان لأخيه، وطغيان القوي على الضعيف والمتاجرة في البشر ومعاملتهم كأبخس الأشياء، ويناقش اتساع استرقاق الإنسان واستبعاده عبر العصور، وكيف أصبح الإنسان العملة الرائجة المقبولة على أوسع نطاق، حتى أشرق نور الإسلام على العالم فقفل ينابيع هذا المستنقع، وفتح منابع التحرر، ولم يبق منه - إلي حين - إلا ما تدعو إليه الضرورة المبادلة بأسرى الحرب. ويكشف الكتاب دور اليهود في بذر جذور العنصرية التي تلقفها الغربيون وصاغوا منها نظرية التعالي والاستكبار في الأرض، ويبين المؤلف بطلان التبجج الغربي بنقد مرتكزات فكرة التفوق العرقي من جهة، ومن جهة أخرى سمو الإسلام الذي كرم الإنسان بوصفه إنساناً. كما يكشف زيف ادعاء الغربيين أن العرب مارسوا تجاه الرقيق على نطاق واسع في القارة الأفريقية. إنه خلاصة سريعة مركزة ولكنه كاف لإظهار الحق.

الأسمى
في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

حققه وقدّم له: الدكتور صالح عطية الحطماني

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

429 صفحة/ قطع متوسط



يقول محقق الكتاب: هذا الكتاب يحقق الطريق المأمون إلى الوصول المأمول تحقيقاً للوعد الموعود في قول النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»، ومؤلف هذا الكتاب يحصيها ويشرح معانيها، ويوضح ما على العبد اعتقاده فيها. ويعتبر الكتاب من أجلّ الكتب المؤلفة في هذا الشأن، لما تميز به من شمولية وإحاطة في موضوعاته من ناحية، وسهولة أسلوبه ووضوح عباراته من ناحية أخرى. فضلاً عما يزخر به الكتاب من نفائس الإشارات ولطائف التعليقات، علاوة على ما يتميز به أسلوب القرطبي من كثرة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف. وقد أشار الشيخ القرطبي كثيراً إلى هذا الكتاب في تفسيره المسمى (الجامع لأحكام القرآن) غير أن الدارسين ومتتبعي المخطوطات لم يقفوا عليه، ولأجل ذلك عُدّ من الكتب المفقودة.



بعضٌ من أصداء العدد الأول

يتشرّف مركز القرآن الكريم بجمهورية المالديف أن يتقدم بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لما تبذله من جهود مخلصة لخدمة الإسلام، ونشر ثقافته الحميدة، ومبادئه الخالدة، ومن ذلك مجلة (التواصل) التي شرعت الجمعية في إصدارها، والتي تستهدف إنشاء مجتمع حضاري إسلامي متميّز، وقد تشرّف المركز بالحصول عليها والحمد لله. ونسأل الله أن يجعلها منبر للهدى، وسراجاً للخير والرشاد، كما نسأله تعالى ان يثبت أقدامكم في سبيل نشر دعوته، وأن يجزيكم أحسن الجزاء، وهو على كل شيء قدير.

د. عبد المجيد عبد الباري
مدير مركز القرآن الكريم/ جمهورية المالديف

الأخ أمين تحرير مجلة التواصل

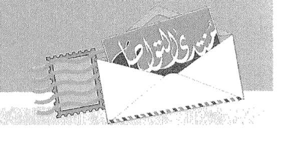
أتشرّف بتقديم أحر التهاني القلبية لكم ولجميع أسرة تحرير التواصل بمناسبة صدور هذه المطبوعة المتميزة شكلاً وموضوعاً.

إن مجلة التواصل تميّزت بما احتوته مواضيعها المتنوعة من مقالات وقضايا وآراء وتقارير واستطلاعات ودراسات ومحاضرات؛ أقول تميز العدد الأول بجديد الفكرة وعمق المضامين. لقد قرأت موضوع (حوار العقائد هل يوقف صراع الحضارات أو يحول دون صدامها؟) وقرأت أيضاً موضوع الاستطلاع عن افتتاح أول مسجد في غرناطة منذ 511 سنة، وأعجبتُ به كثيراً، حيث رجعت بي الذاكرة إلى العام 1982 حيث قمت بزيارة عمل إلى غرناطة وتجولتُ في قصر الحمراء الشهير. تهاني القلبية لكم، ومزيداً من النجاح.

رجب خليفة حسين
محرر صحفي وإعلامي/ ليبيا

يسرني أن أنقل لكم تهنئة الإخوة الأساتذة بجامعة الخرطوم الذين اطلعوا على مجلة التواصل التي تصدرها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، فالشكر والتحية للأخوة القائمين على أمر هذه المجلة على ما بذلوه ويبذلونه من جهد.

د. أحمد الحسن سمساعة
أستاذ الدراسات اللغوية والتربوية
قسم اللغة العربية والدراسات العليا
الجامعة الإسلامية العالمية/ ماليزيا
جامعة أفريقيا العالمية/ الخرطوم - السودان



إلى أسرة تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد تحصلت على هذه المجلة في عددها الأول صدفة عندما أتيت إلى مدينة طرابلس، ولقد ذهلت بها وأعجبت تمام الإعجاب، وقلتُ في نفسي: هذه المجلة من عندنا هنا في ليبيا!! هذا شيء رائع وإنجاز عظيم، لأنها ـ والله ـ مجلة جديرة بالاحترام والتقدير من جميع جوانبها، من حيث موضوعاتها والجهة التي تصدرها (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية). ولقد وجدنا ضالتنا التي نبحث عنها في هذا المنبر الإعلامي، والتي ازدانت بكل ما فيها من خصائص مميزة، فهي مجلة علمية ثقافية فكرية شاملة لجميع العلوم بموضوعاتها القيّمة ومقالاتها الرائعة.

وإنني أشكركم جزيل الشكر على المستوى الرفيع لهذه المجلة الجديرة بالتواصل دون انقطاع بإذن الله، فالمجلة ذات إخراج وتنفيذ قيّم، ومن حيث الطباعة وفرز الألوان وشكل الغلاف ومقاس حجم الورق جيد ورائع، كذلك منهجها الرائع والقيّم والهدف، والتي كنا نبحث عنها في كثير من الدوريات والمنشورات، فلا نجد ما يؤنسنا فكراً وينجدنا عقلاً ويطربنا فهماً. فأهلت علينا التواصل ضيفاً عزيزاً، فأهلاً ومرحباً بالتواصل للتواصل. ولقد شدّتني ـ في الصفحة الأخيرة.. ونتواصل ـ عبارة «صفحة مفتوحة لمن أراد أن يلقي حصاة في البركة الراكدة» فهذا تعبير فيه تشاؤم أكثر منه تفاؤل، وكان الأحرى أن يكتب: صفحة مفتوحة لمن أراد أن يغرس زهرة في حديقة التواصل، أو: أن يغرس أملاً في دنيا التواصل، فحاشى لهذا المنهل الثقافي أن يكون بركة راكدة... إنها بحر العطاء. ولكم منا جزيل الشكر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بدر الدين المعداني

كعام/ شعبية المرقب ـ ليبيا

يسعدني وقد اطلعت على العدد الأول من مجلّتكم الغراء التواصل أن أسجّل إعجابي بالموضوعات التي تمّ تناولها في هذا العدد، وفي الوقت نفسه أثمن عالياً جهودكم المخلصة من أجل ربط جسور التفاهم والتواصل والحوار بين الشعوب والأمم والحضارات.

وفّقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الداعية / إسماعيل الحاج إدريس حسن

كانو/ نيجيريا

تحية خالصة أساسها الأخوة الصادقة والامتنان العميق. لقد اطلعت ـ وأنا في غاية السعادة ـ على مجلتكم المحترمة (التواصل) التي تعكس جدة وأصالة في مجال البحوث والدراسات والمقالات، تجعلنا نفخر بهذا العمل الرائع الخيّر. وأعدكم بأن أكون قارئاً مداوماً لهذه المجلة، وأن أسهم معكم بالكتابة، راجياً أن تنال كتابتي قبولكم. وإنني ـ إذ أعد بهذا ـ أشعر بعظم المسؤولية لما لمسته في هذه المجلة من مادة جادة تجمع بين الاكاديمية والإبداع وهذا أمر عز وجوده.

د. شعبان عوض العبيدي

كلية الآداب/ جامعة قاريونس

بنغازي - ليبيا

..ونتواصل

التحولات المتوالية في عصرنا تتمثل بشكل رياح هوجاء، تركت ـ وتترك ـ آثارها الجلية على كل صعيد له صلة بالإنسان والأرض والحياة. الجِدّة ليست هي الوازع الذي يحفز العقل والوجدان على الفعل والانفعال، بل ظاهرة الجرأة على اختراق المسلّمات أضحت هي العامل الأهم في إكساب الحياة لونها الشاحب المتقمص للتوتر على مدار الساعة.

لا يمكن إنكار أن ثقافة المرئيات والصحون اللاقطة والوسائل الإعلامية كافة، قد أبعدت الناس عن تخصيص مساحات للقراءة والفكر والحوار. لقد استبدلت هذه المصادر بثقافة الصورة التي تدرجت لتتصدر أولوية الاهتمام لكل الاعمار والمستويات. ولم تكن النتيجة غير زعزعة الأسس الثقافية بكل مجتمع. والأمر ـ بكل بساطة ـ راجع إلى أن الانتاج الإعلامي الضخم والمكلف، يخترق بكل سهولة جُلّ المجتمعات. ويفرض قيماً وطروحات ثقافية مُغرية ومتحدية لكل ما هو (تقليدي) في ثقافة المجتمعات. من خلال هذا المنظور يتحول ما يدعى بتيار (العولمة) الى معول خطير لهدم أو تشويه لكل خصوصية وتراث وثقافة ورؤى متعلقة بهوية الشعوب والمجتمعات البشرية.

تتداعى الظاهرة لتؤكد على أن المنتجات التكنولوجية قد ساهمت بشكل ملحوظ في تحقيق نوع من الحياة الهانئة والمريحة. ولم يتأتَّ ذلك إلا بسرعة في الإيقاع والتوتر، والاستجابة اللامترددة للتغيير، بالإضافة إلى نقص في الوظائف وصعوبة في التآلف.

هل بإمكاننا القول، ان الطفرة التكنولوجية هي التي تترأس اليوم قائمة توجيه وتحديد النتائج في المعارك الدائرة الآن في مجالات العلم والاقتصاد والثقافة؟ إن المقصود بهذه الطفرة ما يعدّ العامل الأهم والقاسم المشترك لكل تغيير وتطوير.. تطوير يضمن للمجتمع البقاء الفاعل في وجه الأعاصير العاتية المنقادة إلى المصلحة. وليس ثمة شيء آخر. ما الذي يرقد في رحم المستقبل المستور؟

هل تصدق نظرية هنتنجتون وتتصادم الحضارات؟! وهل يستمر التعلق بوجهة نظر بريجنسكي القائلة بتفوق الديمقراطية؟

وهل كان فوكوياما يتمثل دور نوستراداموس برؤية عصرية، لتوجيه مسار التحولات المستقبلية، لأجل تحديد نهاية التاريخ. أم أن نظر الجميع كان يقتصر على الرؤية بعين واحدة؟!

وهل ثمة ـ أخيراً ـ ما يقدمه الشرق كعنوان شامل يتضمن موروث الحضارة العربية الإسلامية. من إسهام يحول دون وقوع الكارثة، مع الأخذ في الاعتبار خصوصية هذا الموروث المؤسسي اصلاً على أهمية وضرورة التواصل؟



من اصدارات

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



صدر حديثاً
كتاب صحيفة
الدعوة الإسلامية